الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

العدد ٤٠٩ ـ السنة ٣٦ - رمضان ١٤٢٠ هـ - ديسمبر / يناير ١٩٩٩/ ٢٠٠٠ م

نشاط

وزارة الأوقاف

دور ريادي

في مسيرة

الفكر

العولمة طريق الهيمنة

نظرات عصرية في قضايا أصولية

صوم تكامل في بناء الشخصية

رمضان منهج بناء للفرد والمجتمع

هديتك مع العدد براعم الإيمان

لمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

تتقدم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي بأجمل التهاني وأطيب التبريكات إلى

أمير البلاد

وولي عهده الأمين

ورئيس وأعضاء مجلس الأمة

وأعضاء الحكومة وأبناء الشعب الكويتي كافة

داعين الله عز وجل أن يجعل هذه المناسبة العزيزة منطلقاً لتدعيم مسيرة التقدم والبناء كما يسر مجلة الوعي الإسلامي أن تقدم تهانيها القلبية للمسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها مقرونة بالدعاء إلى الله العلي القدير أن يوحد كلمتهم ويجمع صفهم ويأخذ بيدهم لكل ما فيه خير الإسلام والمسلمين كما ندعوه تعالى أن يرحم شهداءنا وشهداء المسلمين، ويفك قيد أسرانا وأسرى المسلمين إنه سميع مجيب

وكل عام وأنتم جميعاً بخير

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 409 - السنة الخامسة والثلاثون - رمضان 1420 هـ - ديسمبر / يناير 2000/1999 م

كلمة العدد

وزارة الأوقاف .. دور فكري ريادي

انطلاقاً من الدور الريادي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت وترسيخاً لمسيرة الفكر والثقافة ومواكبة للمتغيرات على الساحة الإسلامية والعالمية، عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ممثلة في بعض إداراتها، خلال شهر نوفمبر ١٩٩٩م سلسلة من الندوات والمؤتمرات الفكرية التي تجدون تغطية شاملة لها في هذا العدد الذي بين أيديكم، وستقوم إدارة المجلة بنشر أهم الأبحاث التي ألقيت فيها خلال الأعداد المقبلة - إن شاء الله تعالى - لتعم الفائدة والمنفعة وتتحقق الأهداف المرجوة من ورائها.

كما ستجدون في ثنايا هذا العدد ملفاً خاصاً عن فريضة الصوم في شهر رمضان المبارك، تلك العبادة التي تهذّب النفس وتقوّي الإرادة، وتربّي الضمير على الصمود والاستعلاء فوق الرغبات والشهوات، وترسّخ أواصر التكافل والتراحم بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد، وقد اختص الله نفسه بها، وجعل جزاءها مقروناً به، فقال على لسان نبيه - ﷺ -: «الصوم لي وأنا أجزي به».

نسأل الله تعالى لنا ولكم حُسن القبول لهذه العبادة فهو ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم النصير وكل عام وأنتم بخير.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا - السعودية: ٤ ريالات - البحرين: ٣٠٠ فلس - قطر: ٤٠ ريالات - الإمارات: ٤ دراهم - سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة - الأردن: ٥٠٠ فلس - مصر: جنيه واحد - السودان: ٥ جنيهات - موريتانيا: ١٢٠ أوقية - تونس: دينار واحد - الجزائر: ٥ دنانير - اليمن: ٥ ريالات - لبنان: ١٠٠٠ ليرة - سوريا: ٢٠٠ ليرة - المغرب: ٦ دراهم - ليبيا: ٥٠٠ مليم - أوروبا: جنيه استرليني واحد أو مايعادله - أمريكا وبقية دول العالم الأخرى: دولاران أو مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزيبر

في العدد

ندوات :

ندوة مجلة الوعي الإسلامي

انطلاقاً من أهداف المجلة في نشر الفكر الإسلامي ومعالجة القضايا الإسلامية على الساحتين المحلية والإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي عقدت ندوتها حول: تهيئة الأجواء لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

حضارة 38

الإنسانية الحائرة

في إطار كراهية هانتنغتون وبرنارد لويس وحقدهما على الإسلام وأهله، هل يعد الإسلام مصدر تهديد ومبعث قلق وتوجس غير مبرر بحجج وبراهين وأدلة؟!.

أبواب ثابتة

قراءة في كتاب : نظرات عصرية في قضايا أصولية 56

ترجمات : عقدة المجتمع الإسرائيلي كما يراها الصهاينة 83

المرسى : الرقابة بين القانون والضمير 98

الفهرس

٣	كلمة العدد: وزارة الأوقاف... دور فكري ريادي	التحرير
٥	الافتتاحية: رمضان منهج بناء للفرد والمجتمع	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	حدث في مثل هذا الشهر	وائل الهنيدي
٩	ندوة الوعي الإسلامي حول تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة	تمام أحمد
١٢	ملتقى الأوقاف الرابع للمواهب والإنشاد	د.عماد الدين عثمان - تمام أحمد
١٤	الملتقى السادس للأمانة العامة للأوقاف	تمام أحمد
١٥	مؤتمر ملامح استراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة	د. عماد الدين عثمان - تمام أحمد
٢٠	ملف رمضان : أضواء علمية على عبادة إسلامية	د.عفيفي محمود عفيفي
٢٤	الصوم تكامل في بناء الشخصية	د.حسن عبدالغني أبو غدة
٢٦	نظرات علمية في صيام رمضان	د. حسان شمسي باشا
٢٨	الصيام في الأدب العربي	د.عبدالله عبدالعزيز قريش
٣٢	غزوة بدر.. دروس وعبر	محمد الجاهوش
٣٧	أكرم الشهور	جاك صبري شماس
٣٨	حضارة : الإنسانية الحائرة بين تصادم الحضارات وعالمانية العالم	عطية فتحي الويشي
٤٢	حضارة: أضواء حول العلوم الإسلامية	د.أحمد عبدالرحيم السايح
٤٨	دراسات قرآنية : تمزيق حواجز الغيب	أحمد أبوالدهب محمود
	وجه من الإعجاز القرآني	
٥٢	تيارات ومذاهب : حركات التبشير والمسألة الدينية واللغوية	د.أحمد المزيني
٥٤	قراءة في كتاب : نظرات عصرية في قضايا أصولية	غازي التوبة
٥٧	قضايا فكرية: أصداء سقوط الخلافة بين العلمانيين والأصوليين	د.أحمد محمد سالم
٦٠	قضايا فكرية : العولمة طريق الهيمنة	بربر علوي السادة
٦٢	فن إسلامي : هندسة المباني في القرآن والسنة	عزالدين صديق
٦٤	شخصيات : ناصر الدين دينيه	د.حسن عزوزي
٦٨	البيت المسلم : سورة لقمان ومواقف تربوية	عاطف إبراهيم المتولي
٧٠	دور المدرسة في تنمية الإبداع والابتكار	محمد عباس عرابي
٧١	بين حجري الرحى	منى السعيد الشريف
٧٢	الشجار بين الأطفال	أشرف سعد
٧٣	حينما كنت طفلة	ميسون صافي
٧٤	سيكولوجية القلق عند الكبار والصغار	حسين سباهي محمود
٧٧	السعال الديكي	د.محمد مصطفى السمري
٧٨	قضم الأظافر وثلاثية العصبية	غادة عدلي الشافعي
٨٠	ظاهرة التسول	عمر الرماش بن إدريس
٨٣	ترجمات : عقدة المجتمع الإسرائيلي كما يراها الصهاينة	عبدالمنعم أحمد
٨٦	قراءة في كتاب : نحو بيئة أفضل	عرض: محمد علي وهبة
٨٨	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩١	نافذة على العالم	التحرير
٩٤	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى: الرقابة بين القانون والضمير	شعبان محمود شعبان

رمضان منهج بناء للفرد والمجتمع

الافتتاحية

ما أعمق توجيهات سيدنا رسول الله ﷺ في مختلف شؤون حياتنا اليومية... إننا إذا ما نظرنا إليها فتأملناها وجدنا فيها سمو العبارة، وجلالة البيان، وجزالة اللفظ، ولا غرو فهو سيد الفصحاء وأمير المعاني، فهو أفصح العرب، بيد أنه من قريش، ونشأ في بني سعد بن بكر.

ومن ثمّ نلمس في أحاديثه الشريفة، جمال التعبير، وقد حفل بيانه ﷺ فيما يتعلق بشهر الصيام، فجاءت كلماته بياناً شاملاً في بناء الفرد والمجتمع. ما يعتبر منهجاً متكاملاً يربط بين الدنيا والآخرة.

وهكذا جاءت الروايات عنه ﷺ. فقد أبان في حديثه الشريف ﷺ. في آخر يوم من شعبان، بأنه أظلهم شهر عظيم كريم، العمل فيه يزيد عما سواه سبعين درجة، وقد ذكر ﷺ. في هذا الحديث الوعظي مزايا الشهر الفضيل، حيث حض المؤمنين على التزود منه، ولزوم الطاعة والعبادة والتوجه الجامع. وهذا الحديث الشريف يعد منهج بناء للفرد والمجتمع. غير أن هناك أحاديث أخرى أشارت إلى فضل رمضان. ففي الحديث الصحيح الذي يقول فيه ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه».

هذا البيان من الرسول ﷺ يحض المؤمنين على الاجتهاد في طاعة الله طمعاً في رحمة الله ومغفرته والعتق إن شاء الله من النار.

وبما أن الرسول ﷺ رسول الرحمة بين أيضاً فضل رمضان لتحفيز المؤمنين على التوبة والعودة إلى الله فقال «رمضان أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار»، فإذا ما نظرنا إلى توجيهه مرة أخرى ﷺ. وجدنا الجزاء العظيم الذي ينتظر الصائم التائب الذي لم يشب صومه إثم ولا ذنب.

وهكذا يبين لنا رسول العزة «أن في الجنة باباً يُقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» رواه البخاري ومسلم.

وعلى هذا، فإن شهر رمضان هو شهر البر والإحسان، شهر الخيرات والبركات والمعجزات، شهر التضحية والسخاء، شهر القرآن والفرقان. لذا علينا نحن المسلمين أن نعتبره منطلقاً وحافزاً لبناء صرح أمة الإسلام، ونكون على يقين بأنه منهج بناء للفرد والمجتمع. ■

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

معذرة «مليحة»
معذرة «أمير»

من أراد أن يتعرف على مأساة العالم الإسلامي بحق فلينظر إلى وجه «مليحة» طفلة السبع سنوات المختومة بالشقاء والحرمان والتي ظلت تنزف من ذراعيها بشدة بسبب شظايا القذائف العربية التي انهالت عليها بلا شفقة أو هوادة...

ومن أراد أن يتعرف على وحشية الضرب ومدى إخلاصهم لعقيدتهم فلينظر إلى العين اليسرى للطفل «أمير» والتي فقدها بقذائف مدفعيتهم التي لا ترحم... حيث غطت الدماء وجهه وهو يصرخ... ولم تجد أمه حتى الماء لتغسل له وجهه... يقول الصغير بعدها : شعرت بألم شديد وشيء ساخن يسيل على وجهي... إنها دماء عينه اليسرى يا رفاق أما عينه اليمنى السليمة فإنني أتحدى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يثبتوا أمامها... فسرعان ما سيصيبهم الخزي والعار فينكسون رؤوسهم ويدسون أعينهم في التراب، ولكنه هو ما زال ينظر إليهم بعينه الواحدة...

إنه موقف رهيب يجسد مأساتنا بكل صدق... إن ما يفعلونه بنا الآن ليس عجيباً أو غريباً أو جديداً إنما العجيب والغريب هو موقفنا نحن، فمعذرة مليحة... معذرة أمير.

عمران أحمد عطاالله سمروخ - مصر

مراعاة الآداب مع الكتب

إنّ الكتاب لهو من أبرز علامات أمة الإسلام، ولا أدلّ على ذلك من تلك الكلمة التي استهلّ بها القرآن بركته على أهل الأرض «إقرأ» ويؤكد ذلك الشرف أن الله أقسم بالقلم أداة الكتابة (ن والقلم وما يسطرون)، وأمامنا نص كتب قبل ما يربو على الألف عام. يبيّن مكانة الكتاب في حياة المسلمين الأوائل. فيقول بدر الدين ابن جماعة الكناني: الكتب هي آلة العلم، وينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه. ويستحب إعادة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه عليها، وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ويجزيه خيراً. ولا يطيل مقامه عنده من غير حاجة، بل يرده إذا قضى حاجته، فلا يحبسه، ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه أو خواتمه إلا إذا علم رضا صاحبه، ولا يعيره غيره ولا يودعه لغير ضرورة، وإذا نسخ منه بإذن صاحبه فلا يكتب منه والقرطاس «الورق» في بطنه «أي داخل الكتاب» أو على كتابته، ولا يضع المحبرة عليه، ولا يمر بالقلم الممدود فوق كتابته، وإذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه منشوراً «مفروشاً على الأرض» بل يجعله بين كتابين أو شيئين أو كرس الكتب المعروف، ولا يضعها على الأرض كيلا تتندى أو تبلى.

وإذا استعار كتاباً فينبغي له أن يتفقده عند إرادة أخذه ورده، وإذا اشترى كتاباً تعهد أوله وآخره ووسطه، وترتيب أبوابه وكراريسه. ولو تأدبنا بمثل هذا الأدب لما فقدت الكتب بدعوى الاستعارة، وما يرجع منها رجع وقد بلي وقطعت أوصاله وملئ بالتعليقات والخطوط مما يثير الحسرة في نفسه صاحبه.

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

ردود خاصة

قصة الهاتف للأستاذ محمد مكين صافي وما حصل بالنسبة لاسمكم فهو خطأ مطبعي نرجو المعذرة وشكراً لملاحظاتكم.

● **الأخ عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر:**

ما يُنشر في صفحات بريد القراء لا يعطى أصحابه أي مكافأة... شكراً لكم وجزاكم الله كل خير.

● **القارئة دعاء محمد السيد زيادة - مصر:**

للاستسفار عن السهم الوقفي يمكنك مراسلة الأمانة العامة للأوقاف على عنوانها: ص.ب ٤٨٢ - الصفاة - الرمز البريدي 13005 الكويت - هاتف ٨٠٤٧٧٧ - فاكس: ٢٥٣٢٦٦٠.

● **القارئ محمد بن خميس بن خلفان السلماني - سلطنة عمان:**

قيمة الاشتراك لمدة سنة في سلطنة عمان هو ٣٠٠ بيسة، يمكنك إرسال شيك بالمبلغ إلى إدارة المجلة ليصار إلى إرسال المجلة إليكم وشكراً على عواطفكم الجياشة تجاه المجلة.

● **الأخ أحمد سامي عباس - مصر:**

اقتراحكم بأن تقوم المجلة بنشر ترجمة لمحدث ديار الشام الشيخ محمد ناصرالدين الألباني - رحمه الله - قيد الدراسة ونأمل تحقيقه في المستقبل إن شاء الله تعالى.

● **القارئ هداية الله الحاج إظهار الحق - بنغلاديش:**

عنوان جامعة الكويت هو: ص.ب: ٥٩٦٩ - الصفاة 13060 - الكويت - هاتف: ٤٨١١١٨٨ فاكس: ٤٨٣٠٢٢١.

● **الأخ د. إسماعيل حسن جاب الله - مصر:**

النظريات الجدلية بين العلم والدين

لايزال العالم الغربي يطلع علينا كل يوم باكتشافات جديدة وأفكار غريبة قد يكون لإحداها نفع جليل، ولكن لأكثرها بريق لامع لا يكشف عن حقيقة معدنه إلا بعد فوات الأوان، وإنني في الحقيقة كلما قرأت كتاباً يناقش قصة النشوء والنظريات الجدلية حول التطور التكويني للكائنات الحية على كوكب الأرض لا أجد إلا رأياً واحداً يكاد يفرض نفسه ويتبوأ مكانه في مقدمة السطور، وإن كان رأي يندى له جبين الكتاب والقراء خجلاً، ذلك أن الإنسان لم يخلق على صورته التي نعرفها، وإنما كان في الأصل قرداً من قرود الأدغال ينتقل بين فروع الأشجار لبضعة ملايين من السنين حتى استقر به الأمر إلى صورة إنسان طويل الأيادي معوج القامة قبيح المنظر، ثم اتخذ سبيله في التطور التكويني حتى استقر على شكله الحالي.!

ومن العجيب أننا نحن المسلمين الذين يؤمنون بكتاب الله وما أنزل به نتناقل تلك الأقاويل بحماس واقتناع، وكأن كل آيات الله التي نقرأها كل يوم في كتابه عرضة للجدال أمام آراء متطرفة لعلماء متحيزين، أمثال العالم اليهودي سيجموند فرويد.

وإذا كان فرويد قد وجد في نفسه حنيناً إلى القرود، ورأى أنهم أجداده الأوائل، فإن هذا ليس غريباً، إذ إنه في الحقيقة من أصل يهودي ينتشر مثل أجداده الآن في أنحاء الغابات كما قال تعالى في بني إسرائيل (فلما عتوا عما نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) الأعراف:١٦٦، لكن الغريب أن يرى أن رأيه هذا عاماً، بل يعمل أيضاً على نشره عالمياً!.

ولذلك فإنه ليس غريباً أن نرى علماء «الباليونتولوجيا» ينسبون كل حفرية جديدة يعثرون عليها إلى إحدى حلقات التطور، فهم لايعترفون بأن هذه الحفرية إنما كانت لنوع من الطيور أو الحيوانات التي عاشت على سطح الأرض منذ زمن بعيد، وإنما يرون أنها لأحد أجداد النشوء والتطور، وأن الأنواع الموجودة حالياً ما هي إلا أحفادا متطورة لهذا النوع، فكل شيء عندهم يتطور من تلقاء نفسه متكئاً على الظروف البيئية المحيطة به، وصدق الله تعالى إذ يقول: (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) الكهف:٥٦.

وعلينا أن نعي جيداً نحن المسلمين أن مثل هذه النظريات الداروينية قد ظهرت في مجتمعات قد خيَّم عليها الفساد وعدم الاحترام للشرائع الدينية أو الأخلاقية، بل امتد عدم الاحترام أيضاً إلى الآدمية نفسها، وهو الأمر الذي دعاهم إلى القول إن الإنسان هو حيوان ناطق أو حيوان ضاحك. ولعل العلم الحديث نفسه الذي يدَّعون أنه من أرشدهم إلى ذلك يكون بين طياته سر جديد يثبط مزاعمهم الواهية، ويهديهم إلى طريق الصواب، ويبيِّن لهم أن الإنسان إنما هو خليفة الله في الأرض وإنه أكرم وأحسن خلق الله كما قال في كتابه الكريم: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين:٤، وقد فصل الله تعالى بمحكم آياته في هذا الجدال الواهي بكلمات بليغة تقطع الجدل قطعا بينا فقال: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء:٧٠.

محمد عبدالمنعم علي أحمد

تصويب

قرأت بكل اهتمام العدد رقم ٢٧٧ من ملحق مجلة الوعي الإسلامي «براعم الإيمان».. ولفت انتباهي في موسوعة براعم الإيمان في الصفحة ٣٥... حيث ورد خطأ في موضوع فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - حيث ذُكِر التالي:

«ولما بلغت عامها الثامن عشر تزوَّجت بابن عمها علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه».

والصواب: «ولما بلغت عامها الثامن عشر تزوَّجت بابن عم أبيها علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه».

سعيد عبدالعظيم السيد - مصر

اقتراح

أقترح ونحن على بوابة عام هجري جديد نحاول فيه الإصلاح قدر الاستطاعة والتجربة والهجرة إلى الله تعالى بقلوبنا وبما أننا على مشارف قرن جديد، فإني أقترح أن يكون بمجلتنا الطيبة قسم باللغة الإنكليزية فدعوتنا الإسلامية دعوة عالمية ورسولنا - ﷺ - رسول للعالمين ومعظم الشباب المسلم على دراية باللغة الإنكليزية، فلماذا لا يكون هناك جزء من المجلة باللغة الإنكليزية؟! وأنتم تعلمون أن مجلة «الأزهر» التي تصدر في مصر فيها هذا الجزء الجميل، فلماذا تخلو مجلتنا الحبيبة في جزء منها من تفسير أو حديث أو فقه باللغة الإنكليزية وهذا - إن شاء الله - سيضفي على مجلتنا رونقاً وشمولية وهو درج إلى الكمال وسيحظى - بإذن الله - بإعجاب القراء ونحن في عصر التقدم العلمي وفي عصر الإنترنت وهذا لا يُعجز القائمين على هذه المجلة الطيبة وحتى نتعلم ديننا بلغة أخرى. أرجو أن تنظروا في هذا الأمر بجدية وأن تعيروه الاهتمام الكافي، كما أرجو من الله تعالى أن أفتح المجلة في أعداد مقبلة لأجد هذا الجزء الطيب.

محمد حمدي محمد الحديدي - مصر

المحرر: شكرا على هذا الاقتراح الطيب، ونرجو الله تعالى أن يعيننا مستقبلاً على تنفيذه وجزاكم الله كل خير.

بقلم: وائل أحمد الهميدي

رمضان

شهر رمضان شهر العزة والنصر، ينتصر فيه المؤمنون الصائمون على أنفسهم، فينتصرون على أعدائهم في جميع معاركهم، فالإيمان بالله أقوى أسلحة النصر (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) الروم:٤٧.

ولقد كانت الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، على موعد مع القدر في رمضان، ففي هذا الشهر المبارك وقعت أهم أحداث التاريخ الظافر، ومن صحفات الماضي الزاخر بالأمجاد الخالدة نقدم سجلاً لأبرز الأحداث التي شاء القدر الأعلى أن يربطها بشهر الصوم، وأن يكون لها مسرح على وجه الحياة.

- ففي رمضان اتصلت الأرض بالسماء بأول خيط من النور ومسّت وجهها أولى قطرات الوحي المبارك فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

- فقد بدأ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ، وهو في غار حراء في أول آية من هذا الكتاب العزيز، تأمر بالقراءة، وتدعو إلى العلم وتسمو بالمعرفة، وتغالي بقيمة العلماء (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم) العلق:١-٥.

- وفي السنة الثانية للهجرة، وقعت في رمضان غزوة بدر الكبرى، لسبع عشرة ليلة خلت منه، وكان خروجه ﷺ من المدينة لثماني ليال خلون من رمضان، على ما ذكره ابن هشام، وكان في هذه الغزوة أول انتصار حاسم للإسلام على قوى الشرك والباطل، وتولى الله تبارك وتعالى قيادة هذه المعركة: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الأنفال:١٧، وأصدر الله جل جلاله أمره إلى كتائب الملائكة لتشهد المعركة تثبيتاً للمؤمنين، وسحقاً للكافرين... (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) الأنفال:١٢.

وفي رمضان من السنة نفسها، الثانية للهجرة، فرضت زكاة الفطر، وهي في حقيقتها انتصار للإيمان على النفس الإنسانية وحبها للمال.

- وفي رمضان من السنة الخامسة كانت الاستعدادات لغزوة الخندق حيث وقعت في شوال من العام نفسه، وقد انتصر المسلمون في هذه الغزوة وتسمى أيضاً «غزوة الأحزاب»، (وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) الأحزاب:٢٥، وكان دخول الرسول - ﷺ إلى المدينة يوم الأربعاء، يوم منصرفه من الخندق، لسبع بقين من ذي القعدة (شرح المواهب).

- وفي يوم الحادي والعشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة، أنعم الله على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة، وقد خرج رسول الله - ﷺ - من المدينة لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله، وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد بين «عسفان» وأمج» أفطر، وأقام رسول الله - ﷺ - بمكة بعد فتحها، خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، قال ابن إسحاق، «وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان للهجرة».

- في رمضان من العام نفسه، في السنة الثامنة للهجرة، بعث الرسول - ﷺ - سرايا عدة لهدم الأصنام الشهيرة حينئذ، فبعث خالد بن الوليد لهدم «العزى» وعمرو بن العاص لهدم «سواع»، وسعد بن زيد الأشهلي لهدم «مناة» فأدى كل منهم مهمته بنجاح.

- وفي السنة التاسعة من الهجرة شهد رمضان بعض أحداث غزوة تبوك، وعاد رسول الله - ﷺ - من هذه الغزوة في رمضان نفسه.

- وفي رمضان من السنة التاسعة أيضاً قدم وفد الطائف إلى المدينة، واعتنقوا الإسلام على يدي رسول الله - ﷺ - فأدوا الفرائض وصاموا مع المسلمين في المدينة.

- وفي الشهر نفسه من العام التاسع كذلك، قدم وفد ملوك «حمير» يعلنون إسلامهم، فأكرم الرسول الكريم وفادتهم وكتب لهم كتاباً حدد فيه الحقوق والواجبات ويعتبر هذا الكتاب وثيقة مهمة من وثائق التاريخ المتمدن.

- وفي العام العاشر من الهجرة، وفي رمضان، بعث الرسول - ﷺ - علياً - كرَّم الله وجهه - في سرية من المسلمين إلى بلاد اليمن، وقد حمل معه كتاباً نبوياً إلى أهل اليمن، وبخاصة قبيلة همدان التي أسلمت جميعها في يوم واحد، وصلوا جميعاً خلف علي بن أبي طالب.

- وفي رمضان سنة ٥٣ هجرية، فتح العرب جزيرة «رودس».

- وفي رمضان سنة ٩١هجرية نزل المسلمون على الشاطئ الجنوبي لبلاد الأندلس وغزوا بعض الثغور الجنوبية.

- وفي رمضان سنة ٩٢ هجرية انتصر القائد المسلم طارق بن زياد على ملك الفرنجة «فريدريك» في معركة فاصلة.

- وفي رمضان سنة ١٢٩ هجرية، ظهرت دعوة بني العباس في خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني.

- وفي رمضان ١٣٢هجرية، تم سقوط الدولة الأموية واستيلاء أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي على دمشق.

- وفي رمضان سنة ٣٦١ هجرية، تم بناء الجامع الأزهر في القاهرة للعبادة وتدريس العلوم العربية والشرعية.

- وفي رمضان سنة ٥٨٤ هجرية، كان صلاح الدين الأيوبي قد أحرز انتصارات كثيرة على الصليبيين حتى استخلص منهم معظم البلاد التي كانوا قد استولوا عليها، فلما دخل رمضان أشار رجال صلاح الدين عليه أن يرتاح في شهر رمضان، ولكنه تخوَّف من انقضاء الأجل قائلاً: «إن العمر قصير، والأجل غير مأمون، وواصل زحفه حتى استولى على قلعة «صفد» الحصينة في منتصف رمضان.

- وفي رمضان سنة ٦٥٨هجرية، هزم المماليك جيوش التتار في «عين جالوت»، وأوقفوا زحف التتار الدموي نهائياً على باب مصر، وكان التتار يستهدفون القضاء الشامل على العالم الإسلامي. ■

كتب: تمام أحمد - د. عماد الدين عثمان

في إطار الخطط والبرامج التي وضعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للارتقاء بمسيرة الفكر والثقافة والعطاء الحضاري والإنساني، عقدت الوزارة خلال الفترة الماضية سلسلة من الندوات والمهرجانات والمؤتمرات كان أولها: ندوة مجلة الوعي الإسلامي حول تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية ومراعاة واقع البلاد ومصالحها، والثاني ملتقى الأوقاف الرابع للمواهب والإنشاد، وثالثها: الملتقى السنوي السادس للإمانة العامة للأوقاف والذي عقد تحت شعار: «الوقف... عطاءات مجتمعية»، وآخرها المؤتمر الذي عقدته الوزارة بالتعاون مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت تحت شعار: «ملامح استراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة»، وفيما يلي نقدم لقرائنا الأعزاء ملخصاً لما دار في أروقة هذه الفاعليات...

مجلة الوعي الإسلامي تنظم ندوتها الخاصة

تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية ومراعاة واقع البلاد ومصالحها

انطلاقاً من استراتيجية مجلة الوعي الإسلامي وخططها المستقبلية عقدت إدارة المجلة يوم ١٧ رجب ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/١٠/٢٥م في مقر اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ندوة خاصة حول «تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية ومراعاة واقع البلاد ومصالحها» شارك فيها كل من:

د.خالد المذكور، ود.عادل عبدالله الفلاح، ود.عبدالحميد البعلي، ود.أنور الفزيع، وأدار الندوة الأستاذ عبدالعزيز البدر القناعي - الوكيل المساعد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

● المشاركون في الندوة

محاور الندوة

ناقش المشاركون في الندوة جملة من المحاور من أبرزها: الإنجازات التي قدمتها اللجنة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وأهم الأعمال المطروحة للعمل خلال الفترة المقبلة، ودور المؤسسات الحكومية والشعبية في ظل العمل على تطبيق أحكام الشريعة، والشبهات المثارة من بعض المثقفين ودور اللجنة في الرد عليها، وكيف تنظم المعاملات المالية في ظل الاقتصاد والنظام المطبق في الوقت الحالي على جميع المصارف من منظور الشريعة الإسلامية.

وتحدث في بداية الندوة الوكيل المساعد لشؤون الثقافة الإسلامية عبدالعزيز البدر القناعي مبيناً أن مشروع تهيئة الأجواء كان استجابة لأمر الله تعالى، وتأكيداً على هوية المجتمع الكويتي المسلم.

وأوضح القناعي أن إنشاء اللجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بمثابة استعادة واستئناف الحياة الإسلامية الراشدة في المجتمع المعاصر، مشيراً إلى تطلع الشعوب العربية والإسلامية إلى عمل اللجنة وما ستقدمه من حلول ليستفاد منها كتجربة رائدة في هذا المجال.

أما رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي د. صالح الراشد فقد تحدث موضحاً أن الهدف من عقد الندوة هو مساهمة المجلة في إبراز هذا المشروع الوطني الإسلامي والمساعدة في تطبيق مهمة اللجنة وهي تهيئة الأجواء لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة.

إنجازات على كل صعيد

أما الدكتور خالد المذكور رئيس لجنة استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فتطرق في حديثه إلى عمل اللجنة منذ إنشائها وقال: إن اللجنة اتجهت في مسارين لتحقيق أهدافها: الأول: إعداد خطة كاملة لاستكمال الأحكام الشرعية.

والثاني: مراجعة القوانين المعمول بها لضمان توافقها مع الشريعة الإسلامية مع الأخذ بعين الاعتبار مراعاة ظروف البلاد والعباد. وأكد أن اللجنة الاستشارية العليا تدرك بلا شك أهمية الزمن وتتخذه أساساً للحساب في خطط أعمال اللجان الفرعية بدليل ما يتم تقديمه من إنجازات في مختلف المجالات، إلا أنها في الوقت نفسه تترك

● الوكيل المساعد عبدالعزيز بدر القناعي

● د. خالد المذكور

لطبيعة العمل وآلياته وتعدده وتنوعه - وهو يشكل مهمة اللجنة العليا في مرسوم إنشائها - فرصة الزمن اللازم والذي تستوجبه تلك المهمة في مراحلها الأولى من الإنشاء والتأسيس «التهيؤي والتشريعي» حتى الدخول في مرحلة المتابعة والتقييم وتذليل الصعوبات والمعوقات ومعالجة السلبيات التي قد تحصل مع التطبيق.

وعرّج الدكتور المذكور على أبرز الإنجازات التي انتهت منها اللجنة وقال: إن اللجنة تمكنت خلال فترة عملها من مراجعة كل القوانين على اعتبار أن المنهج الإسلامي دين شامل لكل مناحي الحياة.

وتطرق د.المذكور في حديثه إلى اللجان المنبثقة عن اللجنة الرئيسة وعمل كل لجنة منها واختصاصها بالإضافة إلى إنجازات اللجان العاملة سواء على الصعيد التشريعي أو الإعلامي أو التربوي والاقتصادي والاجتماعي.

وأشار إلى ثقل المسؤولية المناطة باللجنة مما جعلها تعمل بالتعاون مع المؤسسات ا لرسمية والأهلية والتنسيق معها لتتضافر الجهود من أجل إنجاز المهمة.

وبين د.المذكور أنه بعد الانتهاء من المهمة ستوزع الأدوار كل حسب ما يخصه من الجهات لتنفيذ ما يُناط بها من مسؤوليات أو يوكل إليها من مهام.

في الجانب الإعلامي

وتحدث الدكتور عادل عبدالله الفلاح رئيس اللجنة الإعلامية التابعة للجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ووكيل الوزارة المساعد لشؤون الحج، مشيداً بدور مجلة الوعي في تهيئة الأجواء على المستوى الداخلي في الكويت وخارج حدود الكويت.

وبيَّن د.الفلاح إنجازات اللجنة الإعلامية من مراجعة المناهج التربوية في مراحل التعليم ومتابعة صحافة الطفل ومراجعتها نظراً لتأثيرها الشديد في العملية التربوية، وقال د. الفلاح: إن مهمة اللجنة ليست سهلة وإنما الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة لإنجاح هذه المهمة واصفاً الفترة الحالية بأنها عصر الإعلام الذي بات فيه البقاء والتأثير لمن يملك إعلاماً أقوى، وبيَّن أن من الأمور المهمة التي حذرت منها اللجنة السيطرة الواضحة للإعلام الغربي في ظل غياب الإعلام الملتزم الذي يتفق مع قيم ومبادئ المجتمعات الإسلامية.

وأشار إلى تكامل الدورة المالية للإعلام الغربي والسوق الرائجة للمنتجات الإعلامية الخاصة بهم في الوقت الذي يواجه الإعلام البنائي في مجتمعاتنا العديد من الإخفاقات والحواجز فضلاً عن التعثر المالي الذي هو عصب الصناعة الإعلامية.

وتطرق الدكتور الفلاح للدراسات الميدانية التي قامت بها اللجنة الإعلامية والمتعلقة بأهم الأمور والموضوعات التي ترغب في معرفتها مثل قياس مدى رسوخ السلوكيات والأخلاق العامة في المجتمع الكويتي وظاهرة انتشار الأطباق وفي الموضوعات التي

● د. عادل الفلاح

● د. أنور الفزيع

تنشرها الصحف والمجلات ودورها في تهيئة الأجواء للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، كما قامت اللجنة الإعلامية بإجراء أربعة بحوث تحليل مضمون البرامج الدراسية التي تبثها القناة الثانية لتلفاز الكويت وبرامج الأطفال على القناتين الأولى والثانية وأفلام الفيديو التي يتداولها الجمهور، ومحلات الفيديو والأعمال المسرحية التي قدمت بعد التحرير وبناء على الجهود السابقة قامت اللجنة بإعداد مجموعة من المشروعات التي تسهم مساهمة فعالة في مواجهة السلبيات سالفة الذكر، وقد رفع عدد منها إلى حضرة صاحب السمو أمير البلاد، وأهم هذه المشاريع:

١ ـ اقتراح بإنشاء مؤسسة الكويت للتنمية الإعلامية.

٢ ـ مشروع بإنشاء نظام الكيبل.

٣ ـ اقتراح بتطوير البرامج الدينية.

٤ ـ اقتراح بدورة تلفازية نموذجية.

٥ ـ مشروع قانون لحماية المقومات الأساسية للمجتمع الكويتي.

٦ ـ مشروع لتدريس العلوم الشرعية عن بعد.

٧ ـ مشروع تشكيل لجنة متخصصة للرقابة والتقييم واختيار البرامج.

٨ ـ مشروع الالتزام بتطبيق القواعد والسياسات المعمول بها في تلفاز الكويت.

٩ ـ مشروع دراسة وتفعيل أهداف برامج الأطفال في التلفاز بحيث يتم التأكد من كل ما يضمن سلامة الطفل.

١٠ ـ مشروع توفير الدعم المالي لمجلات الأطفال التي تتقيد بالجوانب الإيجابية.

١١ ـ مشروع دراسة لوائح الرقابة في المنافذ ومدى حاجتها إلى أي تعديلات.

١٢ ـ مشروع تفعيل دور المسجد والمدرسة في التنبية على مخاطر البث التلفازي المباشر.

١٣ ـ مشروع إحياء المسرح المدرسي والجامعي ودعم الفرق وتطوير المعهد العالي للفنون المسرحية.

١٤ ـ إعداد مشروع للرقابة على بيع وتسجيل أشرطة الفيديو ومحلاتها وذلك بعد النظر في مدى كفاية القوانين واللوائح المعمول بها حالياً مع ضرورة تصنيف أفلام الفيديو.

في الجانب الاقتصادي

● د. عبدالحميد البعلي

وعن الجانب الاقتصادي، تحدَّث الدكتور عبدالحميد البعلي فاستعرض بإيجاز ست صفحات من أجندة الواقع الاقتصادي وهي:

صفحة من حضارة الإسلام، صفحة من حضارة الغرب المعاصرة، صفحة عن واقع الاقتصاد العربي، صفحة عن واقع الاقتصاد الإسلامي، صفحة عن استراتيجية المعاملات المالية الإسلامية، صفحة عن المصرفية الإسلامية.

وتطرق الدكتور البعلي لأهداف اللجنة الاقتصادية والمتمثلة في:

١ ـ دراسة الواقع الاقتصادي في دولة الكويت، وتحديد الأنشطة التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية في كل قطاع من قطاعات الاقتصاد القومي مع إعطاء الأولوية للقطاع المالي والقطاع التجاري.

٢ ـ تقديم اقتراحات وبدائل إسلامية تحل محل الأدوات المخالفة للشريعة الإسلامية، بما لا يؤثر سلباً على السياسة الاقتصادية، ويتحقق بأقل تكلفة اجتماعية.

٣ ـ تحديد وتوفير الاحتياجات الفنية والتشريعية اللازمة لتشجيع قيام مؤسسات مالية واقتصادية تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

٤ ـ حصر ومعالجة المعوقات المتوقعة للمؤسسات التقليدية في حالة رغبتها في تبني البدائل الشرعية.

٥ ـ إعداد خطة «تربوية إعلامية» للتوعية والتوجيه لتهيئة الأجواء لاستقبال النظم والأوضاع الاقتصادية الجديدة لضمان نجاحها واستمرارها.

٦ ـ إعداد تصور لإنشاء مركز دراسات وأبحاث لخدمة الاقتصاد الإسلامي.

وعرَّج الدكتور البعلي على أهم الإنجازات في الجانب الاقتصادي ومنها:

إعداد مشروع قانون بشأن المصارف والشركات الاستثمارية والمالية الخاضعة لأحكام الشريعة الإسلامية، ومذكرته الإيضاحية وإعداد إطار عام للمصرف الإسلامي، كما تم إنجاز مشروع قانون بإنشاء مركز الاقتصاد الإسلامي، وقدمت اللجنة الاقتصادية تقريراً يتضمن اقتراح أدوات تمويل إسلامية دائمة وموقتة تهدف إلى تمويل الموازنة العامة للدولة.

شبهات مثارة

وتحدث الدكتور أنور الفزيع الأستاذ

بجامعة الكويت حول الشبهات المثارة من بعض المثقفين ودور اللجنة في الرد عليها ومن هذه الشبهات: أن تطبيق الشريعة ربما يحدث فراغاً تشريعياً أو خلخلة في اقتصادات الدولة وأن البدائل المطروحة غير كافية وأن التطبيق سيرجعنا إلى الخلف، وقد فند الدكتور الفزيع هذه الشبهات وأكد أن تطبيق الشريعة الإسلامية لم يكن في يوم من الأيام وعبر العصور المختلفة عائقاً في طريق النمو وأن الشريعة الإسلامية معين لا ينضب لأي حالة أو لأي وضع نبحث عن حكم له وما يُقال من أن البدائل المطروحة غير كافية، فهذا الكلام مردود على قائله لأن الواقع العملي يكذب ذلك فالواقع العملي يقول: إن البنوك الإسلامية في نمو متزايد، والناس يتعاملون معها بكل ثقة، علاوة على أن جميع هذه البنوك الإسلامية مرتبطة مع البنوك الخارجية، وهناك تبادلات وتعاملات مالية معها والشيء نفسه بالنسبة للتأمين، فالتأمين ليس معضلة كبيرة، وهناك بدائل إسلامية كثيرة مطروحة، وإن كانت محل بحث ودراسة ولكن موجود اليوم شركات تأمين تعاوني في كثير من البلدان الإسلامية وتطرق لمسألة الكوادر الفنية وما يُقال من أن التطبيق للشريعة ربما يواجه مشكلة واقعية وهي عدم إعداد الكوادر الفنية لأن القواعد التشريعية هذه تخاطب القضاة وتخاطب المشتغلين بالقانون، وأكد أن اللجنة تعمل أصلاً على تحويل الأحكام الشرعية كنصوص وتطلب من القاضي أن يطبق أحكام الشريعة الإسلامية في القضايا المعروضة عليه.

وفي ختام حديثه أكد أن ما أنجزته اللجنة حتى الآن يُعد مفخرة للكويت والكثير مما أنجزته اللجنة من خلال لجانها الفرعية رأى النور سواء من خلال تشريعات أو من خلال قرارات لوزارات الإعلام والتربية والعدل وغيرها، وطلب الدكتور الفزيع أن نلتمس العذر للجنة لأن المهمة المناطة بها تتجاوز طاقتها وهذه المهمة ليست بالأمر السهل فالمشروع مشروع أمة ومشروع دولة والمفروض أن تتضافر كل الوزارات لتطبيق الشريعة وأن تعمل على تنفيذ الخطط التي تصدر من خلال اللجنة، ودعا لوضع استراتيجية واضحة على مراحل تأخذ كل جانب من جوانب الحياة على حدة توفيراً للوقت والجهد. ■

ملتقى الأوقاف الرابع للمواهب والإنشاد

● النائب ناصر الصانع والوكيل القناعي ورئيس قطاع المساجد القراوي يتابعون فقرات الملتقى

كتب : تمام أحمد

من أجل تشجيع ورعاية طاقات الشباب وترسيخ القيم الإسلامية الرفيعة والمشاعر الوطنية النبيلة في نفوسهم وتنمية مواهبهم، عقدت إدارة الثقافة الإسلامية في الوزارة على مسرح التحرير في منطقة كيفان خلال الفترة ما بين ٦ ـ ٨ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ١٤ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٩١م، الملتقى الثقافي الرابع للمواهب والإنشاد تحت شعار «الإبداع والمبدعون»، وقد افتتح وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز بدر القناعي نيابة عن وزير الأوقاف الدكتور عادل الصبيح فاعليات الملتقى بكلمة قال فيها:

إن هذا الملتقى يهدف إلى تشجيع ورعاية طاقات الشباب، وترسيخ القيم الإسلامية الرفيعة، والمشاعر الوطنية النبيلة، في نفوسهم، وتنمية مواهبهم، والتفاعل مع القضايا المجتمعية، والعربية، والإسلامية، والأخذ بالأساليب العصرية في نقل الرسالة الثقافية. كما يؤكد على الاهتمام بالإبداع والمبدعين من الشباب وأهمية الإبداع في حياتنا كي تستمر أمتنا في دعم الحضارة الإنسانية بإضافة المفيد لها في جميع مناشط الحياة.

وأضاف أن الإبداع هو سر قوة الأمم، وسر بقائها وزيادتها وكذلك كانت هذه الأمة العظيمة التي ننتمي لها، أمة إسلامية عربية عظيمة، عليها واجبات، ولها رسالة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). وقال تعالى: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

وأكد أن أهم ما تحرص عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من خلال قطاع الشؤون الثقافية بها، أن تترجم الثقافة الإسلامية إلى سلوك عملي، ولهذا فإنها تأخذ بكل الوسائل العصرية في الفن

والأدب، وتتفاعل مع متطلبات العصر، بأسلوب متميز، يحقق التواصل بين الوزارة، والجمهور الكريم.

وقال إذا كانت ساحات الحوار الفكري، من خلال المؤتمرات والندوات واللقاءات الثقافية الفكرية، تقوم بأدوار رائدة، في بلورة الثقافة الإسلامية، ونشرها، وتعريف الناس بها، فإن الاقتصار عليها والاكتفاء بها، وغلق الأبواب دونها، يؤدي إلى حرمان بعض الفئات من أدوات ومنابر للثقافة الإسلامية تناسبها، وتلائم خصائصها، وتتجاوب مع اهتماماتها. لذلك فإن لهذا الملتقى الثقافي أهميته الخاصة التي لا يستمدها فقط من كونه أحد أدوات نشر الثقافة الإسلامية، بل إلى جانب ذلك، فإن هذا الملتقى يكتسب أهمية خاصة من طبيعة الأدوات التي يستخدمها في نشر هذه الثقافة، وتعريف الناس بها، معرباً عن أمله في أن يوفق في بلوغ أهدافه وإيصال رسالته الإسلامية لتستدرك نقصاً ملحوظاً في أدواتها لتحقيق التفاعل الكامل مع الفئات المجتمعية كافة ولا سيما الشباب.

فعاليات الملتقى

هذا، وقد شهدت فعاليات الملتقى عدة محاضرات ومسرحيات هادفة منها: الإبداع والمبدعون للدكتور نجيب الرفاعي والإبداع للدكتور أيوب الأيوب كما شارك في العرض المسرحي والإنشادي كل من: علي العنزي بأنشودته: «مرحباً وأهلاً»، وبأنشودته: «اخترت طريق الله»، وبأنشودته: «الإسراء»، وأحمد جبار بأنشودته: «صبرت» وبأنشودته: «أن يدخلني ربي الجنة»، وإبراهيم السعيد بأنشودته: «قد كفاني»، والفرقة المالاوية بأنشودتها: «شكراً لله»، وبأنشودة جماعية بعنوان «القلب ينادي الله على بلادي».

أهداف رائدة

والجدير بالذكر أن هذا الملتقى جاء بعد سلسلة من الملتقيات نظمتها إدارة الثقافة خلال الأعوام الثلاثة الماضية فكان الملتقى الأول عام ١٤١٦هـ تحت شعار «مهرجان الأنشودة الأول» وكان الثاني عام ١٤١٧هـ تحت شعار «مهرجان الأنشودة الثاني»، وكان الثالث عام ١٤١٨هـ تحت شعار «أمة الخير» وتهدف هذه الملتقيات إلى إظهار دور الوزارة في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية، وطرح رسالة الأدب والفن الإسلامي بأسلوب راقٍ يناسب العصر، وترجمة الثقافة الإسلامية إلى سلوكيات وتشجيع ورعاية طاقات الشباب والبراعم المؤمنة والتواصل مع الجاليات الإسلامية وتنمية مواهبهم الثقافية والإبداعية. ■

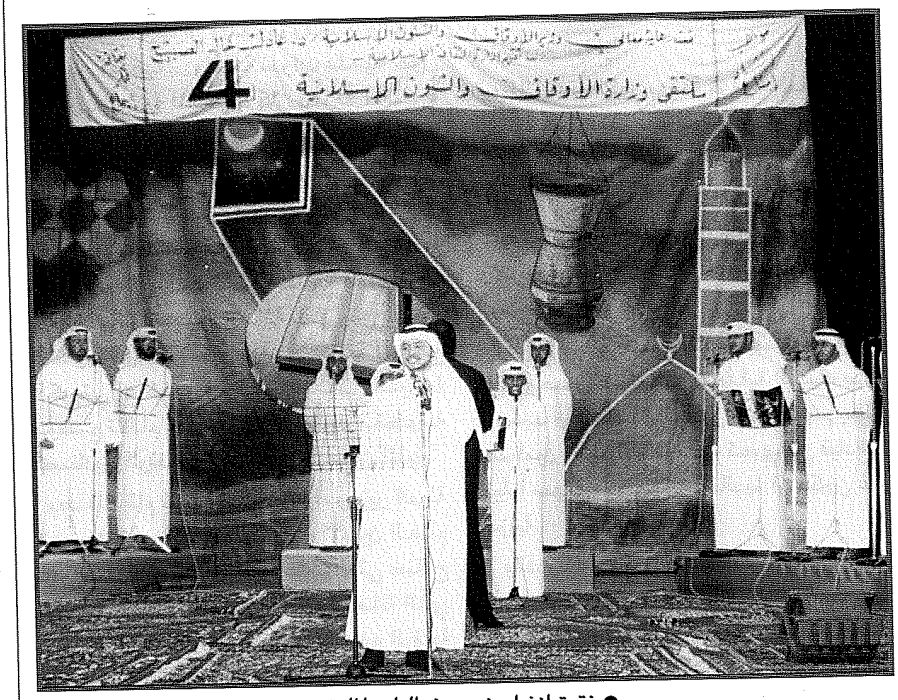

● فقرة انشاد ضمن فعاليات الملتقى

الملتقى السادس للأمانة العامة للأوقاف

كتب : تمام أحمد

تقييماً لتجربة الأمانة العامة للأوقاف بعد مضي ست سنوات على قيامها وانطلاقاً من رؤيتها الاستراتيجية للنهوض بالدور التنموي للوقف عقدت الأمانة العامة للأوقاف خلال الفترة ما بين ٧ - ٨ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ١٥ - ١٦ نوفمبر ١٩٩٩م الملتقى السنوي السادس لها تحت شعار «عطاءات مجتمعية».

وخلال حفل الافتتاح الذي أقيم بمبنى الأمانة بالدسمة أكد نائب رئيس الوزراء ووزير الدولة محمد ضيف الله شرار باعتباره ممثل راعي الحفل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء: أن تشريف دولة الكويت بتكليفها من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي مهمة تنسيق العمل الوقفي على صعيد العالم الإسلامي ككل لم يستند إلى فراغ أو مجاملة لدولة الكويت، بل هو بسبب إنجازات مشرقة على مختلف أصعدة العمل الذي تتصدى له الأمانة العامة للأوقاف وهو ما شهد به المواطنون والمسؤولون في مختلف المؤسسات.

وأوضح شرار أن هذه السنوات الست شهدت تطوراً متنامياً وصلت أخباره إلى أسماع العالم الإسلامي الذي عهد للكويت ممثلة في الأمانة العامة للأوقاف بمهمة تنسيق العمل الوقفي على صعيد العالم الإسلامي كي تنقل من تجربتها - ومن تجارب الآخرين الدروس المستفادة لتعمم على مختلف الأقطار الإسلامية في إطار رؤية استراتيجية للنهوض بالدور التنموي للوقف.

وأشار شرار للخطوات الكبيرة والعطاء الحافل المتميز للأمانة والذي تجاوزت به بجدارة تحديات ومصاعب البناء.

وانطلقت في تجربة رائدة حيث شيدت بناء مؤسسياً يتسم بالكفاءة والقدرة على الإنجاز، وأن تبدع وتطور أدوات ووسائل ونظماً للعمل حديثة وعصرية.. وعاد الاتجاه لإنشاء أوقاف

جديدة، وامتداد مظلة خدمات الوقف إلى العديد من قطاعات المجتمع وفئاته بالإضافة لنجاح ملموس في تحقيق مؤشرات عالية لاستثمار أصول الأوقاف.

وأكد شرار أن إحياء سنة الوقف وتأكيد دوره الحضاري وتعظيم إسهاماته في خدمة المجتمع وتنميته والنهوض به في مختلف المجالات ليس من المستحدثات وإنما هو المفهوم الحقيقي والأشمل والأوسع للبر والخير وأضاف أن شعار الملتقى «الوقف عطاءات مجتمعية»، يعبر عن جوهر الفلسفة التي تقف خلف العمل في التجربة الوقفية المعاصرة... فعملية إيقاف الأموال تعتبر إحدى صور حركة المجتمع المدني في توفير آليات نموه وتطوره وضمان الخير له وللفئات المحتاجة من أبنائه.

كلمة الأمين العام للأمانة:

من جانبه، قال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبدالمحسن العثمان أنه على الرغم مما مرت به الأمانة من ظروف استثنائية هذا العام، فقد حافظت على مستوى أدائها، بل وتفوقت في مجالات عدة... وقد بلغت قيمة الأوقاف الجديدة والتبرعات التي حصلت عليها الأمانة خلال هذا العام ثلاثة ملايين دينار كويتي، كما أن عوائد الاستثمار من أول يناير وحتى ٣٠ سبتمبر بلغت ٨ ملايين و ٢٨٨ ألفاً، و٤٠٣ دنانير كويتية بعد خصم المخصصات أي بزيادة ١,٣٢٪ عن مثيلتها العام الماضي.

وأشار لتوقيع اتفاقات مهمة مثل إنشاء مركز تنمية المعلم بالتعاون مع وزارة التربية وجمعية المعلمين واللجنة الوطنية لدعم التعليم وإنشاء محفظة إعلامية لمكافحة المخدرات بالتعاون مع اللجنة الوطنية واتحاد الجمعيات التعاونية.. وأضاف العثمان: أن هذا العام شهد توزيع جوائز مسابقة الكويت للتميز المؤسسي في سنتها الأولى، بالإضافة لإنجازات أخرى عدة، وأوضح العثمان أن روح الفريق الواحد وتفاني موظفي الأمانة في أعمالهم وشيوع قيم العمل المؤسسي وراء هذا المستوى من الإنجازات على صعوبة المرحلة التي مرت بها الأمانة هذا العام.

وأكد العثمان أن سعر الوظيفة في الأمانة مقارناً بسعر الوظيفة البديلة هو الشيء الوحيد الذي أدى إلى تسرب معظم موظفي الأمانة أو امتناع الكفاءات عن الانضمام إليها... كما أنه العامل الذي يدفع بعض كفاءات الأمانة حالياً للتخطيط للخروج منها خلال الفترة المقبلة... وأعرب العثمان عن أمله أن تشهد الفترة القادمة تطوير وتأصيل نظام عادل للأجور يحقق الاستقرار للكفاءات الوظيفية المتميزة داخل الأمانة.

● المشاركون في الندوة

إنجازات طيبة

وأعرب العثمان عن سعادته بوجود الفائزين بجوائز مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف للسنة الأولى والتي تنظم تحت رعاية سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء... وقدم الأمين العام عرضاً موجزاً لإنجازات الأمانة على صعيد العمل الخارجي، مشيراً لقيامها بدور الدولة المنسقة للوقف بين الدول الإسلامية على أكمل وجه من خلال برنامج يشمل ٩ محاور من بينها إصدار كشافات عن الأدبيات الوقفية في الكويت وإيران والمغرب ومصر والهند والأردن وتركيا... وإقامة ندوات علمية حول التجارب الوقفية المعاصرة كان آخرها الأسبوع الماضي بالمغرب تحت رعاية الملك محمد السادس.

وتحدث عبدالمحسن العثمان عن مستقبل الصناديق والمشاريع الوقفية، مشيراً لمشروع تقويمها والتي أكدت نتائجه حتمية استمرارها كأداة استراتيجية للأمانة للنهوض بالدور التنموي للوقف وتفعيل دوره في تنمية المجتمع الكويتي مع ضرورة تطوير أساليب تحقيقها بوضع نظام جديد لها وتحديد منظومة الصناديق الوقفية التي ندخل بها القرن المقبل.

بعد ذلك قام نائب رئيس الوزراء ووزير الدولة محمد ضيف الله شرار والأمين العام عبدالمحسن العثمان ومنسق عام الملتقى صلاح الغزالي بافتتاح المعرض الدائم للأمانة الذي حوى إنجازات كل الصناديق والمشاريع الوقفية وشمل المعرض المتنقل للتنمية العلمية... والوحدة المتنقلة لفحص أمراض القلب.

هذا، وقد أقيمت ضمن فعاليات الملتقى ندوة «الأمانة العامة للأوقاف... إنجازات» شارك فيها كل من د.أحمد محمد علي رئيس البنك الإسلامي للتنمية بجدة وعبدالمحسن العثمان الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف، وفيصل عبدالعزيز الزامل المدير التنفيذي للكويت بالبنك الإسلامي للتنمية، كما أقيمت حلقة نقاشية شارك فيها كل من الشيخ الدكتور خالد المذكور، الأستاذة خوله العتيقي، ود.عايد المناع، وأدارها يوسف الجلاهمة... وشارك في المناقشة عبدالمحسن العثمان وعبدالوهاب الحوطي وداهي الفضلي وفريق علمي من الأمانة قام بعرض مشروع تقويم الصناديق والمشاريع الوقفية.

وطالب د.المذكور بوقفة لمراجعة ما أنجزته الأمانة وإجراء دراسة للوقف قديماً وحديثاً، وأشاد بتطوير الأمانة لنفسها ورفعها شعار التنمية.

بينما وصفتها خولة العتيقي بأنها عمل رائد ونموذج يحتذى بين المسلمين، مؤكدة ضرورة الوقفة والتقييم.

وطالب د.عايد المناع الأمانة بمساعدة الأسر التي يحبس عائلها في قضايا الشيك بدون رصيد ومساعدة البدون بصفتهم بشر ومسلمين واتهم الأمانة بأنها تحوي في قياداتها تياراً سياسياً واضحاً وطالبها أن تكون غير حزبية.

وقد رد عبدالمحسن العثمان على هذه الملاحظات وانتهت الحلقة النقاشية بتوجيه الشكر للعاملين بالأمانة على جهودهم وفي ختام الملتقى أقيم حفل تكريم ٣٥ من الواقفين والمتبرعين لأوجه الخير في الأمانة. ■

نظمته وزارة الأوقاف وكلية الشريعة :

كتب: د. عماد الدين عثمان - تمام أحمد

مؤتمر ملامح استراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة

نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت مؤتمراً علمياً تحت عنوان: «ملامح استراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة»، تحت شعار الهوية في مواجهة العولمة»، وذلك خلال الفترة من ١٢ - ١٦ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠ - ٢٤ نوفمبر ١٩٩٩م تحت رعاية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح النائب الأولى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية.

أهداف المؤتمر:

وقد هدف المؤتمر إلى تحقيق أهداف عدة رئيسة منها: وضع المعالم الأساسية الاستراتيجية للمشروع الإسلامي في مطلع القرن الحادي والعشرين، والنهوض بواقع العمل الإسلامي المعاصر، تطويراً للإيجابيات وتلافياً للسلبيات، والتنبية إلى أخطاء العولمة الحديثة بمختلف أبعادها وأشكالها، وتفعيل عالمية الإسلام، منهجاً وآليات في مواجهة العولمة لإيجاد البديل الصالح، وتطوير الخطاب الإسلامي على جميع المستويات وفي مختلف الميادين، على وجه يحقق الأصالة والمعاصرة.

محاور النقاش

واشتملت فعاليات المؤتمر على إحدى عشرة جلسة عمل انقسمت إلى جلسات علمية، وأخرى عملية، وضمت عدداً من المحاور والندوات بما فيها ندوتان للنساء. وجاء المحور الأول حول «العولمة ... الحقيقة والأبعاد» وتحدث فيه كل من الدكتور فتحي يكن والدكتور إسماعيل الشطي والدكتور غازي التوبة، والشيخ سلمان الداود الصباح، أما المحور السياسي، فجاء تحت عنوان «التناقض التاريخي والموضوعي بين المشروع الغربي والمشروع الإسلامي وحاضر فيه الدكتور عبدالله النفيس وعقّب على محاضرته النائب أحمد باقر عضو مجلس الأمة والدكتور عبدالله الشايجي وأدار الجلسة الدكتور فهد صالح الخنة.

وجاء المحور الثالث حول دور الجامعات الإسلامية في النهوض بواقع الأمة وحاضر فيه كل من الدكتور حامد طاهر «الثقافة الإسلامية في الجامعات الشرعية بين التأصيل والتحديث»، والدكتور محمد عبدالغفار الشريف «تطوير التعليم الشرعي، والدكتور صلاح الصاوي «استراتيجية الجامعات الإسلامية للتعليم عن بعد»، والدكتور أحمد العسال «دور الجامعات الإسلامية في الحفاظ على هوية المجتمعات المسلمة»، والدكتور محمد البلتاجي «الرسائل الجامعية وضرورة تلبيتها لواقع الأمة»، والدكتور محمد علي يوسف المحمدي «عقبات في طريق الصحوة الإسلامية ودور الجامعات الإسلامية في علاجها»، والدكتور السيد محمد نوح «أزمة الاختلاط في الجامعات الإسلامية»، أما المحور الرابع الدعوي فتحدث فيه الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حول المشروع الإسلامي الدعوي في مواجهة عصر العولمة، وفي المحور الخامس التربوي تحدث الشيخ محمد قطب حول «المجالات التربوية المطلوبة لإعداد جيل جديد يواجه القرن الحادي والعشرين»، وفي المحور السادس حول العمل الخيري المؤسسي تحدث كل من الأستاذ عبدالقادر

● من جلسات المؤتمر

العجيل والأستاذ أحمد الجاسر والدكتور بسام الشطي. وفي المحور الفكري الرابع حول «العولمة الفكرية والثقافية والحفاظ على الهوية الإسلامية»، تحدث الدكتور صلاح الصاوي، وفي المحور الثامن الإعلامي حول «العولمة الإعلامية وسبل مواجهتها في المجتمعات الإسلامية» تحدث الدكتور باسم خفاجي.

ندوتان للنساء

أما الندوتان المخصصتان للنساء فناقشتا موضوع «المسلمة المعاصرة... إشكاليات وحقائق في عصر العولمة»، وتحدثت فيهما كل من: الأستاذة خولة العتيقي «المسلمة المعاصرة ودورها في حفظ الهوية - إشكاليات وحقائق في عصر العولمة الاجتماعية»، والأستاذة نسيبة المطوع «المسلمة المعاصرة ودورها في حفظ الهوية... إشكاليات وحقائق عصر العولمة التربوية»، والأستاذة نظيرة البدر «المسلمة المعاصرة ومستجدات العمل الدعوي النسائي»، والأستاذة نوال السباعي «المسلمة المعاصرة ودورها في حفظ الهوية... إشكالات وحقائق في عصر العولمة الثقافية».

أمسية شعرية

هذا وقد أقيمت خلال المؤتمر أمسية شعرية تناول فيها الشعراء د.عبدالرحمن العشماوي، والدكتور صلاح الصاوي، والشيخ عواد برد العنزي هموم الأمة الإسلامية وآمالها.

حفل الافتتاح

وفي بداية حفل الافتتاح ألقى الدكتور يوسف حمد الإبراهيم وزير التربية ووزير التعليم العام كلمة راعي المؤتمر معالي الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية جاء فيها:

إن البشرية تستقبل القرن القادم بمفهوم يختلف عما كان سائداً في القرن الماضي من انكفاء الأمة على ذاتها، وسعيها إلى الانشغال بما يخصها، وانحصار أهدافها خارج أوطانها فيما كانت تريد السيطرة عليه، من مصادر الثروة التي كانت تتطلع إليها، فهي تستقبل القرن بمحاولة لبسط شعار العولمة الذي يبتغي به توحيد النظام الاقتصادي في العالم، وإزالة العقبات التي تعترضه من نظم أو عادات أو تقاليد، وما يلزم ذلك ويترتب عليه من انفتاح ثقافي واجتماعي.

وقد صاحب العمل على بسط هذا الشعار تخوف وحذر من طمس الهويات لبعض الشعوب، أو عزلة بعضها ممن يفرض على نفسه صد كل جديد ومعاداته، وتجنب مساراته دون فحصه للأخذ منه أو الرد عليه. والأمة الإسلامية التي يتميز دينها بأنه الدين العالمي الذي ختم الله به رسالته، وجعله خطاباً عاماً لكل الناس إلى أن تقوم الساعة، لا يخشى عليها أن تذوب، كما أنه لا يحسن بها أن تنعزل، وذلك مرهون بفهمها الصحيح لحقائق دينها التي تدعو إلى الاقتراب من الحياة، والانفتاح على الناس، والنظر إلى ما يسود حياتهم، والأخذ منه بكل ما يصلح أمرها وييسره، ويقيم جسوراً من التواصل تنطلق منها إلى غيرها من الأمم حاملة هداها، ومؤكدة عالمية دينها.

وما نحب أن نؤكده هو حرصنا على أن نهيئ في كليات الشريعة أجيالاً من الدعاة يفهمون عالمية الإسلام، ويتخذون من إيمان النظام العالمي الجديد بالعولمة التي تدعو إلى الانفتاح سبيلاً للتعريف بالهوية الإسلامية وتأكيد قيمتها، بل ونشرها في إطارها المشرق المتسامح الذي يجعل منها بديلاً لما يمكن أن تحمله العولمة معها إلى مجتمعاتنا من أعراف وعادات قد تتعارض مع قيم الأخلاق والفضيلة التي لا نستطيع أن نكون مسلمين إلا بالحفاظ عليها.

إن الانفتاح على النظام العالمي لن يكون خطراً علينا إذا ما استمسكنا بالجوهر الصحيح من قيمنا، بل إنه ربما يكون فرصة نجلو للناس حقائق ديننا، ونكشف عن البدائل التي يهيئها لمواجهة مستجدات الحياة دون تجاوز لحدود ما شرعه الله.

كلمة عميد كلية الشريعة

ثم ألقى الدكتور محمد عبدالغفار الشريف عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية كلمة جاء فيها:

إن من واجب الدعاة والعلماء أن يقدموا للعالم ما يحملونه من نظام تشريعي وخلقي واقتصادي واجتماعي وسياسي في إطار النظام العالمي الجديد، الذي بدأت طلائعه تغزو بلادنا وحياتنا، شئنا ذلك أم أبينا.

إن الرفض والاستنكار - وحدهما - لا يكفيان في دفع خطر العولمة التي تهدف إلى تعميم النمط الحضاري الغربي على بلدان العالم كله.

إن العملاق الأميركي قد أعد كل عدده، إعلاماً وتعليماً وثقافة، واقتصاداً، حتى العسكرة، قد أعد كل هذه الأشياء لفرض نظامه العالمي على الجميع.

ودوركم دعاة وعلماء ومربين دور عظيم في حماية هويتنا العربية والإسلامية.

إن غياب المشروع الإسلامي الجاد والتفصيلي - أعني التفصيل الدقيق في كل ناحية من نواحي الحياة، مع بيان أدوات التطبيق، والمدد الزمنية المطلوبة للتنفيذ -، إن غياب ذلك فتح أبواب بلادنا على مصاريعها لقبول النظام العالمي الجديد.

ولذا إذا أردنا أن نثبت وجودنا، ونحمي هويتنا من الذوبان في أتون هذا النظام الجبار، فعلينا أن نتعامل مع وسائل العصر - المباحة - وتسخيرها في إطار عولمة المشروع الإسلامي، وتقديم الإسلام كبديل حضاري حي للبشرية المتعطشة للروحانية، كما هي جوعى للحضارة المادية.

إن شريعة الله الخالدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) لها خصائص وميزات تؤهلها لأن تكون منهاجاً للبشرية كلها، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وأنا لا ألوم غير المسلمين إذا لم يعلموا بعالمية الإسلام، ولا ألوم عوام الناس إذا غابت عنهم هذه الحقيقة. ولكن الرزية كل الرزية أن يتعامل دعاة الإسلام وعلماؤه مع شريعة الله العالمية وكأنما هي شريعة إقليمية أو قبلية تخص جماعة من الناس في أرض جزيرة العرب.

إن عالمية الإسلام تتسع لجميع متغيرات الزمان والمكان، ولذا نص علماء الأصول «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان»، ولا يعنون بذلك الثوابت، إنما الأحكام المصلحية، التي تمس حياة الناس اليومية.

إن واجبكم عظيم، وإن ريادتكم للمجتمع تفرض عليكم أن تبينوا للناس ما أنزل الله لعباده من شرع ميسر صالح لكل زمان ومكان (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه).

إننا اليوم في ظل اجتياح العولمة الحديثة للعالم كله يجب علينا أن نعمل على إحياء العالمية الإسلامية من جديد، لتكون الوجه الآخر للعولمة، الوجه الناصع النقي من الشوائب، الوجه الحضاري المشرق لجيل يؤمن بالأخوة الإنسانية (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

وهذا العمل ليس نفلاً نتقرب به إلى الله تعالى، بل هو فرض إن قصَّرنا فيه تحملنا آثام الأجيال القادمة (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) فمن رضي بالاتباع فقد رضي بالسبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة وكيل وزارة الأوقاف المساعد

وتحدث بعد ذلك السيد عبدالعزيز البدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف المساعد للشؤون الثقافية فقال:

إننا في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أخذنا على عاتقنا بذل كل جهد مستطاع في خدمة العمل الإسلامي، وتنمية المجتمع، والمساهمة في تدعيم قيمه... وترسيخ أعرافه، محافظة على هويتنا العربية الإسلامية ... ومناقشة قضاياه المطروحة على الساحة المحلية، والعالمية... مع التفاعل مع الآخر إيجاباً وسلباً... نفتح ذراعينا لكل جديد نافع... ونرفض كل ضار فاسد.

إن الاستراتيجية التي تنتهجها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تعتمد على التفاعل الإيجابي مع الحضارة المعاصرة بأبعادها الثقافية والاجتماعية والعمل على استيعابها، والإسهام الإيجابي فيها، ومناقشتها، كل ذلك وفق رؤية إسلامية شرعية تراعي الحفاظ على سماتنا الحضارية والثقافية الأساسية.

إننا نأمل من هذا المؤتمر الذي يضمُّ نخبة من المفكرين المبدعين، ورواداً من حاملي مشاعل الهدى، والنور... أن يساهم في تقديم تصورات لاستراتيجية المشروع الإسلامي في مطلع الألفية الثالثة... وبخاصة في زمن يشهد ثورة ثقافية، ومعلوماتية، جعلت من عالمنا قرية صغيرة.

إننا مطالبون أن نقدم رؤيتنا الحضارية، وحلولنا الإسلامية لقضايانا المجتمعية،

● حضور مكثف لجلسات المؤتمر

والإقليمية، والعالمية.

ومن هذا المنطلق كان لزاماً علينا أن نُعرِّف بحضارتنا الإسلامية ذات المبادئ الإنسانية المثلى، ونوضِّح أهم مرتكزاتها، وأن ننهض بأمتنا إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية، وبناء الذات، فعالم اليوم متعطشٌ إلى القيم النبيلة، والعدالة الاجتماعية، والعقيدة الصافية، وهذه هي رسالتنا «رسالة الأمة المحمدية» التي زكَّاها الله فجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحقُّ الحقَّ.

إن العولمة فيما أرى تعني في الواقع سيادة حضارة معينة على حضارات أخرى، وترويج قيم ذات تأثير على قيم الآخرين، في الثقافة، والاقتصاد، والسياسة، وشتَّى مناحي الحياة. وإن كانت العولمة تواجه المقاومة في كلِّ مكان حتى في عُقْر دارها إلا أن وراءها قوى أكبر وأقدر مكوَّنةٌ من رؤوس أموال، ومؤسسات، وأفراد ومجتمعات وتحالفات عالمية. والمشكلة في المقاومة الراهنة للعولمة أنها لا تعي الأدوات الفعالة في هذه المواجهة، فالتجربة تؤكد أن التعامل الأفضل مع العولمة مرتبط بإتقان حركتها، ومراعاة قوانين القوة الجديدة التي تفرضها... وأن السير في هذا الاتجاه سوف يتطلب الكثير من الاستعداد الثقافي والعلميِّ والتكنولوجي... كما يتطلب أيضاً الكثير من الإصلاح الذاتي والسياسي، وهو لا يتناقض ومحاولات حماية الهوية وحماية الذات، هذا الاستعداد هو المفصل والأساس، إذ لا بديل عن عقلية المنافسة والاحتراف ولا بديل عن عقلية اقتناص الفرص عندما تبرز، والإسراع في الخطوات التي تسمح بتحقيق نجاحات.

فلا بد إذاً من المواجهة من خلال إتقان لغتها واقتناء نفس وسائلها وطرقها وفنونها وإبداعها، وفي النهاية هناك منتصر ومهزوم، ناجحون وساقطون، وفي هذه المواجهة الجديدة المنتصر هو الأقدر على التعامل مع العولمة من خلال الاستعداد لها، أما المهزوم فهو الذي وقع فريسة الخوف والارتباك ونسي ضرورات الاستعداد وحاجات البناء، وبين هذا وذاك يقع التحدي الأكبر أمام الأمة وأمام كلِّ من يسعى لحماية الذات والمكتسبات وحفظ كيان الأمة والارتقاء بها.

وحضارتنا الإسلامية هي حضارة عالمية بما تحمله من قيم وهي في صالح الإنسان ومن أجل إسعاده.

التوصيات والقرارات

جاءت قرارات المؤتمر وتوصياته في سبيل الحفاظ على الهوية تجاه العولمة كثيرة ومتنوعة وتنقسم إلى: توصيات عامة شاملة، وتوصيات خاصة بمحاور المؤتمر وندواته.

وتضمنت التوصيات العامة للمؤتمر ما يلي:

- التمسك بالكتاب والسنة في استخلاص الأحكام الشرعية، والسير على هداهما في جميع مناحي الحياة، مع الاستفادة من التراث الفقهي الإسلامي الذي يعتمد في هذا المنهج القويم.

- ينبغي التعامل مع العولمة بما يتفق مع المبادئ والقيم الإسلامية، للمشاركة الفاعلة

في المجتمع العالمي، وتقبّل ما يتفق مع هذه القيم من نظم وأحكام، والعمل على نشر المبادئ الإسلامية، التي تعنى بالشؤون الإنسانية العامة، في جميع مناحي الحياة، ونبذ ما عدا ذلك والحذر كل الحذر من سلبياتها.

- العمل على إحداث تغيير شامل في مناهج وأهداف وأساليب التربية في المنازل وفي المدارس والمساجد، وأجهزة الإعلام لتتفق في نهجها العام مع المبادئ والقيم الإسلامية، ومتطلبات العصر.

- الاهتمام بالنشاط الدعوي والإعلامي والاجتماعي، ووضع البرامج المتكاملة لبث رسالة الإسلام بكل الوسائل الإعلامية التقليدية والمستجدة «كالإنترنت» والقنوات الفضائية المتخصصة، ليقف العالم على أحكام الإسلام بعيداً عن التهوين أو التهويل باعتباره الدين العالمي المتوافق مع المصالح الإنسانية العامة والخاصة.

- التركيز على أن المرأة المسلمة قد تحررت بالإسلام ولا تريد أكثر مما منحها الإسلام من حقوق، وما يحملها من واجبات حتى لا تذوب في قيم العولمة التي تتعارض أو تتناقض مع القيم الإسلامية التي كفلت لها الحياة الإنسانية الكريمة التي تتفق مع طبيعتها ومع تفعيل دورها في مجالات الحياة العامة.

- التأكيد على ضرورة أن تتلافى المعالم الأساسية والاستراتيجية للمشروع الإسلامي في مطلع القرن الحادي والعشرين، جميع سلبيات العولمة الحديثة بمختلف أبعادها وأشكالها وتعمل على تفعيل الإسلام في منهجه وآلياته لتوفير البديل الصالح لمخاطر العولمة المعاصرة.

● جانب آخر من الحضور

عالمية الإسلام

أما توصيات المحور الفكري فجاءت كما يلي:

- ضرورة التفريق بين العالمية التي جاءت بها شريعة الإسلام وما تحمله من خير ورحمة إلى العالم، وبين العولمة وما تعنيه من الهيمنة واستلاب الآخرين لحساب القوى العظمى.

- ضرورة تخير واصطفاء المظاهر الإيجابية والآليات التقنية المقبولة للعولمة، كسهولة الاتصال وتوافر التقنيات للاستفادة منها في مجالات الدعوة والبلاغ العام لدين الله.

- العمل على توحيد الجهود وإزالة التناقضات داخل الصف الإسلامي، وحشد الجهود في خط المواجهة الأول لتحدي مثالب العولمة وسلبياتها.

وضرورة إعادة النظر في مفردات المشروع الفكري الإسلامي على مستوى وسائل العمل وآليات التعبير في ضوء ظواهر العولمة.

- تأكيد الحاجة إلى إحياء فقه الاختلاف وآدابه في المسائل الاجتهادية في ضوء منهج السلف الصالح، وترتيب أوليات المواجهة كما تملي الضرورات العملية والعلمية.

الإسلام والغرب

وتناولت توصيات المحور السياسي النقاط التالية:

- التأكيد على أن العلاقة بين الإسلام والغرب ذات وجهين: سياسي وفكري، ولابد من إدراك منهج الخطاب المعرفي والفكري للغرب تجاه الإسلام، والتعامل معه في ضوء السياسات الشرعية المقررة.

- ضرورة قيام العلماء والدعاة بواجبهم تجاه الأوضاع السياسية للأمة، نصحاً وتسديداً ونقداً وتبييناً مما يصحح الأخطاء ويصلح الأوضاع.

- على المسلمين العمل على إقامة وحدة سياسية وثقافية واقتصادية وعسكرية فيما بينهم بقدر ما يمكنهم ذلك، لتحقيق التحرر من التبعية لغيرهم.

- إدراك الأهداف الاستراتيجية للغرب في المنطقة، والتعامل معها من خلال هذا الفهم الواقعي غير العاطفي لمصالح الغرب في العالم الإسلامي.

- التأكيد على أن أحد أهداف حملة التغريب المعاصرة هو إعادة صياغة دور المرأة في العالم الإسلامي على النمط الغربي وأهمية مقاومة ذلك. ■

التطرف ظاهرة عامة

تضمنت توصيات المحور الدعوي ما يلي:

- إبطال الدعوى القائلة: إن الإسلام هو العدو الأول للإنسانية، وتأكيد أن الإسلام رحمة للناس كافة: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً).

- مواجهة الحملة الغربية المنظمة لوصم الإسلام بالتطرف والأصولية، وبيان أن الأصولية والتطرف ظاهرة عامة لدى مختلف أصحاب الديانات والمذاهب.

- كشف المخططات المعادية للإسلام عامة، واليهودية والصهيونية منها خاصة، حتى لا يقع الناس في شباكها من حيث لا يشعرون. ■

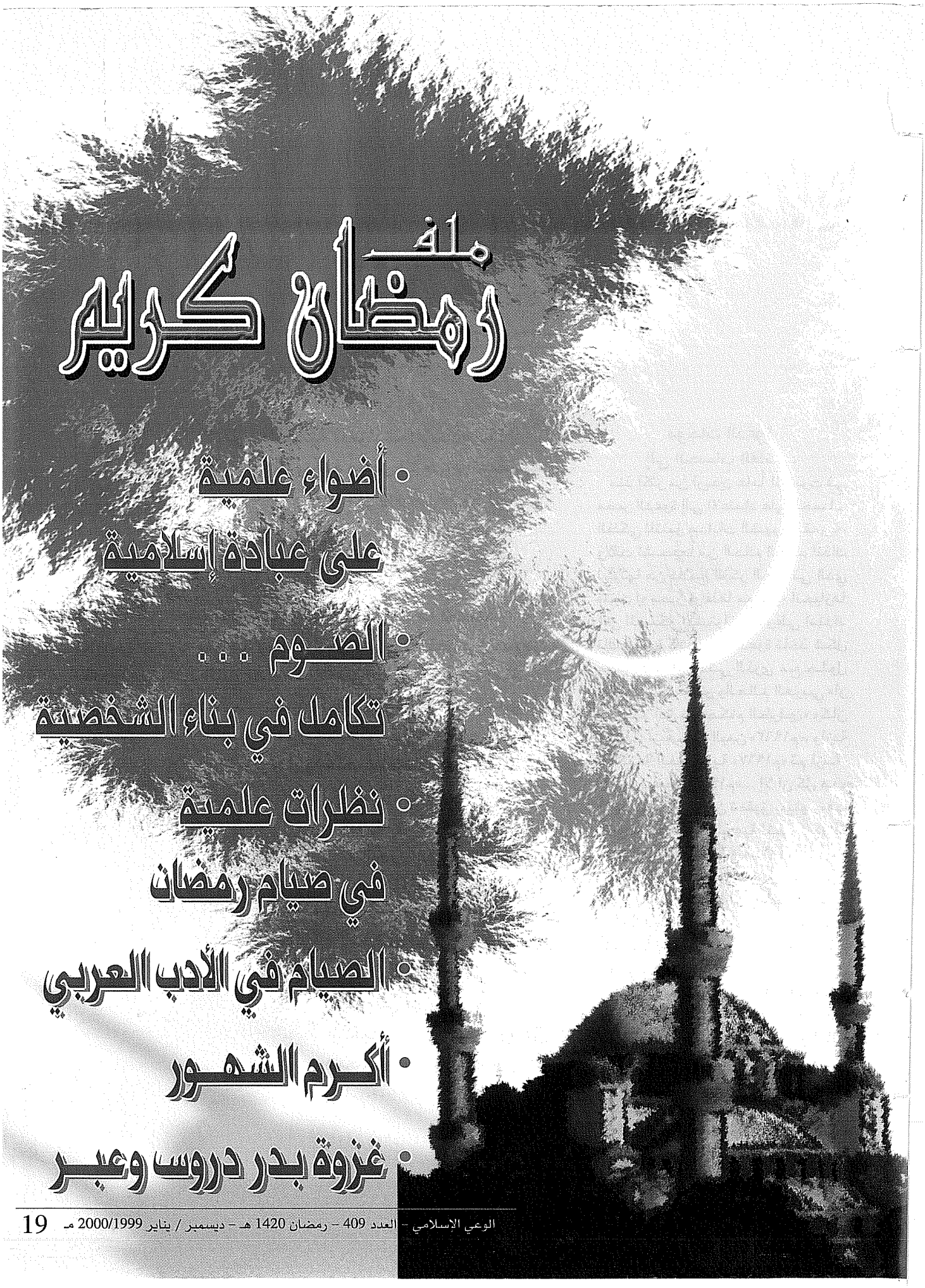
ملف
رمضان كريم
• أضواء علمية
على عبادة إسلامية
• الصوم ...
تكامل في بناء الشخصية
• نظرات علمية
في صيام رمضان
• الصيام في الأدب العربي
• أكرم الشهور
• غزوة بدر دروس وعبر

هلال رمضان . . . ودورة الزمان

أضواء علمية على عبادة إسلامية

بقلم : أ.د. عفيفي محمود عفيفي

«من الأسرار العلمية للعبادات الإسلامية أن مواقيتها مرتبطة بدورة بعض الأجرام السماوية هي بالتحديد: الأرض التي يعيش عليها الناس المكلفون بالعبادة، والشمس والقمر اللذان يبصرونهما بعيونهم المجردة... فالعبادة اليومية . وهي الصلاة . موقوتة بمواعيد شروق الشمس وغروبها وما بينهما من ضوء تختلف درجة ميله على ما تحمله الأرض من موجودات، وهذه الظواهر هي التعبير الملموس للدورة اليومية التي تدورها الأرض حول محورها أمام الشمس، أما العبادات الحوْلية «السنوية» . وفي مقدمها الصيام . فهي موقوتة بموعد ظهور الهلال واختفائه «وهو الجزء المضيء من القمر»... وهذا هو المظهر الملموس لدورة القمر الشهرية حول الأرض... هذا التزامن بين العبادة وبين حركة هذه الأجرام إنما هو تجسيد للتواصل الروحي بين العابد والمعبود الذي خلقه، وخلق هذه الأجرام بما عليها ومنْ عليها ...».

موجات الدعوة إلى الحساب الفلكي :

منذ أكثر من أربعين عاماً انتشرت في مصر الدعوة إلى الاعتماد على الحساب الفلكي للتنبؤ ببدايات الشهور القمرية، ولاقت تشجيعاً من الحكم القائم آنذاك لكونها من ملامح الفكر العلماني الذي فتحت له مصر نوافذها مع بداية انحيازها إلى المعسكر الاشتراكي... وعلى امتداد تلك الفترة كانت هذه الدعوة تأخذ شكل موجات تعلو حتى الذرىٰ مع حلول الأزمات بين مصر والعالم العربي «أو بتعبير أدق بين حكام الطرفين» وكان أبرزها: أزمة حرب اليمن «١٩٦٣م»، وأزمة النكسة العسكرية «١٩٦٧م» ثم أزمة كامب ديفيد «١٩٧٨م»... إلا أن كل هذه الموجات لم تتمكن من تحقيق بغيتها وهي تقويض القاعدة الشرعية لتحديد بداية شهر الصوم باستطلاع الهلال عملاً بقول النبي ﷺ : «صوموا لرؤيته... وأفطروا لرؤيته» تلك القاعدة التي ظلت السيادة معقودة لها بفضل الوحدة العقدية ورسوخ المؤسسات الإسلامية في كل بقاع العالم العربي.

غير أن خفافيش العلمانية عادت تحلّق في سماء مصر «بعد أن عادت إلى أحضان العرب» وكان ذلك منذ نحو ثماني سنوات وبالتحديد بعد اندحار الغزو العراقي عن الكويت حيث قام الجنود المنسحبون بإشعال النيران في بعض خزانات النفط... وهنا ابتدع دعاة العلمانية الجدد حجة تبدو وجيهة هي أن سُحُبَ

الدخان الأسود التي جلّلت سماء بلاد الخليج العربي وما حولها من بلاد، ضربت ستاراً كثيفاً يحجب رؤية الهلال، وكانت هذه أول كلمة حق تُقال على امتداد مسيرة تلك الدعوة، إلا أن ما أريد بها كان هو الباطل بعينه: ألا وهو التعميه عن الشق الثاني من الحديث الشريف: «فإن غم عليكم فأتمُّوا الشهر ثلاثين يوماً». ولكن - وبفضل الله - فطن الأزهر الشريف ودار الإفتاء إلى تلك الخدعة الجديدة وتمكنّا من احتواء آثارها... وظل المبدأ الشرعي سارياً في ظل تضامن عربي لم يسبق له مثيل.

التقاويم والحسابات الفلكية في الميزان:

وبفضل سماحة الإسلام ومناخ الحرية السائد في مصر ظلت فكرة الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد بدايات الشهور القمرية موضع مناقشات مفتوحة تتجدد قرب نهاية شعبان من كل عام... ولقد أتاحت لي جولاتي خارج حدود الوطن العربي أن أكتشف أنها أيضاً قضية الموسم في كبريات مدن أوروبا وأميركا، حيث توجد مراكز إسلامية متطورة وتعيش جاليات إسلامية كبيرة العدد، اختلفت جنسيات أعضائها ومن ثم تباينت مشاربهم الثقافية، ويبدو أن مناخ الحرية الفكرية السائد هناك يفسح المجال للتعبير عن الأفكار الجريئة التي يعشقها أولئك الذين استوطنوا في مهجرهم وعايشوا الانفتاح الفكري المتحرر من كل القيود.

وفي شتاء العام الماضي أتيحت لي فرصة شهود ندوة نظمها المركز الإسلامي في مدينة «أن أربر» عاصمة ولاية ميشغان الأميركية مساء التاسع والعشرين من شعبان ١٤١٩هـ لمناقشة هذا الموضوع، اشترك فيها ثلاثة من أقطاب الفكر: أستاذ في الشريعة الإسلامية، وأستاذ في علم الفلك، ومستشرق ذو خبرة طويلة بالحضارات القديمة، وعلم بالتقاويم الفكرية «اعتنق الإسلام منذ بضعة أعوام» وكان هو أول المتحدثين، وقال ما خلاصته:

١ - التقويم الشمسي «وهو الذي يسمى حالياً بالميلادي» وحدته الزمنية هي السنة الشمسية وطولها ٣٦٥ يوماً وست ساعات تقريباً، وهي متوسط المدة التي تأخذها الأرض لتتم دورة واحدة حول الشمس، وتمر خلال رحلتها باثني عشر برجاً، وكان الإغريق واضعو هذا التقويم قبل الميلاد ببضعة قرون قد اصطلحوا على أن يكون دخول الأرض في برج الحوت «أول مارس/ آذار»، هو بداية السنة وخروجها من برج الدلو «آخر فبراير/شباط»، هو نهايتها، وعندما ظهرت المسيحية تم تقديم بداية السنة شهرين لتتزامن مع شهر ميلاد السيد المسيح «يناير/كانون ثاني»، موعد دخول الأرض في برج الجدي. وأن مدة بقاء الأرض في نطاق البرج الواحد تتراوح بين ثلاثين وواحد وثلاثين يوماً وهذا هو متوسط طول الشهر الشمسي.

٢ - التقويم القمري «وهو المسمى حالياً بالهجري» وحدته الزمنية هي الشهر القمري ومتوسط طوله تسعة وعشرون يوماً واثنتي عشرة ساعة تقريباً وهي المدة التي يتم فيها القمر دورة واحدة حول الأرض، وعندما تتم الأرض دورة حول الشمس يكون القمر قد دار حول الأرض اثنتي عشرة دورة وقطع شوطاً مدته نحو أحد عشر يوماً، في دورة حولية جديدة، اصطلح على أن تكون بداية سنة قمرية جديدة، وبناء على ذلك، فإن طول السنة القمرية يقدر بنحو ٣٥٤ يوماً في المتوسط «أي أقل من السنة الشمسية بنحو أحد عشر يوماً وبضع عشرة ساعة»... ولم يتم تسجيل تقويم قمري ثابت إلا في عهد عمر بن الخطاب الذي جعل عام الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بداية للتقويم، ولم يزحزح بداية السنة شهرين لتتزامن مع تاريخ مولد النبي، بل أبقى الوضع على ما كان عليه حتى يظل الحج مسك ختام العام.

ثم استلم أستاذ علم الفلك «الميكروفون» وتحدث عن دور الحساب الفلكي في التنبؤ ببدايات الشهور القمرية، وأوضح كيف أن أجهزة الرصد تلتقط صوراً للجزء المضيء من القمر ليلة بليلة وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، وأن أجهزة التصوير تسجل ذلك على خرائط دلت دراستها على أن خروج القمر من المحاق «الإظلام التام» وهو المبتدع مباشرة بظهوره على شكل قوس مفتوح «يميني التحدُّب» هو اللحظة الفاصلة بين شهرين متتاليين... وأن سجلات السنوات العشر الأواخر تدل على أن هذا التحول يحدث كل ٢٩ يوماً وعشر ساعات وثلاثين دقيقة مع هامش بالزيادة أو النقصان - في بعض الشهور - لا يتجاوز ست ساعات وأن الفلكيين «يجبرون كسر اليوم إلى أقرب رقم صحيح وبذلك يُقدَّر طول الشهر إما بتسعة وعشرين يوماً أو بثلاثين يوماً «وفي الأغلب يتم ذلك بالتبادل المنتظم»، وأن التطور الكبير في أجهزة الرصد قد خفض احتمال الخطأ إلى رقم متواضع يتراوح بين ست ساعات وثماني عشرة ساعة حسب درجة صفاء السماء، وبناء على ذلك، فإنه من الممكن الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد بدايات الشهور القمرية وعلى رأسها رمضان - لبضع سنوات مقدماً بدلاً من تكرار عمليات الاستطلاع البصري لكل هلال على حدة.

وأخيراً أحدّث أستاذ الشريعة الإسلامية الذي استهل كلامه بتلاوة الآية ١٨٥ من سورة البقرة: (شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)، وقال: إن القرآن هو دستور المسلمين وأن السنّة النبوية هي المذكرة التفسيرية للدستور القرآني ففيها تفصيل ما أجمله، وبيان ما لم يرد ذكره فيه، ومن هذا النوع الأخير طريقة تحديد بداية شهر الصيام، وفي هذا ورد بالنص في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» وأشار إلى الهلال، فإن غُمَّ عليكم فأتموا شهركم ثلاثين يوماً»... وهذا نص مُلْزِم لا اجتهاد معه، ولا بأس إطلاقاً بالاستعانة بأجهزة الرصد الفلكي لاستطلاع مولد الهلال في كل شهر على حدة لأن هذا يدخل في نطاق الرؤية البصرية، كما أن هذه الأجهزة حكمها حكم النظارات الطبية التي يستعين بها ضعاف البصر.

سؤال محرج... وإجابة مفحمة:

كان من الممكن أن تنتهي الندوة بهذا القول الفصل من رجل الشريعة الإسلامية: لولا أن منظم الندوة أعلن أنه ورد للمنصة سؤال موجَّه لفضيلة أستاذ الشريعة

الإسلامية من الأخت المستمعة «روزماري» تقول فيه: «مع احترامي للإسلام والمسلمين: ألَمْ يكن بالإمكان تحاشى كل هذا الجدل الموسمي حول طريقة تحديد بداية شهر الصيام لو أنه كان يتم في شهر ميلادي محدد البداية والنهاية طبقاً للتقويم الشمسي المعمول به منذ قرون قبل الإسلام والذي لاشك كان معروفاً وسارياً وقت نزول القرآن؟».

سرت في القاعة همهمات لعدم الارتياح ولكن منظّم الندوة ناشد الحاضرين الهدوء وذكّرهم بالحرص على مبدأ حرية الفكر واحترام الرأي المضاد، ثم دعا فضيلة أستاذ الشريعة للرد على سؤال المستمعة، فقال ما خلاصته: إن الصيام عبادة ذات منزلة خاصة «وتلا الحديث القدسي الذي يدل على ذلك»، ولذلك اختار الله لصيام المسلمين شهراً مفضلاً هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن والذي فيه ليلة هي خير من ألف شهر، ولئن كان رمضان شهراً قمرياً فإن القمر كالشمس آية من آيات الله ونحن لا نملك حيال ذلك شيئاً».

وهنا نهضت السائلة وقالت في جرأة مغلفة بكثير من الأدب: «عفواً فأنا غير مسلمة، ولكني كباحثة في مركز للدراسات الشرقية أتحرّى الحقائق المجددة مدعمة ببراهين عقلية لا نقلية».

وهنا استأذن المستشرق في أن يتولى هو مناقشة السائلة ثم قال: «بحكم أنني كنت مثلك مسيحياً وأنك ستكونين عما قريب مستشرقة مثلي، فإنني سأعرض عليك مجموعة من الحقائق عن التقويم الميلادي الذي تتحمسين له: فقد تعرض لتدخل القياصرة من جانب، ورجال الكنيسة من جانب، «انسياقاً» للصراع البارد الذي كان قائماً بين الفريقين، ونتيجة لذلك، لحقت بالتقويم بعض التحريفات، وأهمها إصرار الإمبراطور «أوغستين» على زيادة أيام الشهر المسمى باسمه يوماً كيلا يكون أقل شأناً من الإمبراطور «جوليوس» وبذلك أصبح عندنا شهران كبيسان متتاليان «يوليو وأغسطس»، وبالمثال أصر رجال الكنيسة على جعل شهر ميلاد السيد المسيح شهراً كبيساً، وقد استقطعت الزيادات من شهر فبراير فأصبح ٢٨ يوماً بدلاً من ثلاثين. ونتيجة لهذا أصبحت البدايات المسجّلة لمعظم الشهور غير متزامنة مع مواعيد دخول الأرض في الأبراج المقابلة، والتحريف الثاني هو قيام أحد قياصرة الروم بزحزحة بداية أحد الشهور أسبوعاً لكي تتزامن مع تاريخ إحدى مناسبات حياته الشخصية، وقد جرّ هذا إلى زحزحة بدايات باقي الشهور، وقد أدى هذا إلى ازدواجية تاريخ ميلاد السيد المسيح (٢٤ ديسمبر في أوروبا والسابع من يناير في الشرق)، والأخطر من ذلك أن مدة أي برج لم تعد متطابقة مع الشهر المقابل، بل أصبحت تحتل أسبوعاً تقريباً في آخر الشهر السابق، ويحتل باقيها ثلاثة أسابيع أو أكثر قليلاً في الشهر الحقيقي... وهذا مازال مثبتاً في أجندات المنجّمين (وهي تنشر في كثير من الصحف تحت باب حظك اليوم»)... وكل هذه التحريفات تجعل الخطأ في تحديد البدايات الحقيقية للشهور الميلادية أفدح من أن يعتمد على التقويم الميلادي كمصدر صالح لاختيار شهور العبادة بعد أن لم يعد فيه شهر واحد تتطابق بدايته ونهايته مع الظاهرة الفلكية التي قام هذا التقويم على أساسها...».

واكتفي بهذا لأترك المجال للزميلين الفاضلين لوضع النقط فوق الحروف».

وهنا انبرى أستاذ الفلك قائلاً: إننا - والحال هذه - فلا سبيل أمامنا لتحديد بادية أي شهر ميلادي تحديداً يقينياً إلا بالرصد الفلكي لموعد دخول الأرض في البرج المقابل له، وأقرب برج تفصل بيننا وبينه مئات السنين الضوئية «السنة الضوئية = عشرة ملايين مليون كيلو متر».

وعلى الرغم مما تحت أيدينا من أجهزة دقيقة، فإننا نلاقي مشقة كبيرة في تحدي هذه الظاهرة التي قد يصل معدّل الخطأ فيها يوماً كاملاً أو أكثر... أما رصد القمر فهو أسهل مئات المرات، فهو لا يبعد عن الأرض بأكثر من ٣٨٥ ألف كيلو متر - إذن فالحساب الفلكي لبدايات الشهور القمرية أضبط بكثير.. ومع ذلك فهو حتى الآن - لم يحظ بالرضا من رجال الشريعة».

برهان علمي جدي على وجوب الرؤية:

وهنا رفع أحد الحاضرين يده طالباً أن يتكلم وقدّم نفسه على أنه: «عبدالقيوم - باحث جيوفيزيقي»، وقال: إن هناك عاملاً لم ينتبه إليه الكثيرون على الرغم من أهميته: هو أن سرعة دوران القمر حول الأرض تتأثر بطبيعة مكونات قشرتها، إذ إنها تقل عند مروره فوق مناطق البراكين والزلازل، حيث تتعرى صخور ومعادن ذات خواص مغناطيسية يخترق تأثيرها الغلاف الجوي للأرض ويصل مجالها المغناطيسي إلى مدار القمر فيخفض سرعته، وقد كثرت الزلازل أخيراً في مختلف مناطق الأرض، بل بدأت تحدث في بقاع لا تقع داخل حزام الزلازل، ونتيجة لذلك، فمن الراجح أن موعد ظهور هلال أي شهر يختلف في العام نفسه من بلد إلى بلد، بل في البلد نفسه من عام لآخر، ومثل هذه التغيرات الطارئة لا تكون بالطبع مسجلة في الخرائط التي أعدّت بناء على عمليات رصد سابقة، وهذا عامل آخر من عوامل قصور الحساب الفلكي كأساس للتنبؤ بمواعيد الأهلّة، وبالتالي تحديد بدايات الشهور».

وما أن ختم الأخ عبدالقيوم كلمته

القصيرة حتى سرت في القاعة أصوات الاستحسان التي لم يقطعها إلا صوت منظّم الندوة وهو يدعو فضيلة أستاذ الشريعة إلى التعقيب، فقال فضيلته: «إن ما سمعناه من أهل الذكر في العلوم الفلكية وغيرها من العلوم الحديثة قد زاد إيماننا بأن الإسلام دين يسر لا عسر وأن أحكامه صالحة لكل زمان ومكان، فإلى جانب الحكمة الربانية في اختيار رمضان موعداً سنوياً لصيام المسلمين، فإن هذا الشهر - بحكم كونه قمرياً - فإن تحديد بدايته ونهايته أمر يستطيعه كل فرد سليم البصر لمجرد استطلاع الهلال دون حاجة إلى أجهزة معقدة لا تتوافر إلا للخاصة، كما أن الحقائق التي اكتشفها العلماء حديثاً فيها برهان جديد على وجوب استطلاع الهلال في كل شهر على حدة، وهذا هو ما نادى به نبي الإسلام الذي لم يقرأ كتاباً في أي فرع من هذه العلوم، وفي هذا دليل على أنه «وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى»، ولعل ابنتنا «روزماري» قد وجدت فيما سمعته من أهل الذكر عن عيوب التقويم الميلادي إجابة شافية على تساؤلها - هداها الله»... وعلى الفور وقفت «روزماري» لتعلن أنها سحبت سؤالها بعد أن اقتنعت بما أسفرت عنه هذه المناظرة المستنيرة من دلائل على سماحة الشريعة الإسلامية وتكامل الدين الإسلامي.

ومرت الأيام وانقضى رمضان على خير، وفي صبيحة يوم العيد - بعد أن قُضيت الصلاة - كان أول ما أذيع من نشرة أنباء الجالية الإسلامية هو خبر انضمام الأخت «روزماري» «صاحبة السؤال المحرج عن شهر الصيام» إلى الجالية بعد أن أعلنت إسلامها، وأصبح اسمها «مريم عبدالقيوم»، وقبل انصرافنا نهض الأخ عبدالقيوم «صاحب التعقيب حول سرعة القمر» وأعلن على الحاضرين دعوته إياهم لشهود عقد قرانه على الزميلة الجديدة «مريم» مساء ذلك اليوم.

الوجه الظاهر لفضل الصيام طبقاً للتقويم القمري:

لا مراء في أن اختيار الله شهر رمضان موسماً سنوياً لصيام أمة محمد ﷺ هو أمر تعبدي منزّه عن أي محاولة للبحث وراء الحكمة أو الهدف... ولا شك في أن الله جل وعلا قد أراد لنا بهذا الاختيار خيراً عظيماً احتفظ به في علم الغيب عنده. ومن هذا المنطلق، فإنني اعتقد أن تسليط أضواء الفكر على هذه القضية غايته استهداف الكشف عما يخفيه هذا التكليف من مكامن الخير للمكلفين، لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه من سوء الأدب مع الله سبحانه وتعالى، بل هو - على العكس - أمر منسجم تماماً مع الهدف من التكليف... كما أن ممارسة هذا التفكير إنما هي اجتهاد في تجسيد معاني الطاعة التي هي جوهر كل العبادات. وفي هذا تعميق وتأصيل لإيمان العباد بقدوة من يتقربون إليه بها، وهذه محاولة مشكورة للكشف عن أبعاد جديدة لعظمة الإسلام الذي ارتضاه لهم ديناً.

- وأول نفع يتضمنه اختيار شهري قمري للصيام هو أنه يربط بين العبادة وبين ظاهرة فلكية تدركها حواس المتعبدين هي ظهور الهلال... وهذا الارتباط من شأنه أن يجسد ارتباطهم بمعبودهم عن طريق تحري الهلال وترقب ظهوره ثم مشاهدته... ففي كل ذلك استحضار لعظمة الخالق... ولعل هذا هو المعنى العلمي الكامن وراء أمر رسول الإسلام اتباعه بالتهليل والتكبير والتسبيح عند رؤية الهلال - وهو أمر يتجدد مع بداية كل شهر ويكون له أثره الخاص في آخر ليالي شعبان، حيث يكون ثبوت رؤية هلال رمضان مصحوباً بانتعاشة روحية فياضة، وبخاصة في آخر ليالي رمضان، حيث يبقى المسلمون في المساجد في انتظار الإعلان الشرعي، فإذا لم تثبت رؤية هلال شوال أقاموا صلاة التراويح وهم يغتنمون الزيادة في الخير، وإذا ثبتت الرؤية باتوا وأصبحوا مهللين مكبرين، وبادروا مع الفجر إلى المساجد وقد غمرت الفرحة قلوبهم ودبَّ النشاط في أبدانهم، وفي كلتا الحالين تكون المفاجأة - بعد الانتظار - مدعاة لإنعاش القلب والروح.

وإلى جانب هذه الفائدة التعبدية تتحقق للصائم فائدة من نوع آخر نتيجة للفرق بين طول السنة القمرية «التي هي ٣٥٤ يوماً تقريباً» وطول السنة الشمسية «التي هي ٣٦٥ يوماً وست ساعات»... ففي كل عام يحل رمضان في تاريخ ميلادي مبكّر عن تاريخ حلوله في العام السابق بأحد عشر يوماً، ومن عام لآخر يزيد هذا الفرق إلى اثني عشر يوماً، وبمرور السنين تتجمع الفروق لتصبح شهراً فشهرين فثلاثة أشهر، وعندئذ يهل رمضان في فصل جغرافي جديد فيصوم الناس في الخريف بعد أن ظلوا ثمانية أعوام أو أكثر يصومونه في الشتاء، وبعد انقضاء عدد مماثل من السنين يحل عليهم رمضان في الصيف ثم بالربيع، وهذا التغيير يحفّز الصائم إلى التفكير في مولج الليل في النهار، والنهار في الليل، فيستشعر قدرته مُسيِّراً لدورة الزمان... كما فيه ترويض للأبدان على مواجهة الجوع والعطش في ظروف مختلفة من حيث درجة الحرارة والطول النسبي بين الليل والنهار... فضلاً عن إبعاد الملل الذي كان من المحتمل أن ينتابهم لو ظلوا طوال حياتهم يصومون في ظروف مناخية واحدة في حال ما إذا كان شهر الصيام شهراً شمسياً «وهو الأمر الذي لم يشأه الحكيم العليم والذي نحمده عليه».

وبتوالي مرور السنين إلى أن تنقضي على أول رمضان صامه أي مسلم مدة ثلاث وثلاثين سنة وبضعة أشهر يتجمع الفرق الزمني بين السنة الشمسية والقمرية ليصبح عاماً قمرياً كاملاً، وبهذا يحل رمضان على الصائم ابن الخمسة والأربعين عاماً في الشهر الميلادي نفسه الذي كان قد حل فيها عندما صام للمرة الأولى في حياته... فتتاح له فرصة يستعيد فيها ذكريات صباه... فإذا امتد به العمر حتى بلغ الثمانين أتيحت له فرصة معايشة هذه التجربة النادرة مرة ثانية ليعيش في كهولته مع ذكريات شبابه أو رجولته... ويقف مع نفسه على محطات عمره وقفات ربما رفعته إلى محاسبتها والعمل على تلافي خطيئات الماضي، فلو نجح كان هذا دافعاً له إلى أن يشكر الله الذي جعل الحياة زيادة له في كل خير. ■

الصوم ... تكامل في بناء الشخصية

بقلم : د. حسن عبدالغني أبو غدة

فرض الله تعالى صيام شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة، وكان الصيام قبل ذلك معروفاً في الأديان السابقة، يقول الله تعلى في الآية ١٨٣ ـ ١٨٤ من سورة البقرة: (يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات....)

وقد أومأت هذه الآية وغيرها، إلى أن الصوم ليس غاية لذاته، بل هو وسيلة تعبدية ناجعة لتحقيق الغاية الكبرى التي هي «التقوى»، ومن أجل ذلك ختم الله تعالى الآية السابقة بقوله «لعلكم تتقون». والتقوى في لغة العرب: لفظ مشتق من الوقاية، التي تعني: الحفظ والصيانة، والمنع من الأذى والضرر. وإذا كان الأمر كذلك، فما الذي نتقيه بالصوم؟ وما الذي يحققه الصوم لنا؟

الصوم دورة تربوية:

من فوائد الصوم ومنافعه المقصودة، تهذيب النفس وتربيتها على الخشية من الله تعالى في السرِّ والعلن، إذ لا رقيب على الصائم سوى ربه، فإذا أحسَّ بالجوع أو العطش، أو تراءت له الشهوات والملذات، أحجم عن تناولها وتسامى عنها، بدافع من إيمانه العميق وشعوره القوي بمراقبة الله تعالى له، وفي هذا يصدق الحديث القدسي الذي رواه البخاري: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به».

الصوم التزام وانضباط:

يعتبر الصيام وسيلة فعالة في تعويد النفس على الالتزام والانضباط، ويظهر هذا في تحديد الأوقات التي يُباح فيها الأكل والشرب ونحوهما من المفطرات، وفي تحديد الأوقات التي يُمتنع فيها عن ذلك، قال الله تعالى في الآية ١٨٧ من سورة البقرة: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل...).

كما يظهر هذا الانضباط في التزام آداب الصيام، والبعد عن تفلُّت الأعضاء والجوارح، وكف اللسان عن الجهل في القول... قال النبي - ﷺ - «من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفَّظَ مما ينبغي له أن يتحفَّظ، كفَّر ما قبله» رواه البيهقي وابن حبان في صحيحه. وروى الشيخان أن النبي - ﷺ - قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب - أي لا يسبّ ولا يرفع صوته بالخصومة - فإن سابَّه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم...».

رمضان شهر الرحمة والجود والتكافل:

إن الصيام الشرعي يولد الإحساس المرهف في الصائم نفسه، ويبعث فيه مزيداً من الشفقة والرحمة، وتفقُّد البائسين والمحرومين، الذين ضاقت

عليهم الدنيا بأسباب العيش الكريم المناسب، من غذاء وكساء ولباس ودواء وسكن، يجدون فيه الطمأنية والاستقرار... وهنا يأتي دور الصيام ليحمل الصائم على مواساتهم والرفق بهم، والوقوف إلى جانبهم، وإيصال البسمة إلى أفواه أطفالهم... ولقد كان هذا ديدن الحبيب المصطفى ﷺ - فقد روى الشيخان: «أن رسول الله ﷺ كان أجود ما يكون في رمضان، كأنه الريح المرسلة...» أي: من كثرة هباته وصدقاته وعطائه للجيران والأصحاب والفقراء والمساكين بشكل خاص.

الصوم يحقق المساواة:

من فوائد صيام شهر رمضان المقصودة من الشرع تحقيق معنى المساواة في الانقياد والطاعة والتكليف، لا فرق في ذلك بين فقير وغني، وعظيم وسوقة فكلهم يؤدي فريضة واحدة، يشتركون معاً في بداية الوقت وفي نهايته، لا يتأخر بعضهم عن بعض، ولا يسبق بعضهم بعضاً، ويجمعهم ظرف زماني واحد، ومشاعر متماثلة، تحقق لهم جميعاً مزيداً من التآلف الاجتماعي والتعاضد الأخوي.

ولعل أوضح مثال تطبيقي لهذا المعنى من المساواة، ما نراه - على شاشة التلفاز - في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، حين يجتمع الصائمون - على اختلاف مستوياتهم ودون تعارف سابق - حول موائد الإفطار البسيطة المتواضعة، التي تُعدُّ للجميع، ويحضرها من شاء، دون تردُّد ولا تلوُّم... امتثالاً لقول النبي ﷺ : «من فطَّر صائماً كان له مثل أجره، وصلَّت عليه الملائكة في ساعات شهر رمضان، وعُتق من النار»، رواه الطبراني وابن حبان وابن خزيمة.

الصوم عافية للجسم:

من الأمور المتفق عليها عند الباحثين في العلوم الصحية: أن الصوم «الحمية» يحرِّر الجسم من الالتهابات والميكروبات والصديد، ويخلّصه من الرواسب الضارة والتخمُّرات المؤذية، وهو يريح الأعضاء والجوارح، وينشّط البدن، ويقوِّي الفكر.

بل إن كثيراً من الأطباء يعمدون إلى نصح مرضاهم بالصوم، «تقليل الطعام وضبط مواعيده» وهذا ما قصده الإسلام في تشريعه للإفطار والسحور، ثم الامتناع عن المفطرات بقية اليوم، وصدق رسول الله ﷺ - حيث يقول: «صوموا تصحوا»، رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم.

وقد جاء في إحدى «المجلات المتخصصة» أنه كُتب على مدخل إحدى المصحات الطبية في ألمانيا عبارة «صوموا تصحوا» وكتب في أسفلها عبارة: «محمد بن عبدالله».

هذا، ولا ينكر الأطباء أن الصوم علاج ناجع للأمراض الباطنية والجلدية، وأمراض السكر والالتهابات الكبدية وغير ذلك.

يقول البروفسور إليكسيس كارليل الحائز على جائزة نوبل في الطب: «إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها، تعطل وظيفة أدّت دوراً عظيماً في بقاء الأجناس البشرية، وهي وظيفة التكيُّف مع قلة الطعام. ولذلك كان الناس يلتزمون الصوم في بعض الأوقات. والأديان كلها تدعو الناس إلى الصوم، وظهر الآن أن من فوائده تحريك سكَّر الكبد وتحريك الدهن المخزون تحت الجلد، وبروتينات العضل، والغدد وخلايا الكبد... ما ينتج عنه كمال في الوسط الداخلي للجسم وسلامة للقلب وتنظيف للأنسجة.

رمضان مظهر لوحدة المسلمين في العالم:

يحقق الصوم في رمضان مظهراً واضحاً ومطلباً عزيزاً على نفس كل مسلم، ألا وهو وحدة المسلمين في شتى أنحاء العالم، وهذا المظهر يذكّرنا بأمجاد الإسلام، وبقوة الأمة الإسلامية وتطلعاتها، كما يذكّرنا بقدرات المسلمين وإمكاناتهم في أنحاء الكرة الأرضية - التي يفترض أن توجه اليوم إلى الطريق الأمثل في التكافل والتعاون، ليتحقق للشعوب الإسلامية مزيد من الازدهار والرقي والتقدم.

رمضان شهر التواصل الاجتماعي:

من فوائد شهر رمضان أنه يجمع الأفراد والأسر بعضها إلى بعض، في أوقات الإفطار وفي أوقات السحور، في جو عائلي أسري، تغشاه معالم الألفة والمحبة والإيثار.

كما يحقق شهر رمضان لأهل كل حي، بل لأهل كل قرية ومدينة فرصة للالتقاء والتعارف، وتجديد الصلات والعلاقات الاجتماعية، وذلك في المساجد في أثناء الصلوات، وفي حلقات العلم والوعظ، وفي المحافل والندوات الثقافية والعلمية ما يعود على الجميع بالتآلف والتعاضد والتكافل.

هذه بعض مقاصد الإسلام من شهر رمضان، ومن الصيام فيه، وهي في مجملها تتنوع إلى أهداف تربوية، وسلوكية، وإنسانية، وسياسية، واجتماعية، وتعليمية.

أخيراً: إذا كان في شهر رمضان كلُّ هذه الفيوضات المتنوعة الخيِّرة التي تتجدد كل عام، فلا غرو أن يحتفي الإسلام بهذا الشهر ويفرض صيامه على المسلمين، لأنه الظرف الزماني الأنسب لتصعيد اتصال المسلم بخالقه، اتصال طاعة وانقياد، لترويض النفس والجسم على ما يُرضي الله تعالى، ويحقق المعنى المختزن في قوله: «لعلكم تتقون» وقاية مادية ومعنوية مطلقة. ■

نظرات علمية في صيام رمضان

بقلم : د. حسان شمسي باشا

مع إطلالة شهر رمضان يتوق مئات الملايين من المسلمين لصيام رمضان، وعلى الرغم من أن هناك ما يربو على ٤٠٠ مليون مسلم يصومون هذا الشهر العظيم، إلا أن ليس كل أولئك الصائمين من الأصحاء، فهناك الملايين من المرضى الذين يتوقون لصيام شهر رمضان، ويتحرقون لوعة وأسى أن وجدوا أنفسهم غير قادرين على الصيام. وللأسف الشديد، فمازالت الأبحاث العلمية حول رمضان قليلة جداً، ففي بحث علمي أجري العام ١٩٩٧م، لرصد كل ما نُشر في المجلات الطبية حول تأثير صيام رمضان، وجد الباحثون أنه لم يكن هناك سوى ٢٨٢ بحثاً نشر في المجلات الطبية. وقد أجريت تلك الدراسات في عدد من البلدان الإسلامية وأميركا، وفي شهر ديسمبر ١٩٩٧م عقد في استانبول مؤتمر أقامته منظمة الملك الحسن الثاني للأبحاث الطبية في رمضان، لدراسة تأثير الصيام على الأمراض المختلفة. وقُدِّم في هذا المؤتمر خمسون بحثاً، ومع ذلك تظل تلك الأرقام ضئيلة جداً نظراً للأهمية القصوى لذلك الموضوع بالنسبة للملايين من المرضى المسلمين الذين يتوقون لصيام شهر رمضان.

وفي حين أظهرت الدراسات عدم تأثر فحوص الدم المختلفة من سكر الدم، ووظائف الكلى وشوارد الدم، ووظائف الكبد بالصيام عند الأصحاء، فقد كان هناك بعض التباين في نتائج تأثير الصيام على دهون الدم، حيث أشارت بعض الدراسات إلى أن الكولسترول والدهون الثلاثية لا تتأثر بالصيام لا زيادة ولا نقصاناً، إلا أن دراسات أخرى أشارت إلى زيادة معدلاتها في رمضان. ويعزو الباحثون سبب ذلك لا للصيام، وإنما للإفراط في تناول الطعام واتخام المعدة بما لذّ وطاب عند الإفطار.

ولم تظهر الدراسات العلمية أي تأثير للصيام على هرمونات الدم، كما أكدت الأبحاث انخفاض حدوث الذبحة الصدرية وارتفاع ضغط الدم، وهبوط معدلات الانتحار في رمضان، ولم يشاهد أي ازدياد في نسبة حدوث فشل القلب والسكتة الدماغية أو نوبات نقص سكر الدم خلال شهر رمضان.

مريض السكر في رمضان:

يقدِّر الباحثون - كما يقول الدكتور «عزيزي» في بحث قدّمه في المؤتمر الثاني عن الصحة ورمضان والذي عقد في شهر ديسمبر ١٩٩٧م - أن هناك ٨ ملايين مسلم مصابون بمرض السكر يصومون شهر رمضان كل عام. وهذا يكفي لدفع الأطباء في العالم الإسلامي إلى معرفة تأثيرات الصيام على مرضى السكر في رمضان معرفة عميقة، ومن ثم يستطيعون توجيه المرضى المصابين بمرض السكر إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

وقد يتأرجح مستوى السكر بشكل طفيف تبعاً لعادات المريض الغذائية وآليات استقلاب سكر الدم.

وتشير الدراسات الحالية إلى أنه لم تحدث أي مشاكل مهمة عند صيام مرضى السكر من النوع الثاني «الذين يتناولون الحبوب الخافضة لسكر الدم»، أما المرضى الذين يتناولون الإنسولين فلا يُنصحوا عادة بالصيام، أما في الحالات الخفيفة لمرضى السكر المعتمدين على الإنسولين فقد يصر بعض المرضى على الصيام، وربما يمكن إعطاء هؤلاء جرعة واحدة من الإنسولين المتوسط التأثير قبل السحور، وقد يعطى مريض السكر جرعة أخرى عند الإفطار، ومع ذلك يجب استشارة الطبيب قبل ذلك.

أما في المرضى الذين يتناولون جرعتين من الحبوب الخافضة لسكر الدم. فينبغي تناول الجرعة الأولى عند الإفطار وهي الجرعة التي كانت تؤخذ عند الصباح، أما

الجرعة الثانية فتؤخذ عند السحور، ويعطى مريض السكر نصف الجرعة التي كان يأخذها في المساء.

هل يستطيع مرضى القلب الصيام؟

قدَّم كاتب هذا المقال بحثاً في مؤتمر جمعية أمراض القلب في شهر فبراير العام ١٩٩٨م وقد قام بإجراء تجارب هذا البحث في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة في جدة بالمشاركة مع الدكتور فواز الأخرس والدكتور مجد رستم على ٨٦ مريضاً مصاباً بأمراض القلب المختلفة من مرضى شرايين القلب أو فشل القلب أو آفات صمامات القلب، وكان وضع هؤلاء المرضى الصحي مسيطراً عليه بشكل جيد بالأدوية.

وقد استطاع ٨٦٪ من هؤلاء صيام شهر رمضان كله، و١٠٪ من المرضى اضطروا إلى الإفطار أياماً معدودة في رمضان. ومع نهاية شهر رمضان، شعر ٧٨٪ منهم بتحسّن في حالهم الصحية، في حين شعر ١١٪ منهم بازدياد الأعراض التي كانوا يشكون منها. وواظب على تناول الدواء ٩٣٪ منهم بشكل جيد، وتبيّن من الدراسة أنه لم تكن هناك تبدلات تذكر في الفحوص الدموية الكيماوية من سكر الدم أو الكولسترول أو شوارد الدم أو حمض البول أو ظائف الكبد.

واستنتج الباحثون أن معظم المرضى المصابين بأمراض القلب والمستقرين من الناحية الصحية، يستطيعون صيام شهر رمضان من دون أي مشكلات تذكر، شرط تناولهم لأدويتهم بانتظام، ولابد من الإشارة إلى ضرورة استشارة الطبيب قبل اتخاذ أي قرار في الصيام.

هل تتأثر هرمونات الجسم بالصيام؟

وجد الباحثون أن هرمونات الشدة وهي الكورتيزول والبرولاكتين لاتتأثران بالصيام. أي أن الصيام حال صحية غير مجهدة للجسم.

وفي بحث قدمه الدكتور فريدون عزيزي في مؤتمر استنابول، استعرض فيه كل الدراسات التي أجريت على الهرمونات في رمضان، فتبين أنه لم تحدث أي تبدلات تذكر في هرمونات الغدة الدرقية، ولم تحدث أي تبدلات تذكر في معدلات هرمون الذكورة التوستسرون، أو الهرمونات الأنثوية LH, FSH أو البرولاكتين.

واستنتج الباحث أن وظائف الغدد ومستوى هرمونات الغدة النخامية أو الغدة الدرقية أو هرمونات الذكورة والأنوثة لم تتغير خلال صيام رمضان.

هل تزداد دهون الدم في رمضان؟

وجد بعض الباحثين حدوث ارتفاع في معدل دهون الدم في رمضان، في حين لاحظ آخرون، عدم حدوث أي ارتفاع في كولسترول الدم خلال شهر رمضان.

وفي بحث نُشر العام ١٩٩١م، شرح الدكتور صباح محمد باقر أسباب ارتفاع دهون الدم عند الصائمين، ومن هذه الأسباب اقتصار بعض الصائمين على تناول وجبة طعام واحدة، ذات سعرات حرارية عالية عند الإفطار، وكذلك نوعية الطعام المتناول المفعم بالدهنيات والسكريات، كما أن عدم القيام بأي نشاط يذكر في أثناء الصيام، والخلود إلى الكسل والراحة من أسباب ارتفاع الدهون بالدم، فإذا ارتفعت الدهون قليلاً في نهاية شهر رمضان، فإنما سببه بعض الممارسات المغلوطة لبعض الصائمين، حيث يحرص هؤلاء على تناول كميات كبيرة من الطعام في أثناء شهر رمضان. وإذا ما أردنا أن نستفيد من صيام رمضان فلا بد لنا من التأسي بالرسول ﷺ في هديه عند الإفطار وفي تناول الطعام.

هل يزداد حدوث السكتة الدماغية في رمضان؟

سؤال طرحه باحثون في جامعة استنابول، فقد قام هؤلاء الباحثون بدارسة ٥٥٥٩ حالة سكتة دماغية حدثت خلال الفترة بين ١٩٨٤م - ١٩٩٤م، وأدخل أصحاب هذه الحالات إلى مستشفى جامعة استانبول، وكان عمر هؤلاء المرضى يتراوح بين ١٧ - ١٠١ سنة، استنتج الباحثون في نهاية بحثهم أن معدل السكتة الدماغية لم يختلف في رمضان عنه في الأشهر الأخرى، كما أن نسبة الوفيات بسبب السكتة الدماغية لم تختلف أيضاً في شهر رمضان عنها في بقية الأشهر. وقد قُدِّم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثاني عن الصحة ورمضان، والذي عقد في استانبول في شهر ديسمبر ١٩٩٧م.

هل يتأثر التركيز في رمضان؟

أوجد الله في جسم الإنسان هرموناً يطلق عليه اسم «هرمون مانع خروج الماء»، ويفرز هذا الهرمون من الدماغ، ويعمل على امتصاص الماء في الجسم عن طريق الكليتين، ومن العوامل التي تزيد من إفراز هذا الهرمون عدم شرب الماء وكثرة التعرق... إلخ.

ومن المعلوم أن الصائم في رمضان يمتنع عن شرب الماء منذ الفجر وحتى الغروب، ومن المفترض أن مستوى هذا الهرمون يرتفع في فترة الصيام.

وقد وجد الباحثون في بحثين نشرتهما مجلة اللانست البريطانية، وأجريا على بعض الحيوانات المخبرية أن الهرمون يزيد من سرعة تعلّم تلك الحيوانات وينشّط ذاكرتها، ولا يعرف بالضبط علاقة هذا الهرمون بالذاكرة عند الإنسان، وربما تشير الأبحاث المستقبلية إلى أن الصيام لا يؤدي إلى ضعف ذهني أو قلة في التركيز كما يظن البعض، بل ربما يحسّن من القدرة على التركيز.

ونود أن نؤكد هنا أن المقصود بالصيام هو الصيام الصحي وليس صيام الذين يسهرون الليل كله وينامون معظم النهار!!.

وكنا في بريطانيا نصوم - عندما يأتي رمضان في فصل الصيف - حتى التاسعة أو العاشرة مساء «وقت الغروب»، ونعمل في المستشفيات بنشاط ومثابرة، ولم يتأثر عندنا لا التركيز الذهني ولا المحاكمة العقلية بالصيام! ■

الصيام في الأدب العربي

بقلم : د.عبدالله عبدالعزيز إدريس

«من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها». (أبو منصور الثعالبي النيسابوري من مقدمة كتاب فقه اللغة)

من نعم الله على المسلمين أن شرع لهم من العبادات ما يوثّق صلاتهم بربهم، ويهذّب طباعهم من نوازع الأثرة، وألف العادة.

ومن أهم ما يحتاج إليه الإنسان تربية الإرادة، وقوة العزم على فعل الخير والابتعاد عن الشر.

والإسلام - الدين الخاتم - وهو يعني ببناء الفكر الإنساني، ويتعهد وجدانه كي لا يتبع هواه، فينحرف عن الصراط المستقيم، وحتى يكون وجدانه إنسانياً في عواطفه وميوله، يحب الآخرين لاشتراكهم معه في الإنسانية، باعتبارهم اخوة، برغم اختلاف لغاتهم وبلدانهم.

الإسلام وهو يعني بهذين الجانبين يعطي اهتماماً كبيراً لبناء الإرادة، لا ليتجرد الإنسان من تأثير الهوى والغرائز الطبيعية، بل لتكون له السيطرة على أهوائه، فيقودها ولا تقوده هي.

وبسيطرة الإنسان على إرادته يستقيم تفكيره، ويسلم منطقه، ويبتعد عن ضغط الهوى، ويكون إنساني العواطف والارتباطات، والصيام الركن الرابع من أركان الإسلام، عبادة بين العبد وربه، تتضح فيها قيمة الصدق فيما يفعله الإنسان بينه وبين نفسه، وبينه وبين خالقه، فالصيام عبادة «تضع الإنسان موضع الاختبار والامتحان أمام دوافع قوية تلح عليه وتشده نحوها... وهي دوافع البدن وما يتصل به من حاجات أو شهوات».

إن الصوم يضع الإنسان أمام امتحان المادة، امتحان الأكل والشرب والمتعة البدنية بكل ما لهذه المطالب من تأثير قوي، وما لحاجة الجسم إليها من إلحاح.

فإذا لم يستجب الصائم لتلك الإغراءات، إغراءات الأكل اللذيذ والمتنوع مصحوباً بتأثير الإلف والعادة، وإغراءات الشرب البارد والساخن، وإغراءات المتع البدنية... إذا لم يستجب الإنسان الصائم لكل هذه المغريات، ودفعها عن نفسه، فإنه سيصل إلى التمكن من قوة الإرادة، والتحكم في رغباته ومطالبه، بحيث يكون عزمه على العمل أو الترك بيده، فيقوى على مقاومة أي ضغوطات قد يتعرض لها في حياته، ويكون بذلك إنساني التفكير والوجدان، وإنساني الإنتاج، وباختصار مسلماً في أفكاره وسلوكه وأعماله.

وهكذا فالصيام يهدف إلى بناء الإرادة التي تعين الإنسان وتمده بطاقة تمكّنه من رفض المذلة، وعدم الاستجابة لما يمسّ الكرامة الإنسانية. إن أصعب ما يشد الإنسان إلى الأرض، ويحول بينه وبين التسامي بسلوكه هو المادة ومطالب المادة، ونوازع الأثرة، وبأداء عبادة الصيام يتعلم الصائم كيف يتحكم فيما يجب أن يفعله، وفيما يجب أن يتركه، وذلك على الرغم من توافر الدواعي التي من شأنها أن تجعل فعل ما يجب أن يترك أمراً صعباً وشاقاً على النفس التي لم تترق بأداء عبادة الصيام.

ولذلك كان الإنسان الذي تربى في مدرسة الصيام، وحصل على شهادة التحكم فيما يجب أن يفعل، وفيما يجب أن يترك، إنساناً لا يفرّط في كرامته الإنسانية تحت أي إغراءات، فلا يقبل حياة ذليلة، ولا يهبط إلى مستوى لا يليق به ولا يليق بمكانته كإنسان خلقه الله ليكون خليفته في هذه الأرض.

ومعلوم أن عبادة الصيام ليست العبادة الوحيدة التي أنعم الله بها على الإنسان لتربيته، حيث ترقى به إلى مستوى الإنسان المثالي، فهناك بقية العبادات التي منها الصلاة، والزكاة، والحج، تعمل جميعها

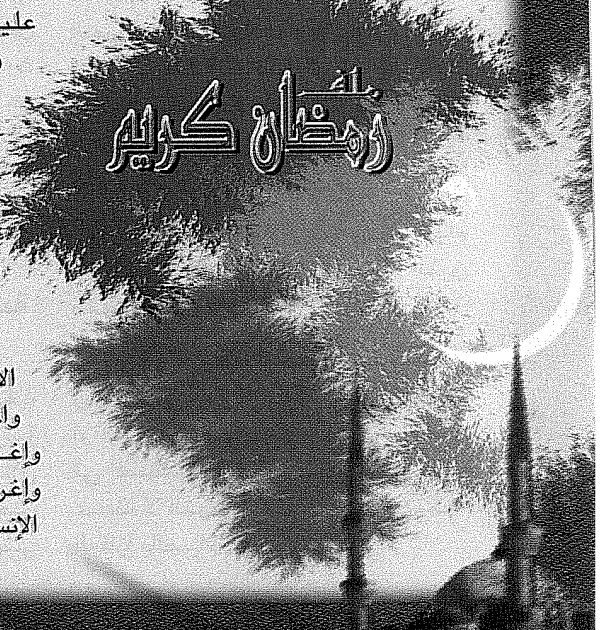

متناسقة متآزرة للارتفاع بالإنسان إلى المستوى اللائق به بين بقية الكائنات التي سخّرت له ليكون سيدها ترقى بأداء ما فرض الله عليه، أو يهبط إلى مستوى لا تهبط إليه الكائنات غير المكلفة إذا تخلى عن أداء ما يكون عبداً شكوراً، ومؤمناً ملتزماً بفرائض العبودية.

المعنى اللغوي للصيام:

الصوم مصدر، فعله: «صام» يصوم صوماً وصياماً، يقال: رجل صوم، ورجلان صوم، وقوم صوم، وامرأة صوم، لا يثنى ولا يجمع، لأنه نعت المصدر، ومعناه: رجل ذو صوم، وامرأة ذات صوم، ورجل صوّام قوام إذا كان يصوم النهار، ويقوم الليل، ورجال ونساء صوم وصيم، وصوام، وصيام.

وورد الصوم بمعنى الصمت في قوله تعالى في سورة مريم الآية:٢٦: (إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً).

قال أبو عبيد: كل ممسك عن كلام أو طعام أو سير فهو صائم، وبتتبع كلمة الصوم في الأدب العربي نجد أنها استعملت بمعنى القيم، بقول المزرد أخو الشماخ: يزيد بن ضرار بن حرملة شاعر ذبياني غطفاني مشهور، أدرك الإسلام وأسلم.

تقول إذا أبصرته وهو صائم
خباء على نشز أو السيد ماثل(١)

وهذا البيت من قصيدته التي يقول في مطلعها:

صحا القلب عن سلمى ومل العواذل
وما كاد لأيا حب سلمى يزايل

فؤادي حتى طار غي شبيبتي
وحتى علا وخط من الشيب شامل(٢)

يقنئه ماء اليرناء تحته
شكير كأطراف الثغامة ناصل(٣)

فلا مرحباً بالشيب من وفد زائر
متى بات لا تحجب عليه المداخل

وسقيا لريعان الشباب فإنه
أخو ثقة في الدهر إذ أنا جاهل(٤)

وفي خاتمتها يقول:

فلما تنهات نفسه من طعامه
وأمسى طليحا(٥) ما يعانيه باطل

تغش - يريد النوم - فضل ردائه
فأعيا على العين الرقاد البلابل

ووردت كلمة الصوم بمعنى القيام كذلك في قصيدة ربيعة بن مقروم بن قيس بقوله:

وبالماء قيس أبو عامر
يؤملها ساعة أن تصوما

وأبو عامر هو القانص، وتصوم هنا بمعنى تقف.

ما قيل في الصيام والجوع :

قال لقمان لابنه: يا بني، كل أطيب الطعام، ونم على أوطا الفراش، يقول: أكثر الصيام، وأطل بالليل القيام. ومما قيل في الجوع: «نعم الإدام الجوع، ما ألقيت إليه قِبَلَهُ»، ومما ورد في بيان مزايا الجوع، ما قيل من أن رجلاً من أهل المدن سأل رجلاً من أهل البادية: يا أخي، إني لأعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا، وعوامكم أظرف من عوامنا، ومجانينكم أظرف من مجانينا.

قال: أو ما تدري لِمَ ذلك؟ قلت: لا، قال: من الجوع، ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلو جوفه. وسئل بعض الأطباء: أي وقت عن الطعام فيه أطيب وأفضل قال، أما لمن قدر فإذا جاع، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد.

وعادة الجوع فعلاً عصمة وغنى
وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع

ومما قيل في الاستبشار بقدوم شهر رمضان:

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه
ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح

فالنفس تدأب في قول وفي عمل
صوم النهار وبالليل التراويح

وتزخر كتب الأدب والطرائف بالتعليقات الظريفة حول الصيام، أذكر منها ما جاء فيمن ترك صيام شهر رمضان: قدم أعرابي إلى أحد الولاة فقيل له: إنه أفطر رمضان، فقال الأعرابي: إن الله يعلم أني صائم، ولكني وجدت حماوة(٦) في فؤادي، فأردت أن أفتأها(٧) بشربة.

وقيل لجالينوس: إنك تقلّ من الطعام، قال: غرضي من الطعام أن آكل لأحيا، وغرض غيري من الطعام أن يحيا ليأكل.

لماذا سمي شهر الصيام بشهر «رمضان»؟:

وردت اجتهادات كثيرة حول تسمية شهر الصيام بشهر رمضان، قيل: لأن الرمضاء تطلق على الأرض الشديدة الحرارة، وكان الشهر حاراً عند تسميته، فأطلق عليه هذا الاسم «رمضان»، وقيل لأن التعبد فيه يرمض الذنوب ويحرقها، فلذلك سمي شهر رمضان.

فضل شهر رمضان:

عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: قال الله - عز وجل - «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، ولا يجهل، فإن شمته أحد، أو قاتله، فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم، أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه مسلم «جنة: مانع من المعاصي، الرفث: الفحش في القول، يصخب: يصيح، يجهل: يسفه».

وعن سهل بن سعد إن النبي - ﷺ - قال: «إن للجنة بابا، يُقال له: الريان، يُقال يوم القيامة: أين الصوم أين الصائمون؟ فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال لما أقبل رمضان: «قد جاءكم شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ». رواه أحمد والنسائي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» رواه أحمد وأصحاب السنن.

مدرسة الصوم:

إن الصوم مدرسة شاملة، تربي قوة العزيمة، وصلابة الإرادة، والشعور بالقدرة على الاستقلال، والاستغناء عن كثير من المطالب البدنية والغريزية. وهو مدرسة تعيد التوازن بين الروح والمادة، فبإضعاف الطغيان المادي تتجلى الروح بشفافيته ونصاعته، ويزال الغبش الذي ران على النفس بفعل الماديات وإشباع الغرائز، وتصفو النفس بإعادة التوازن بين مكوناتها.

والصيام مدرسة اجتماعية بما تفيضه على الصائمين من شعور أخوي يذكرهم بذوي الحاجة الذين يكاد يكون صيامهم متصلاً طوال العام بسبب الفقر والفاقة، فيقوى بسبب ذلك الشعور على مساعدة الآخرين، والإحساس بآلامهم، وتلك نعمة لا يدركها إلا من جرّبها.

إن المجتمع الذي لا يحس أفراده بآلام إخوانهم مجتمع أثرة، مقطوع الصلات، محروم من التراحم والتعاطف والتحابب، والمجتمع الذي يفقد هذه الصفات لا طعم للحياة فيه وإن غصت أسواقه بآخر المصنوعات والمرفهات، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، وليس بالماديات تكون السعادة، وإذا كانت مدرسة رمضان لا تعلّمنا إلا أن نعيش لبعضنا بعضاً، وأن يشعر بعضنا بآلام بعض، وأن نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. فذلك وحده كاف ليكون هدفاً من أهداف صيامه. ناهيك عن الفوائد الصحية التي يستفيدها الجسم من الصيام، والتحرر من قيود العادة، وأسر التعود، وإلحاح المطالب المادية، وإغراءات إشباع الغرائز.

إن من أفضل من كتب عن فلسفة الصوم الأديب المرحوم مصطفى صادق الرافعي، ولدقة كتابات هذا الأديب المبدع، وعمق معانيها، وصدقها وجدت أن من المفيد اختيار نماذج منها غذاء للروح، وإثراء للأسلوب وإحياء للغة:

«... الصوم فقر إجباري تفرضه الشريعة على الناس فرضاً، ليتساوى الجميع في بواطنهم، سواء منهم من ملك المليون من الدنانير، ومن ملك القرش الواحد، ومن لم يملك شيئاً، كما يتساوى الناس جميعاً في ذهاب كبريائهم الإنساني بالصلاة التي يفرضها الإسلام على كل مسلم، وفي ذهاب تفاوتهم الاجتماعي بالحج الذي يفرضه على من استطاع».

فقر إجباري يُراد به إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح، أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها، وأنها إنما تكون على أتمها حين يتساوى الناس في الشعور لا حين يختلفون، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد لا حين يتنازعون بإحساس الأهواء.

ومن هنا يتناول الصوم الإنسان المسلم بالتهذيب والتأديب والتدريب، ويجعل الناس فيه سواء: ليس لجميعهم إلا شعور واحد، وحس واحد، وطبيعة واحدة، ويحكم الأمر فيحول بين هذا البطن وبين المادة، ويبالغ في إحكامه فيمسك حواشيه العصبية في الجسم كله يمنعها تغذيتها ولذتها حتى نفثة من دخينة.

هكذا يصور قلم الرافعي ـ عليه رحمة الله ـ فريضة الصوم، ويتفنن في توضيح أهدافها وحكمها، وفوائدها ومحاسنها، بأسلوب كما وصفه المرحوم سعد زغلول: «بيان كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم». وعندما يصدق الإيمان، وتجتمع الموهبة والعلم، يكون الإبداع ويكون الفن الذي لا يزيد مع مرور الأيام إلا جدة، ونفاسة وتأثيراً.

الصوم يربي الرحمة في النفس:

لنقرأ ما كتبه الرافعي في مجال تربية الوازع الداخلي، وتقوية الروح الإنساني: «من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ عن الألم، وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم في الصوم، إذ يبالغ أشد المبالغة، ويدقق كل التدقيق، في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة، فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، ولا طريقة غيرها إلا النكبات والكوارث، فهما طريقتان كما ترى: مبصرة وعمياء، وخاصة وعامة، وعلى نظام وعلى فجأة.

ومتى تحققت رحمة الجائع الغني للجائع الفقير، أصبح للكلمة الإنسانية الداخلية سلطانها النافذ، وحكم الوازع النفسي على المادة، فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير: «أعطني» ثم لا يسمع منه طلباً من الرجاء، بل طلباً من الأمر لا مفر من تلبيته والاستجابة لمعانيه، كما يواسي المبتلى من كان في مثل بلائه، أي معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الإسلامية التي تقضي أن يحذف من الإنسانية كلها تاريخ البطن ثلاثين يوماً في كل سنة، ليحل في محله تاريخ النفس؟ وأنا مستقين أن هناك نسبة رياضية هي الحكمة في جعل هذا الصوم شهراً كاملاً من كل اثني عشر شهراً، وأن هذه النسبة متحققة في أعمال النفس للجسم، وأعمال الجسم للنفس، كأنه الشهر الصحي الذي يفرضه الطب في كل سنة للراحة

والاستجمام وتغيير المعيشة، لإحداث الترميم العصبي في الجسم، ولعل ذلك آت من العلاقة بين دورة الدم في الجسم الإنساني، وبين القمر منذ يكون هلالاً إلى أن يدخل في المحاق، إذ تنتفخ العروق وتربو في النصف الأول من الشهر، كأنها في مد من نور القمر مادام هذا النور إلى زيادة، ثم يراجعها الجزر في النصف الثاني حتى كأن للدم إضاءة وظلاماً، وإذا ثبت أن للقمر أثراً في الأمراض العصبية، وفي مد الدم وجزره، فهذا من أعجب الحكمة في أن يكون الصيام شهراً قمرياً دون غيره».

الإعلان عن رؤية الهلال إعلان عن إثبات الإرادة:

والرافعي يفلسف معنى رؤية الهلال، ويستخرج منها الحكم، وهي حكمة تجد لها في النفس وقعاً وتأثيراً. «وفي ترائي الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق آخر، وهو - مع إثبات رؤية الهلال وإعلانها - إثبات الإرادة وإعلانها، كأنما انبعثت أول الشعاع السماوي في التنبية الإنساني العام لفروض الرحمة والإنسانية والخير.

وهنا حكمة كبيرة من حكم الصوم، وهي عملية في تربية الإرادة وتقويتها، وبهذا الأسلوب العملي، الذي يدرب الصائم على أن يمتنع باختياره عن شهواته ولذة حيوانيته، مصراً على الامتناع، متهيئاً له بعزيمته، صابراً عليه بأخلاق الصبر، مزاولاً في كل ذلك أفضل طريقة نفسية لاكتساب الفكرة الثابتة، وترسخ لا تتغير ولا تتحول، ولا تعدو عليها عوادي الغريزة.

وإدراك هذه القوة من الإرادة العملية منزلة اجتماعية سامية، هي في الإنسانية فوق منزلة الذكاء والعلم، ففي هذين تعرض الفكرة مارة مرورها، ولكنها في الإرادة تعرض لتستقر وتحقق، فانظر في أي قانون من القوانين، وفي أي أمة من الأمم، تجد ثلاثين يوماً من كل سنة قد فرضت فرضاً لتربية إرادة الشعب، ومزاولته فكرة نفسية واحدة بخصائصها وملابساتها حتى تستقر وترسخ وتعود جزءاً من عمل الإنسان، لا خيالاً يمر برأسه مروراً».(٨)

إن الصوم مدرسة تربي في الصائمين قوة الإرادة، فتنقاد الشهوات للعقل، ويسيطر الحس الديني على النفس.

وصدق الله العظيم إذ يقول: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على اللذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣. وبالصوم يرتقي الإنسان بإنسانيته، وتسمو أخلاقه وطباعه.

ومن الأمور المستغربة للنظر أن أعظم انتصارات المسلمين حصلت في شهر رمضان المبارك. ففي السنة الثانية للهجرة، كانت غزوة بدر الكبرى.

وفي شهر رمضان من السنة الخامسة للهجرة كان استعداد المسلمين لغزوة الخندق حيث وقعت في شوال من العام نفسه.

وفي شهر رمضان في اليوم الحادي والعشرين من السنة الثامنة تم الفتح الأعظم فتح مكة، وتهاوت الأصنام، وتحررت مكة من الوثنية.

وفي رمضان من السنة التاسعة للهجرة كانت تبوك بدروسها وعبرها.

وفي رمضان من العام العاشر للهجرة كانت سرية اليمن.

وفي رمضان سنة ثلاث وخمسين للهجرة تم فتح العرب المسلمين لجزيرة رودس.

وفي شهر رمضان في العام واحد وتسعين للهجرة نزل المسلمون على الشاطئ الجنوبي للأندلس وظهرت بشائر النصر.

وفي شهر رمضان في العام اثنين وتسعين انتصر القائد المسلم طارق بن زياد على رودريك في معركة فاصلة، ودام بقاء المسلمين في الأندلس زهاء ثمانية قرون.

وفي شهر رمضان في العام أربعة وثمانين وخمسمئة للهجرة كان البطل صلاح الدين قد أحرز انتصارات كبيرة على الصليبيين حتى استخلص منهم معظم البلاد التي كانوا قد أخذوها.

وفي شهر رمضان في العام ثمانية وخمسين وستمئة للهجرة هزم المسلمون جنود التتار في عين جالوت.

إن هذه الأحداث تبرز الصلة الوثيقة بين الصوم وقوة الإرادة، وصدق الإيمان، فلا غرابة أن ينتصر المسلمون على أعدائهم بعد أن انتصروا على شهواتهم وغرائزهم وضعفهم، فانطلقوا في الأرض يعلون كلمة الله، ويرفعون لواء الحق عالياً، ينشرون الأمن والسلام، ويخلصون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

إن الذي لا يملك زمام نفسه لا يقوى على عمل شيء، وما لم يتم التوازن بين المادة والروح، وبين الدنيا والآخرة، فإن الإنسان يكون بعيداً عن إدراك دوره ووظيفته.

ولعل الصوم هو العبادة التي تعيد للإنسان توازنه، وتطهره من أدران الماديات، فيرتفع عن جاذبية الأرض إلى شفافية الروح الذي به ستكون عودته إلى دار النعيم إذا تغمده الله بفضل منه ورحمة. ■

الهوامش :

١ - الخباء: بيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة ويطلق على المنزل كذلك، النشز: المكان المرتفع. السيد: الذئب، الماثل: الواقف. وهو من الأضداد، فيُقال للملاصق بالأرض ويُقال للذاهب أيضاً.

٢ - وخط الشيب: فشوه في الرأس. يقننه: يجعله أحمر قانياً، اليرناء: الحناء.

٣ - الشكير: أول ما ينبت من الشعر، الثغامة: نبت أبيض الثمر والظهر، ناصل: خرج من خضابه.

٤ - ريعان الشباب: أول الشباب.

٥ - طليحا: من الطلح والطلاحة، وهو الإعياء والضعف.

٦ - حمو الشمس: حرها، وحموة الألم: شدته.

٧ - أكسر حدتها.

٨ - مصطفى الرافعي، وحي القلم ج٢ دار الكتاب العربي - بيروت.

غزوة بدر دروس وعبر

بقلم : محمد الجاهوش

كانت غزوة بدر في شهر رمضان، من السنة الثانية الهجرية بعد أن كانت الفترة المكية غير مؤذن فيها بالقتال لأسباب نوجزها . بتصرف . مما كتبه شهيد الإسلام سيد قطب . رحمه الله . في ظلال القرآن:

أولاً: إن حرية البلاغ كان مكفولة في مكة، وكان صاحب الدعوة - ﷺ - يملك بحماية سيوف بني هاشم أن يصدع بالدعوة، ويواجه بها الأفراد والمجتمع.

ثانياً: لم يكن في مكة سلطة سياسية تمنعه من تبليغ الأفراد، أو تمنع الأفراد من سماعه، فليس ثمة حاجة لاستخدام القوة.

ثالثاً: إن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم بأعيانهم، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة تربية الفرد، ليتعود الصبر على مالا يصبر عليه عادة من الضيم الذي قد يناله أو ينال من يلوذون به، ليتجرد من شخصه وذاته، ولا يعود شخصه وقومه محور الحياة في نظره وبذلك يتربى على ضبط أعصابه فلا يندفع مع أول مؤثِّر، ولا يهيج مع أول مهيج، ليتم الاعتدال في طبيعته وحركته وتربيته على أن يتبع مجتمعاً منظماً له قيادة يرجع إليها في كل أمر من أمور حياته.

ولايتصرف إلا وفق ما يأمره به، مهما كان مخالفاً لمألوفه وعاداته، وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي - لإنشاء المجتمع المسلم، الخاضع لقيادة موجهة - المترقي، المتحضر، غير الهمجي أو القبلي.

رابعاً: ربما كانت الدعوة السلمية أشد أثراً في مثل بيئة قريش، ذات العنجهية والشرف، والتي قد يدفعها القتال إلى زيادة العناد، وإلى نشوء ثارات دموية جديدة كتلك التي كانت بين العرب في جاهليتهم.

خامساً: وربما كان ذلك الكف عن القتال اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت، حيث لم يكن هناك سلطة نظامية عامة تعذب المؤمنين. إنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد، يؤذونه ويفتنونه، ومعنى القتال في مثل هذه الحال: أن تنشأ المجازر في داخل البيوت، ثم يقال: هذا هو الإسلام ولقد قيلت - والإسلام يأمر بالكف عن القتال - فقد كانت دعاية قريش في المواسم: أن محمداً يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه لقومه وعشيرته.

سادساً: ربما كان ذلك - أيضاً لما سبق من علم الله - تعالى -: أن كثيراً من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين هم أنفسهم سيكونون من جند الإسلام وقيادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من هؤلاء وغير عمر كثير!.

سابعاً: ربما كان ذلك لأن النخوة العربية في بيئة قبلية من عاداتها أن تثور للمظلوم الذي يتحمل الأذى ولا يتراجع، وبخاصة إذا كان الأذى واقعاً على كرام الناس. وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبيت صحة هذه النظرية في هذه البيئة، فابن الدغنَّة لم يرض أن يترك أبا بكر يهاجر ويخرج من مكة، ورأى في ذلك عاراً على العرب، وعرض عليه جواره وحمايته، وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب، بعدما طال عليهم الجوع واشتدت عليهم المحنة.

ثامناً: وربما كان ذلك لقلة عدد المسلمين حينذاك، وانحصارهم في مكة. ففي مثل هذه الحال قد تنتهي المعركة إلى قتل المجموعة المسلمة، حتى لو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم، ويبقى الشرك وتنمحي المجموعة المسلمة، ولم يقم في

الأرض للإسلام نظام، ولا وجد له كيان واقعي، وهو دين جاء ليكون منهج حياة، وليكون نظاماً واقعياً عملياً للحياة.

أما بعد الهجرة فقد تغيّر الحال، وتبدّل الواقع، واختلفت البيئة، فقد أتت التربية المكية أُكلها، ونشأ الجيل المؤمن الملتزم المطيع الذي لايصدر عن ذاته ولا يتبع هواه، وأصبح للإسلام وطن يؤيه وجيش يحميه وأرض ليس لغيره سيادة على ثراها، وآن للمؤمنين أن ينتصروا، وللمقهورين أن يثوروا، وآن لمن سلبت أموالهم أن يستردوها، ولمن طردوا من أوطانهم أن يجاهدوا ليحرروها.

وقد منَّ الله - تعالى - عليهم، وأنزل إذنه لهم بجهاد عدوهم قرآناً يُتلى على مرّ الدهور فقال تعالى: (أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) الحج:٣٩-٤٠.

إرسال السريا إلى أطراف المدينة

وكان أول لواء عقده رسول الله - ﷺ - لواء حمزة بن عبدالمطلب، في شهر رمضان، بعد سبعة أشهر من الهجرة النبوية. ثم توالت تلك السرايا، يفصل بين إحداها والأخرى الشهر والشهران، وربما الثلاثة أشهر، حتى كانت سرية عبدالله بن جحش في شهر رجب، بعد سبعة عشر شهراً من الهجرة، وهي أول سرية يقع فيها قتال، وكانت في شهر رجب: الشهر الحرام، وقد استغل المشركون ذلك، وشنَّعوا على الرسول والمسلمين بأنهم يستحلون الشهر الحرام، فنزل قوله تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) البقرة:٢١٧.

أسباب الغزوة:

عَلِمَ رسول الله - ﷺ - بقدوم قافلة تجارية لقريش قادمة من بلاد الشام، يحرسها أربعون رجلاً بقيادة أبي سفيان، فقرر اعتراض طريقها، ومصادرة ما تحمله من مال ومتاع، تعويضاً للمسلمين عن بعض ما سلبهم المشركون من أموالهم وديارهم، وترسيخاً للوجود الإسلامي في المدينة المنورة. ونادى منادي رسول الله - ﷺ - يستنفر المسلمين، ويطلب ممن سمع النداء، وكان ظهره حاضراً أن يلتحق برسول الله - ﷺ -، ولم يمهل رسول الله أناساً أن يحضروا ظهورهم من عوالي المدينة، وقال: لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضراً، فتجمع له ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار ومعهم فرسان وسبعون بعيراً، فاكتفى بهذا العدد، لأنه ما كان ينوي حرباً ولا قتالاً.

مسيرة الرسول - ﷺ -:

خرج رسول الله - ﷺ - بهذا العدد يتعاقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، وكان رسول الله - ﷺ - وعلي بن أبي طالب، ومرثد الغنوي، يتعاقبون على بعير واحد، وعرضا على الرسول - ﷺ -: أن يسيرا ويركب، فأبى عليهما قائلاً: «ما أنتما بأقدر مني على المشي، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر» وسار الركب الكريم تحفُّه عناية الله، وترعى مسيرته قدرته عز وجل.

توزيع المسؤوليات:

لم يغفل الرسول - ﷺ - وهو خارج إلى عدوه شأن المدينة الداخلي، فعيَّن ابن أم مكتوم إماماً للصلاة، وأبا لبابة مسؤولاً عن شؤون الناس بعامة، ودفع لواء الجيش إلى مصعب بن عمير، وسلم راية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ، وعندما وصل - ﷺ - إلى منطقة الصفراء أرسل بسيساً الجهني، وعدي بن الرعناء يتجسسان أخبار الناس، ويستطلعان تحرك القافلة وما الذي قد جدَّ من أخبارها.

موقف أبي سفيان:

بلغ أبا سفيان أن رسول الله - ﷺ - قد خرج إليه في عدد من أصحابه مغيرين على قافلته، فأسرع باتخاذ التدابير التي رأى أنها تكفل له ولمن معه السلامة والنجاة، فاستأجر ضمضماً الغفاري وأرسله نذيراً إلى أهل مكة، ليعلمهم بالذي عزم عليه المسلمون من التعرض لقافلتهم وأموالهم، فذهب إلى مكة ودخلها منادياً: اللطيمة، اللطيمة، يا أهل مكة، أدركوا أموالكم وتجارتكم، لا يغلبنكم عليها محمد ومن معه.

فخرج القوم، ولم يتخلف من أشراف مكة سوى أبي لهب، وأرسل من ينوب عنه، واستنفروا من حولهم قبائل العرب، ولم يتخلف من بطون قريش سوى بني عدي، فلم يخرج منهم أحد.

ثم غيَّر أبو سفيان خط سير القافلة، واتجه نحو ساحل البحر قاصداً مكة، بعيداً عن الطريق التي سلكها المسلمون، ولما تيقن نجاة القافلة، أرسل إلى قريش يطلب إليهم العودة، فقد نجت قافلتهم ولم يصل إليها أحد بسوء.

موقف أبي جهل:

ولما بلغ قريشاً نبأ نجاة القافلة هموا بالرجوع، إلا ما كان من أبي جهل، فإنه أصرَّ على المضي وعدم الرجوع وأقسم باللات والعزى ألا يعودوا إلا بعد أن يقيموا على بدر أياماً، ينحرون الجمال، ويطعمون من حضرهم من العرب، حتى تخافهم الناس، ويرهبوا محمداً وأصحابه.

ولم يكن رأي أبي جهل هذا رأي القوم جميعاً، فقد وقف الأخنس بن شريق معارضاً، طالباً العودة بعد نجاة القافلة، فلما لم يستجب له عاد بقومه بني زهرة، وهمَّ بنو هاشم بالرجوع، فاشتدَّ عليهم أبو جهل متهماً إيَّاهم بأن هواهم مع محمد، فلم يرجع منهم أحد، وسار الجميع إلى بدر.

الرسول - ﷺ - يستشير أصحابه:

ولما بلغ رسول الله - ﷺ - نبأ القافلة، وأخبار قريش وما أجمعوا عليه، جمع أصحابه، وطلب المشورة، لأنه - ﷺ - لم يكن قد خرج للقتال، وإنما قد خرج لمواجهة القافلة، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، واستشارهم ثانية، فتكلموا وأحسنوا، واستشارهم ثالثة، ففهم الأنصار أنه يعنيهم فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول

الله، كأنك تعنينا؟ ولعلك تخشى أن الأنصار لايرون أن نصرتك واجبة عليهم إلا في ديارهم؟ وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت لنا، وما أمرت فيه فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنَّ معك، فوالله لئن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك. وقال المقداد: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون»، ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، فأشرق وجه رسول الله - ﷺ - عندما سمع هذا الكلام. وسُرّ بما سمع وقال: سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد أريت مصارع القوم.

سار الرسول ومن معه باتجاه بدر، والإيمان يملأ قلوب أصحابه بالنصر والظفر، كيف لا؟ ألَمْ يخبرهم رسولهم المعصوم برؤية مصارع القوم؟ وفي بدر وقف الرسول - ﷺ - منادياً: أشيروا عليَّ أيها الناس. قالها المصطفى وقد وضع الجيش رحاله على أدنى ماء من مياه بدر.

يا لروعة النبوة! إنه - وهو المعصوم - يستشير الجند أين ينزلون، لايقرر لهم مصيرهم منفرداً، ولا يرسم لهم خطة سيرهم وهو متكئ على فراشه، ولا هو جالس وراء مكتبه، إنه معهم في الميدان، في قلب المعركة يشاركهم شدائدها وضوائقها، وكل معاناتها، ثم لا ينفرد بعد ذلك باختيار المكان الذي ينزلون. والأكثر روعة من هذا أن يستجيب لمشورتهم، ومن غير نقاش، فيأمر بالمسير إلى حيث أشار الحباب بن المنذر، تاركين الآبار من خلفهم، وقد غوروها، وخيموا على آخر بئر منها ليكون الماء لهم وحدهم ولا يفيد عدوهم منه شيئاً.

عريش القيادة:

روى ابن إسحاق أن سعد بن معاذ قال: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه؟ ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك، ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله - ﷺ - خيراً، ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله - ﷺ - عريش فكان فيه.

جو المعركة النفسي:

لقد حكى لنا القرآن الكريم أخبار المؤمنين الذين فاجأتهم الحرب التي لم يستعدوا لها نفسياً، ولا مادياً، فهم إنما خرجوا يطلبون القافلة وأموالها، فإذا بهم أمام عدوهم وجهاً لوجه، وإذا بالمعركة تُفرض عليهم، فلا يجدون بدا من الرضوخ لها وهم كارهون، فساروا إليها وكأنهم للموت سائرون. قال تعالى: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) الأنفال:٥-٦، وقال تعالى: (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين. ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) الأنفال:٧-٨.

هذه هي إرادة الله - عز وجل -: إحقاق الحق وإبطال الباطل، إما الغنيمة، وإما القافلة وأموالها، فأمرها هيّن - جدّ هيّن عند الله عز وجل - فالله - تعالى - لم ينزل كتابه، ولم يبعث نبيه إلا لإحقاق الحق وقطع دابر الكافرين، هذا هو الهدف الأساس الذي يجب على المسلم أن يضعه نصب عينيه، والذي يجب أن يملك عليه جوارحه، ويشغل تفكيره، ويستحوذ على كل همه. فبإحقاق الحق وإبطال الباطل، وقطع دابر الكافرين يعم الأمن، ويعم الاستقرار والازدهار، ويعم الرخاء.

عناية الله بالعصبة المؤمنة:

لم يترك الله - تعالى - عصبة الإيمان فريسة للهواجس الداخلية، تتوزعها ذات اليمين، وذات الشمال، بل تولاها ورعاها، وردّ عنها كيد الشيطان الذي جهد في استغلال ما هم فيه من الحذر والضيق، فوسوس لهم كيف أنهم يلقون عدوهم وهم قلة قليلة؟ ليس معها أهبة المحاربين ولا سلاح المقاتلين، وهم قد أصبحوا جنبا فكيف يصلون، أو يلقون عدوهم على هذه الحال؟ لم يشأ الله أن يتركهم - وهم كذلك - نهبة للهواجس والوساوس، فغشاهم النعاس، وأنزل عليهم الماء من السماء، فشربوا، واغتسلوا، وتلبدت الأرض تحت أقدامهم، وحوطوا الغدران، قال تعالى: (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام). الأنفال:١١.

وهكذا أصحبت القلوب مطمئنة، والنفوس مستقرة، والأجسام مستعدة، (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً).

صفَّ الرسول الكريم - ﷺ - جيشه، واستعرضهم بنفس حانية وقلب رحيم، وذكّرهم بمال لهم عند الله - تعالى - من الأجر والثواب، ماداموا ثابتين، وخاطبهم مطمئناً: «والذي نفسي بيده، لايقتل اليوم رجل مقبلاً غير مدبر إلا دخل الجنة. وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، ذاكراً أسماء رؤوس الشرك وصناديده». وتأتي المعجزة الإلهية، فلا

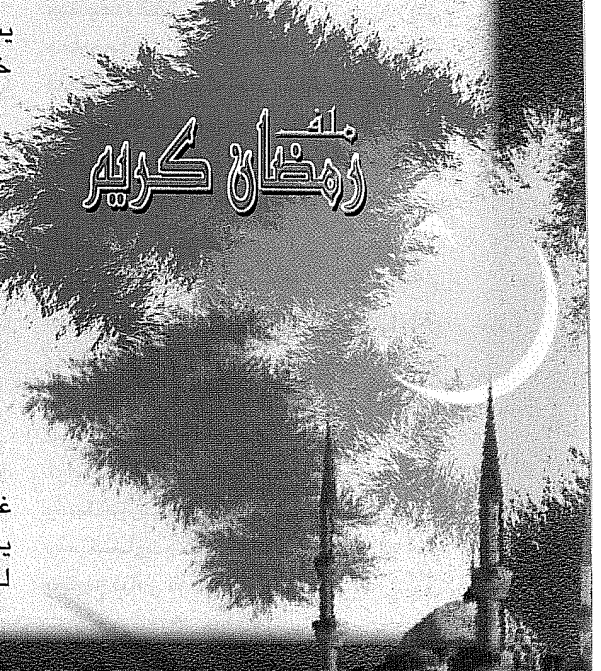

يتعدى أحد سمّاه موضع إشارته. وعملت هذه الكلمات عملها في النفوس، فخلّت الزاد، وعافت الشراب، وأقبلت على الله - تعالى - بالتقى وعمل الرشاد، حتى حبات التمر عافتها نفس أكلها، مادامت ستؤخرها عن لقاء الله ودخول الجنة.

نشوب المعركة:

ولما تراءى الجمعان وقف المصطفى - ﷺ - متوجهاً إلى السماء: «اللهم هذه قريش جاءت بخيلها وفخرها، جاءت تحاربك وتكذّب رسولك، اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم أحنهم الغداة، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض» وألحّ الرسول - ﷺ - بدعائه، وزادت ضراعته، ولقد استجابت العناية الإلهية لدعاء تلك القلوب الصادقة، والنفوس المؤمنة، فنزل المدد من السماء، نعم نزل المدد من السماء، نزلت جند السماء مدداً لجند الأرض، نزل أمين السماء يقود كتائب الملائكة، مدداً لكتائب أمين الأرض، نزل المدد بقدر الله - تعالى - وعنايته، يحمل أهله السلاح ومعهم خطة القتال. (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان. ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) الأنفال:١٢-١٣.

وتلاقى الجمعان، وأخذت سيوف الله مأخذها من رؤوس الشرك وأعمدته، وتضرع المسلمون لربهم، وأقبلوا عليه بقلوب منكسرة، ونفوس صادقة، تجردت من كل شائبة، ولم يبق فيها إلا حب الله - تعالى - وحب رسوله - ﷺ - واستبسلت تطلب إحدى الحسنيين: إما النصر، وإما الشهادة. ولم تعد غير ذات الشوكة مطلباً، بل المطلب ما أراده الله - تعالى - وجالت الملائكة في الميدان وصالت، تذب عن العصبة المؤمنة، وتذيق الكافرين مرّ الهوان، واندحر الشرك وأهله، وولى إبليس الذي ظهر بصورة سراقة، ووعدهم أن يكون جاراً لهم من الناس، فناداه أبو جهل قبل مصرعه - وهو يظنه سراقة - أن يبرّ بوعده. فوكزه إبليس في صدره، ومضى لشأنه.

روى الطبراني في معجمه الكبير: عن رفاعة بن رافع قال: «لما رأى إبليس ما يفعل الملائكة بالمشركين - يوم بدر - أشفق أن يخلص إليه القتل، فتبشبش به الحارث ابن هشام - وهو يظنه سراقة بن مالك - فوكز في صدر الحارث فألقاه، ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أسألك نظرتك إياي. ولقد ذكر الله تعالى خذلان إبليس إياهم في سورة الأنفال (الآية ٤٨)، قال تعالى: (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب).

ولم تلبث السيوف المؤمنة أن أردت أبا جهل صريعاً، ولما أراد عبدالله بن مسعود أن يحتز عنقه، سأله: لمن الدائرة اليوم؟ فقال ابن مسعود: لله ولرسوله، لقد أخزاك الله يا عدو الله.

حصاد المعركة:

وانجلت المعركة عن النصر المبين لجند الله، والخزي والدمار لأعداء الله عز وجل، وكان حصاد المعركة: استشهاد أربعة عشر رجلاً من المسلمين، ومقتل سبعين من الكفار، فيهم صناديد مكة وأشرافها، وأسر سبعين من المشركين.

ولقد أمر رسول الله - ﷺ - بقتلى الكفار، فجمعوا، وأمر بهم أن يلقوا في قليب من تلك القلب، وناداهم: يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا أبا جهل، يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، قال الصحابة: يا رسول الله، أتنادى أقواماً قد جيّفوا؟ قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا ينطقون، وفي هذا يقول حسان ابن ثابت:

يناديهم رسول الله لما
رميناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا حديثي كان حقاً
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأي مصيب

ولقد حرص الرسول - ﷺ - أن تصل بشائر هذا النصر إلى المدينة لتطمئن النفوس، وتسكن القلوب، ويعلم أهل المدينة بهذا النصر، فأرسل زيد بن حارثة على ناقته القصواء، فوافاها وقد ملأتها الإشاعات الكاذبة عن البلاء الذي حلّ بالمسلمين، وكيف حصدتهم سيوف قريش، وكان لليهود القسط الأكبر في ترويج هذه الإشاعات، ولم يقطعها وصول زيد. بل قالوا: لقد قتل محمد، وهذه القصواء يركبها زيد بن حارثة، فلو كان حياً لما ركبها سواه.

وما راعهم إلا النبي وجيشه الظافر يغشون المدينة مهللين، مكبرين، وخلفهم الأسرى مصفّدين بالأغلال.

مصير الأسرى:

اختلف رأي الصحابة في مصير الأسرى، فرأى أبو بكر أن يمنّ الرسول عليهم، فهم الأهل والعشيرة، وفيهم الأرحام، ورأى عمر اجتثاث جذورهم، واستئصال شأفتهم في أول غزوة أمكن الله منهم، وطلب من الرسول أن يُدفع كل كافر من المشركين إلى قريبه من المسلمين، ليقتله بيده، حتى يعلم المشركون أن الأرحام والأنساب لا تغني عنهم شيئاً، وأن المسلم لم يعد له إلا إخوة الإيمان، والانتماء إلى الإسلام.

ولقد أخذ الرؤوف الرحيم - ﷺ - برأي أبي بكر، وأثنى على عمر خيراً، ونزل القرآن مؤيداً رأي عمر، فبكى الرسول، وبكى أبو بكر، قال تعالى: (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم) الأنفال:٦٧-٦٨.

وأخذ المسلمون الفداء من القادرين، ومنّوا على بعضهم دون فداء، وقَبِلَ من متعلميهم أن يكون فداؤهم تعليم عدد من أطفال المسلمين، وأصرّ النبي - ﷺ - على أخذ الفداء من عمه العباس، ومن أسرى بني هاشم، ولم يقبل ما عرضه عليه المسلمون من إطلاق سراحهم دون فداء.

نتائج الغزوة:

كان لغزوة بدر نتائج منوعة، وآثار مختلفة على المسلمين وأعدائهم، فمن آثارها على المسلمين: أن مدينتهم لبست ثوب فرحتها، وهي تستقبل البواسل من أبنائها، وقد عادوا بالنصر والغنيمة، وغدت نفوس القوم في منتهى الراحة والاستقرار، تستعد لجولات قابلات مع أعداء الله.

أما مكة فقد لفَّها الحزن، وأظلم نهار أهلها، فلا بيت إلا وقد ثكل سيده وخيرة شبابه، وأقبل القوم على بعضهم يتلاحون ويتلاومون، ويوزعون التهم ذات اليمين وذات الشمال، ولم يرعووا عن غيّهم، وإنما باتوا يخططون لغزوة جديدة.

وفي الجزيرة العربية تطايرت أنباء انتصارات بدر، ووصلت سمع سكان الجزيرة وقبائلها المختلفة، وراع تلك القبائل ما حققه المسلمون من انتصارات وتواصى معظمهم أن ينصروا قريشاً في حروبها المقبلة.

وفاتهم أن الله ـ تعالى ـ لهم بالمرصاد، يوهن كيدهم، ويفرق شملهم، ويشتت جمعهم، (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين). الأنفال:٣٠.

دروس وعبر:

إن دعوة الإسلام اليوم تواجه ظروف المسلمين الذين خاضوا معركة بدر، فنصرهم الله وأعزهم، وجدير بنا أن نتلمس العبر والعظات من هذه الغزوة المباركة لتكون لنا نبراساً وهادياً، ونحن نخوض معركتنا مع أعداء الله عز وجل، ويظهر للمتأمل جملة من الحقائق التي تنير الطريق.

أولاً: إن الدعوات الأرضية لن تجمع الأمة، ولن تنشئ قاعدة صلبة تحفظ الأمة، وتعيد لها كرامتها. فلا اللغة ولا القومية ولا الأنساب أغنت يوم بدر، بل تواجهت سيوف الأبناء مع سيوف الآباء بعدما فرقتها العقائد، وأعلنها الفاروق ـ رضي الله عنه ـ أنه لا ولاء لغير الإسلام.

ثانياً: إن النصر ليس بالعدد الكثير، ولا بالسلاح الوفير، إنه مقرون بالإخلاص في العمل، وجميل التوكل على الله عز وجل، ولقد خرجت قريش بحدها وحديدها، وخيلها وفخرها، تحادّ الله ورسوله، فما أغنت عنهم قوتهم من الله شيئاً، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فولوا الأدبار أمام الفئة الصابرة التي ربطت مصيرها بدينها، وتوجهت بصدق النية إلى ربها، فأفاض عليها من بركات السماء، وأمدها بجند من عنده حتى ظفرت وانتصرت.

ثالثاً: إن الله ـ تعالى ـ تولى نصر المسلمين لأسباب بيَّنها المصطفى بقوله: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض» ولابد أن يعبد الله ـ تعالى ـ في الأرض مادامت الأرض. ومادام هناك بشر على ظهر هذه الأرض، والمسلمون هم الذين يعبدون الله، وهم الذين يعلّمون الناس كيف يعبدون الله، فلابد أن يكون النصر حليفهم، مادام هذا هدفهم، وتلك غايتهم.

رابعاً: إن النصر في بدر لم يكن عرضاً، ولا لفئة خاصة، وإنما هو سمة وقاعدة من قواعد هذا الدين، وسيبقى المؤمنون ظاهرين على الكافرين، مادام المؤمنون يمثلون وجهة الإيمان التي أراد الله ـ تعالى ـ وما استحق الكفار الهزيمة لأنهم قاتلوا أهل بدر فحسب، بل لأنهم شاقوا الله ورسوله (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) الأنفال:١٣، سواء في ذلك شقاق الكافرين في بدر أو شقاقهم في القادسية واليرموك، أو شقاقهم في أرض الإسراء والمعراج، وفي كل قطر تولوا قيادة أمره، وتسلطوا على أهله.

ومهما كاد الكائدون، وأرجف المرجفون، فالله من ورائهم محيط، وهو مع المسلمين بالنصر والتأييد (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) الأنفال:١٨.

وعلينا ـ ونحن في حربنا الحاضرة ـ ألا ترهبنا تلك المعدات التي يملكها أعداء الله ولا تهولنا تلك الأموال الطائلة التي تتدفق عليهم من كل طواغيت الأرض، فما لذلك في ميزان القدر حساب. فالغلبة لنا ما استقمنا على الطريق (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) الأنفال:٣٦، هذه نهايتهم، وذلك مصيرهم.

ويجب ألا يغيب عن الذهن: أن لله ـ تعالى ـ جنوداً أنزلها يوم بدر قلبت الموازين، وغيَّرت وجه المعركة وهي جاهزة للنزول كلما كانت الحرب لله، ومن أجل نصرة دين الله عز وجل، وما الملائكة التي أنزلها الله ـ تعالى ـ إلا بشرى ولتطمئن بذلك القلوب، وجنود الله كثير، لا يعلمها إلا هو ـ سبحانه وتعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) المدثر:٣١.

خامساً: على المسلم ألا يستعجل النتائج، ولا يُطلب منه سوى القيام بالواجب.

فقد خرج أهل بدر لغير ذات الشوكة من الطائفتين، وأبى الله ـ تعالى ـ إلا أن يحق الحق ويبطل الباطل فعادوا بالنصر والغنيمة.

فصبراً أيها الأخوة المجاهدون، صبراً في لقاء العدو، ومصابرة في مقاومته، فالله معكم، ولن يتركم أعمالكم، أما الذين فاتهم شرف الجهاد، فالأبواب مشرَّعة أمامهم ليشاركوا المجاهدين أجر ما هم فيه، فما عليهم إلا أن يقدموا من أموالهم، ما يمد المعركة بالوقود، وأن يبذلوا من دعائهم ما عساه يوافق ساعة إجابة فيكون النصر.

سدد الله الخطى، ووفق الجميع، والحمد لله رب العالمين. ■

ملف رمضان كريم

أكرم الشهور

شعر : جاك صبري شُماس

أطلَلْتَ وجهاً مشرقاً ريَّاناً
وغمرت أفئدة الشعوب حنانا
وسموت بالأنداء ترفل بالشذى
وتسيل في ثغر الورى قطرانا
عاودت برّك والوفاء يشدّني
لأصوغَ من حلل القريض جُمانا
يا خير شهر قد تنزَّل بالتقى
يهمي خصالاً ينشد الفرقانا
تاجٌ يزين شهور عام بالسنا
ويخطُّ سفراً شامخاً ومُصانا
رمضان عفواً إن جفاني ملهم
أنت الذي تهب القصيد بيانا
وتجود باليمن المعبَّق بالشذى
وتفيض طهراً بلسماً وجنانا
يا ليلة القدر المبارك بالهدى
فالعبد يأمل رحمة، غفرانا
يمَّمْتُ نورك والأماني جمَّة
أن نستعيد القدس والجولانا

بقلم : عطية فتحي الويشي

الإنسانية الحائرة ... بين تصادم الحضارات وعالمانية العالم

في إطار نظريته عن تصادم الحضارات: انصبَّت جهود المفكر الأميركي صموئيل.ب هانتنجتون، في استعداء الحضارات الإنسانية على الإسلام باعتبار ما يتمثل خطره. على حد قوله. في التيارات الأصولية المتشددة... تلك التيارات التي ألمح إليها في طيات نظريته، مشيراً إلى مقولة أخيه المفكر اليهودي الأميركي: برنارد لويس، والتي يقرر فيها: «إننا نواجه حالة نفسية، وحركة تتجاوز إلى حد بعيد مستوى القضايا والسياسات التي تنتهجها الحكومات، وهذا ليس بأقل خطراً من صدام الحضارات، وهذا إن كان رد فعل غير عقلاني، إلا أنه له جذور تاريخية مناوئة لتراثنا اليهودي المسيحي... وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لكليهما» أ.هـ

ووفق هذا التصور الغربي الذي تغلب على جل أدبياته - الفكرية والسياسية وغيرها - مسحة الكراهية والرفض والتشويه... يعد الإسلام مصدر تهديد، ومبعث قلق وتوجس غير مبرور ببينة، فمن ناحية الواقع السياسي والاقتصادي الإسلامي: فإنه ليس ثمة مدعاة للخوف والترقب من جهة الغرب بأي حال... وقد تكون قضية الوعي التاريخي التي انفتحت ملفاتها مع خبر الاستفزاز الغربي المعاصر... فانتعشت ذكرى «الصليبيات» والاستعمار العلماني وكلها ذكريات بالغة في إيلامها الحس الإسلامي مبلغاً مروّعاً... هذا الوعي الذي تجسّده بصورة أو بأخرى: ظاهرة الصحوة الإسلامية التي تمتد طولاً في عالمنا الإسلامي المترامية أطرافه.

ولعل كراهية هانتنجتون وأخيه برنارد لويس، وحقدهما الفريد على الإسلام وأهله: لا يمنعان بحال من التوقف والتأمل فيما يعنُّ لحاضرنا العربي والإسلامي من منغصات وحساسيات علائقية بين بعض الحكومات ومؤسسات المجتمع المدني بلغت في جانب منها حدَّ المواجهات المسلحة تلبية لداعية الفتنة وتماشياً مع تخطيط المركز السياسي العالمي للحيلولة دون عملية التبلور الحضاري داخل النسق الإسلامي!.

إن مقولة لويس هذه تنطوي على بعض المعاني والدلالات... نرى تبيانها من الأهمية بمكان الكبير.

أولاً: إن الأحداث الكائنة على المسرح العالمي المعاصر تمخّض المفاهيم الإنسانية تمخضاً شديداً... فتنفض عنها غبار العوارض الآنية والملابسات الأيديولوجية... وتعود بها سيرتها الحضارية الأولى...! فبعد طلاق تاريخي موغل في القدم... ورغم عوارض العلمانية على مجتمعيهما: نلحظ ثمة إرهاصاً بحالة «رجعة» مسيحية إلى فراش الزوجية اليهودي... وعلى الرغم من كون تلك الرجعة تكتيكية... بيد أنها كما تبدو: حالة فريدة من التناغم المفاهيمي، والانسجام الفكري، والتنسيق الاستراتيجي المؤسس على قواعد وأصول عقدية وحضارية، والذي لا حيلة في الفراق من بعد مرة أخرى.

هذا، ولن يصبح الدعم الغربي للكيان الصهيوني مؤسساً وحسب على المصالح الاستراتيجية، وإنما على العقائد الدينية والأفكار كذلك... الأمر الذي يؤمّن بقوة مسيرة تلك العلاقة نحو أهدافها المنشودة في دنيا الوجود.

ثانياً: إن المرء يتشكك كثيراً إزاء المقولات التي تذهب إلى أن ميراث ما بعد القرون الوسطى - من عداء للدين - لا

يزال يلقي بظلاله على الوضع السياسي الأوروبي وتجدر في هذا السياق إشارتنا: إلى أن موقف العلمانية الغربية من المسيحية: قد خضع بدوره لمنطق المنفعة بصفة عامة، فتارة تعادي الدين إلى حد «شنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»، وتارة تهادنه، حين تنص دساتيرها على احترام المشاعر الدينية للجميع، وعدم المساس بحرية العبادة، وتارة أخرى تسخّره لخدمة أغراضها، كما حدث في حملاتها الاستعمارية على الشرق المسلم مثلاً، حيث كانت الإرساليات التبشيرية بمثابة «هراوات حضارية» لضرب الفكر الإسلامي، وتفريغ جوهر التوحيد من مضامينه ومعانيه... كنوع من الإحلال الحضاري في البلاد المستعمرة... ولكن الكنيسة الغربية في كل الأحوال - والكنيسة البريطانية بصفة خاصة - استطاعت أن تتكيف مع البيئة العلمانية، ووفقت أوضاعها على نحو قد سهّل لها وعبّد كثيراً من صعوبات التغلغل بصورة أو بأخرى إلى عمق المؤسسة السياسية في الغرب المعاصر...!

وقد يتأكد هذا الزعم في ضوء الضغوط الغربية اللحوحة على بعض حكومات الدول الإسلامية... لتقويض أركان الصحوة الإسلامية، وتثبيط تيارها المتدفق بالخير على امتداد القرن العشرين... بل وصل الأمر إلى حد التلويح بالعقوبات والمضايقات السياسية للدول التي تبدي تجاوباً مع ظاهرة الصحوة... ليس هذا فحسب، بل إن عصا الاتهام الغربي باضطهاد الأقليات غير الإسلامية لا تزال ممتدة ومرفوعة من حين لآخر في وجه بعض البلاد المسلمة... ذلك فضلاً عن محاولات فرض الثقافة الغربية من غير سبيل على بعض البلاد الإسلامية، مثل الترويج لتيار القرانكفونية في الشرق المسلم، وتحبيب التشيع لثقافة العولمة والطريق الثالث... وكلها وسائل للخروج بالعالم الإسلامي عن إطار خصوصياته الحضارية... وللحد من شعوره بذاتيته الإسلامية...! وقد وصل الأمر بالغرب إلى استصناع أنماط نخبوية حملت على عاتقها رسالة إنسانية - بزعمهم - تعني بتجميل تاريخ الاستعمار الغربي إلى درجة الدعوة إلى الاحتفال بالمئوية الثانية للحملة الفرنسية على مصر... إيماناً منها وإيهاماً بأن للحملة الفرنسية، فضلاً سابغاً ليس على مصر وحسب، وإنما على الشرق الإسلامي كله...! وهكذا تغرِّر التيارات العلمانية بالأمة المسلمة حتى لترديها في حُفَر التبعية وأغوار المهانة والضياع والتلاشي...!

ولعل ميلاد الحالة النفسية الإسلامية المناوئة للغرب: ليست مسؤولية المسلمين، بقدر ما هي إفرازات التعصب الغربي لثقافته وقيمه وأيديولوجياته السياسية المدبجة بأقلام وحركات ومنظمات... ليس بوسع أحد أن ينكرها، أو أن يجهل مدى نفوذها، وعظم تأثيرها الممتد أفقياً ورأسياً... حتى لم يبق للجغرافيا الغربية، أو التاريخ، أي حيلة إزاء زخمها الطاغي.

ومما يستغرب له: أن تلك الحالة النفسية الإسلامية، وهذا الشعور بالهضم والاحتواء، الذي يعم ويسود المجتمع الإسلامي... لم يصل حتى الآن إلى الدوائر العليا الحكمية في كثير من بلداننا المسلمة، التي لا يزال معظمها ينظر إلى الغرب كمركز للعلم كما هو مركز للتقنيات الواجب تبنيهما معاً، ولا جدوى لإحداها دون الأخرى...!

وفيما ضمَّن نظريته اتصالاً بالعلمانية: يزعم هانتنجتون أن «اقتلاع العالمانية من العالم هي إحدى حقائق الحياة الاجتماعية المهيمنة في أواخر القرن العشرين» أ.هـ

ومن جملة اعتباراتنا: نقرر أن ظاهرة اقتلاع العلمانية من العالم: تنمُّ في حقيقتها عن عمق في التصورات الدينية، وتعاظم في الشعور بحتمية صياغة الذات الحضارية لدى الأمم والشعوب على نحو صحيح يرتقي بنظرة الآخر الحضاري إليها وفق ما يتناسب وقدرها الذي تحسّه وتشعر به... وهذه الظاهرة، أبلغ ما توصف به: أنها حركة «تفلية» حضارية...!!

ومن غير الموضوعية أن نبدي إزاء ولاء هانتنجتون المطلق لليهودية أي شك... هذا ولن يغرربنا في حال تدثُّره بلباس مسيحي باهت... تبدو بغير قصد منه في بعض الأحيان: أنياب تلمودية زرقاء...! ومن ثمَّ فهو حين يرصد أفكاراً من قبيل ظاهرة اقتلاع العلمانية من العالم: إنما يكرِّس العلمانية ذاتها بدهاء شديد...! فهو يرمي إلى أن الفائدة من بثّ وترويج الأفكار والفلسفات التي تدفع بالعالم بعيداً عن الدين والتدين: تتجلى في استئمان جانب الكيان الصهيوني الغاصب من خطر أي مواجهة حضارية مع الأخيار - ولا سيما العرب والمسلمين - في ظل فرضية اقتلاع العلمانية من العالم...! ومن ثم فهو يحض - من جهة أخرى - بل يعني بتحفيز آلة الفكر السياسي الغربي للتصدي ومواجهة تلك التيارات التي سمَّاها بالأصولية الرجعية...! وذلك بحسبانها لديه: الخطر الحقيقي الذي يتهدد فلسفة النظام العالمي الجديد، التي يسعى روَّادها إلى تكريس آليات العلمنة داخل الأنساق الإنسانية... ولا سيما عند نقاط التماس الحضاري الساخنة... ولدى البؤرة الأشد سخونة هناك في فلسطين المحتلة بصفة خاصة...!

والحقيقة منذ أن تجردت القضية الفلسطينية من بعدها الديني الحضاري، والأوضاع لا تزداد إلا خبالاً وتعقيداً، ومضياً نحو أفق مسدودة... ولئن عولجت تلك القضية في سياق مفاهيم التدافع... لكان أولى وأجدر ألا تدخل في تضاعيف الانتكاس والفشل الذريع...!

ولعل ما يعفينا من الاستطراد بهذا الخصوص: ما صرَّح به الزعيم الكوبي «فيدل كاسترو» حين قال: «على إسرائيل أن تسعى لتجعل كل دولة عربية غير إسلامية، كأن تكون وطنية أو اشتراكية... فإن منتهى المطاف لأي حركة مقاومة عربية ذات طابع علماني: هو التعايش السلمي مع الدولة الإسرائيلية»(١) لماذا؟ لأنه في ظل العلمانية: تتجاوز المؤسسات السياسية كثيراً من الثوابت الحضارية... وقد تتجاهلها إلى حد الرفض الصريح في بعض البلدان... وذلك تلافياً لأي أفكار من قبيل القيم الدينية التي نظنها

تصادمية... (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) يونس:٣٦.

إن خرق سنن التعددية ونواميس التنوع والاختلاف والتمايز بين الأمم والشعوب الإنسانية... إنما ينمُّ عن اتجاه ما إلى تحييدها قسراً وإخضاعها وتغييبها عن وعيها، فتفقد عناصر تكافؤها ومقومات تنافسها... ما يعد تكريساً لمنطق الأحادية والاحتكار الحضاري بكل صوره وأنماطه السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية... الأمر الذي يتأكد في خضمه حدوث حال من الحساسية وفقدان معايير الصواب في سياق التدافع الإنساني... وهو ما يستدرج خطى البشرية إلى شفا الحروب والمشاحنات الإنسانية غير المحكومة باعتبارات مبرورة...! وهذه واحدة من أخطر مثالب العلمانية!

العلمانية وأوهام الحل

فإن أي مشروع بإزاء عزل الدين عن حركة الحياة بمختلف وجوهها - ولو بصورة نسبية - إنما يمثل في حقيقته انتحاء بهذه الحياة عن سياقها الفطري، وخروجها على مألوفها... والعلمانية بطبيعة الحال: تعد انحرافاً من التصور الإنساني لطبيعة الوجود... ذلك فضلاً عن كونها مظنة قوية لتصادم الحضارات... باعتبار ما سيقدر للقيم المادية من التوسُّع والانتشار... والأمر الذي يعد ذريعة لسنة كونية جديدة من التدافع الإنساني... ومن ثم يبزغ فجر جيل ربَّاني جديد يقود دورة جديدة من التاريخ الإنساني، بشيء من الوعي والتحضر والتفاعل الإيجابي المثمر بين حضارات هذا العالم مع بعضها بعضاً، وتفلت من ثم البشرية من كلاليب التصادم الأعمى، وسفك الدماء بغير حق...!

ومن ثمَّ فإن الفرضية القائلة بوجود «علاقة وثيقة بين تصادم الحضارات وعدم علمانية العالم ... إنما تطوي دلالات بالغة الخطورة - حسب رؤية هانتنجتون ولويس - فبمقتضى تلك الرؤية: تعمد كل من الأنساق الحضارية إلى تقلد خصال الحقد والطمع والجور والنهب والاغتصاب والتحرش والاصطدام... وتلك مغالطة فاحشة وزيف منكور...!

فإذا ساغ للبعض أن يتخوَّف من عواقب تلاشي العلمانية من العالم... ويلقي ببذور الرعب والترقب في روع الفكر الإنساني...! فحري بهم أن يبدوا تخوفاً أعظم من سلطان المفاهيم المادية وغلبة الشهوات والنوازع الشريرة على أدمغة البشر أجمعين.. والذي بلغ الصراع بزخمها: ذروة الهمجية والصراع والتوحش بين الأمم والشعوب على اختلافها... وليست الحروب الأهلية الأوروبية، التي لم تهدأ نارها منذ بدايات القرن السابع عشر... وانتهاء بالحربين العالميتين: الأولى، والثانية في القرن العشرين... بخافية على أحد.!

ذلك ولم يكن للتاريخ على امتداد عصوره.. أي نظرة إيجابية إزاء قضية التعايش السلمي بمنأى عن بيئة القيم الدينية الربانية... ولقد كانت قيم العلمانية - في المقابل على مدار تاريخها: مثاراً للأحقاد والبغضاء والتحرش والاحتكاك، والتصادم بين مختلف الحضارات، ولعله في ظل تلاشي العلمانية - على عكس مذهب هانتنجتون - أن يدرك العالم الراحة والسلام والتفاهم والحوار... لأنه كلما اقترب منحنى الوعي الحضاري من خط القيم الدينية والروحية... تحرك مؤشر التفاعل الإنساني ليسجل نتائج تفاؤلية...!

ونحن إذ نعني بمصطلح تلاشي العلمانية من العالم: فإنما نريد أن تتجه المجموعات الحضارية على اختلافها إلى تعاطي مناهجها وقيمها ومأثوراتها الدينية تعاطياً إيجابياً وافياً بغير فصل أو اجتزاء... فتكون هذه المناهج وتلك القيم معياراً أو قاسماً مشتركاً للسلوك الإنساني والتفاعل بمختلف أنماطه واتجاهاته... ما يعني ترسيخاً لمبادئ التسامح والتراحم... وتأصيلاً لمرجعية التفاهم والمجادلة بالتي هي أحسن، يقول أرنولد توينبي: «إن مستقبل الإنسانية يتوقف على إخوة روحية لا يمنحها غير الدين، وهو الشيء الذي يجتاح إليه النوع الإنساني في هذا الوقت، الشيوعية التي تزعم أنها تستطيع أن توحِّد النوع البشري، وقد فشلت، كما أن الإسلام يثبت صلاحيته كقوة موحدة للإنسان، والمسيحية أيضاً تستطيع أن تلعب هذا الدور إذا عملت بمبادئها، ولكن القومية لا تستطيع أبداً أن توحّد الإنسانية، بل إنها توزعها وتشتت شملها، ومن أجل ذلك ليس لها مستقبل، وإنها لا تستطيع إلا أن تدفن الإنسانية في ركامها»(٢).

وهنا ينبغي التقرير بأن حاجة الإنسانية إلى الإسلام - كرسالة عالمية: ليست حاجة ثانوية، من قبيل الترف والكماليات... كلا، بل هي ضرورة ملحة... فلقد أنبأت الخبرة التاريخية عن صلاحية ذلك الدين، المطلقة، لتأسيس علاقة إنسانية سويّة ومتوازنة بكل من الكون والحياة... علاقة ترفد البشرية بقيم الحق والعدل والحرية والمساواة... علاقة تفتح أبواب الحوار المتكافئ بين الحضارات، وتغلق وتسدّ ذرائع الصراع والمشاحنات الفوضوية التي تقتل في الإنسانية المؤمنة كل طموح إلى عمارة الأرض بمنهج السماء.

وغاية ما نخلص إليه: أن العقائد الدينية التي يسعى العلمانيون إلى تحييدها، ونزع مؤثراتها من واقع الحركة الإنسانية المؤرقة بهواجس تصادم الحضارات... هذه العقائد: إن لم تطلها يد التحريف، ولم تعبث بها الأهواء... أو تحركها النوايا الفاسدة.. كانت بحق: مأمن الإنسانية، وملاذها الوحيد مما يلاحقها من ويلات التناحر وهواجس الأحقاد... بل إن تلك العقائد تعد من أهم مقومات اندفاع التيارات الحضارية في مسارات سويّة ومعقولة... (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يونس:٢٥.

وعلى الصعيد العلمي: حقق المسلمون في ظلال عقيدة التوحيد: ثورة علمية هائلة أثمرت عن منتجات حضارية فريدة... لم يكن للإنسانية إلف بها في أزمنتها الغابرة... تلك الثورة التي امتدت هداياتها العلمية والتطبيقية إلى العالم أجمع... حتى لقد أوعزت إلى حركة النهضة الغربية الحديثة بالفكاك من

إسار الجهل وامتلاك الفكر الظلامي الشائه... الذي غرق في بركه الآسنة قروناً طويلة...! يقول مونتغمري وات في تقييم الظاهرة الإسلامية بأوروبا: «حين يصبح الإنسان على بيّنة من كامل التجربة العربية والتفكير العربي يعني التفكير الإسلامي فإن المرء يقول: إنه لولا العرب لما كان لعلم أوروبا وفلسفتها أن يتطورا... وحين أصبحت أوروبا مهتمة بالعلم والفلسفة، كان عليها أن تتعلم كل ما يمكن من العرب قبل أن تتمكن من تحقيق خطوة إلى الأمام»(٣)

ولقد أخطأت أوروبا - كما أخطأ مقلدوها - حين خاصمت السماء بالعلمانية، وأبدت لقيمها تنكراً بيّناً بوازع من ضغوطات كنسية موتورة... مورست ضد سدنة العلوم الكونية باسم المسيحية..! وبدلاً من أن تتجه ذمة التقدميين الغربيين إلى الإسلام، إقراراً بالفضل وعرفاناً بالجميل... نابذته الجحود والنكران والإلحاد، بل ظاهرت عليه بالإثم والعدوان... فحق عليها الحرمان من مدد الله... وأوكلت في مواجهة سعار ماديتها التي اصطنعتها بأيديها إلى تدبير فلسفتها المادية التي انتحت بالغرب كله... في حين من الزمن - شطر الضلالة والتمزق والهلاك!.

ولقد امتدت يد العلمانية الآثمة إلى كيان الخلافة الإسلامية: فطعنت قلبها... وصدَّعت أركانها... ومزَّقت أوصالها... وأقصت نخب الفكر الإسلامي ورموز الوفاء عن دائرة الحضور والفاعلية فيها... كان في هذا الإجراء: ردم لرافد حضاري ثري... وتدمير لمنهج مدني مؤسس على الضمير والفكر والروح الإنسانية المؤمنة... كان في إبعادهم والقضاء على بعضهم والتغرير بالبعض الآخر: حكماً على طبيعة الحياة الإنسانية في هذه البقعة الممتدة بالموت البطيء... كان في هذا الإجراء - كما في كل فلسفة علمانية - سلخ للروح عن الجسد، ونزع للعقل عن الضمير، وتغييب للقيم الأخلاقية النبيلة عن دنيا الناس أجمعين - إلا من رحم الله.

والذي تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أسئلة كثيرة: ماذا بوسع الإنسانية أن تحقق من مكاسب بعيداً عن الدين والتدين؟ وماذا جنت بابتعادها عن قيم السماء وإعراضها عن منهج الفطرة وتنكيسها سبيل الأخلاق الفاضلة...؟ أو بتعبير آخر: ماذا كسبت الاتجاهات العلمانية بعد أن خسرت عبادة الله؟! وهل كانت العلمانية عند حسن الظن بها في تجنيب العالم مشكلات التصادم وفواجع الحروب؟!

لقد مضينا والعالمانية في بلداننا الإسلامية قرابة قرن من الزمان، ترى: هل حققت العلمانية وعودها إلى الجماهير من نهضة منشودة، وصحوة ممدودة، ومدنية موعودة، وعيشة مرغودة...؟! وهل تحرك مؤشر هذه المدنية التي زعم العلمانيون تخولها بفارغ وسعهم وغاية جهدهم، نحو الصعود بدرجة أو بأخرى؟ أم أننا ما زلنا منزوين في خانة التبعية والانحسار دون أن نلوي على شيء مما كنا نتطلع إليه بعيداً عن الله؟!!

إن القيم الربانية بأدبياتها الخلاَّقة المبدعة، وآلياتها الفاعلة... هي وحدها مدعاة بلوغ الإنسانية أمر رشدها، الذي لا ضلال معه، ولا سبيل إلى تصادمها وتناحرها به، فالعلمانية ليس لها مكانة في وجود الإنسان مع الإسلام، فإما أن يوجد الإسلام ولا علمانية أو توجد العلمانية ولا إسلام»(٤)، فالتركيبة الحضارية الإسلامية ذات خواص متميزة ومضادة للعلمانية.. ومفطورة على مجافاة الابتذال الحضاري على هذا النمط الغربي الكريه...!

ولئن اختلطت بهذه التركيبة عناصر غريبة، قد غيرت من طبيعتها نوعاً ما... فإن ظواهر الصحوة الإسلامية على مر السنين... كانت بمثابة عنصر التوازن المنشود، الذي يعيد حيوية هذه التركية المدهشة الفاعلية.

والإسلام في هذا السياق كله، لا يعتدّ بأنصاف الحلول ولا بأرباعها، إما علمانية وإما إسلام، فلا تملق ولا تلفيق... يقول تعالى: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير. ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) هود:١١٢-١١٣.

إنني لأرى العالم بأسره شارعاً سفائنه - طوعاً أو كرهاً - باتجاه رياح العولمة والطريق الثالث... وكلها صوارف عن طريق الله المستقيم... وكأنني بالله ينادي في هذه القطعان الشاردة: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣، ينادي فلا تلقي له سمعاً أو تعيره أي انتباه... ثم ما يلبث نداء الله أن يتكرر ولا سيما إزاء أولئك الذين بينهم وبينه عهد وميثاق... ولكن أعياهم وَهَنَ التبعية لغيره جل وعلا... وصرفهم بريق الحول عنه سبحانه...!

فهل سيصغي المعنيون بنداء الله... فيفيئوا إلى مرافيء الهداية وشطآن النجاة... أم أنهم سيظلوا سادرين حتى تمخر بهم سفائنهم في لجج التخبط والحبوط... فتمضي بهم إلى المجهول غير مأسوف عليهم... فإذا بنداء رباني عاتب: (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) يس:٦٠-٦١. ■

الهوامش

١ - نقلاً عن مجلة نور الإسلام - مصر - العدد الثالث - السنة ٦٥ - ربيع الأول ١٤١٧هـ - ص١٤.

٢ - نقلاً عن: أبي الحسن الندوي - رجعية التقدميين - مقال - صحيفة الرائد الهندية - العدد ٨ - ١٤١٧هـ ص٤.

٣ - MONTGOMERY WATT, THE INFLUENCE OF ISLAM ON MEDIEVAL EVROPE, EOLIM 6 URGH, 1972. P.58.

٤ - محمد البهي - العلمانية والإسلام - كتاب مجلة الأزهر - مصر - ١٤١٥هـ - ١٥.

بقلم : د. أحمد عبدالرحيم السايح

أضواء حول العلوم الإسلامية

إن الدارس أو الباحث في العلوم الإسلامية المختلفة، يلحظ بوضوح: أن كل جماعة متخصصة في علم، قدمت هذا العلم على غيره من العلوم، وجعلته المطلب الأول في طلب العلم والتعلم - ولما كان غير من المعقول أن يعبد الإنسان رباً لا يعرفه، دعا علماء علم الكلام وعلم التوحيد، وعلم أصول الدين. إلى تعلمّ هذا العلم، واعتبروه مقدماً على العلوم كلها. لأنه يعلّم الإنسان كيف يصل إلى معرفة الله.

أنشد أبو عبدالله بن مجاهد المتكلم لبعضهم:

أيها المغتدي ليطلب علماً
كل علْمٍ عبدٌ لعلمِ الكلام
تطلب الفقه كي تصحح حكماً
ثم أغفلت مُنْزل الأحكام(١)

وكثير من العلماء يقدمون علم أصول الدين على غيره من العلوم فيقولون:

وقبل تعلم أصول الدين
أول من الفرع أبا معين
وبعد ذا ما الناس فيه أحوج
تعليمه أولى إليه ينهج(٢)

وبعض العلماء يرى: «أن علم التوحيد أشرف العلوم لأنه العلم الكلي وعليه يتوقف كل علم من الشرعيات والعقليات»(٣).

وذهب جماعة إلى تقديم علم الحديث في التعليم الديني لأن السنة جامعة وشارحة ومفصّلة وموضحة، لما جاء في القرآن الكريم، ومن هؤلاء ابن عساكر، فقد أنشد في تفضيل الحديث على غيره قائلاً:

ألا أن الحديث أجلّ علم
وأشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل علم منه عندي
وأحسنه الفوائد في الأمالي
فإنك لن ترى للعلم شيئاً
يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه
وخذه عن الرجال بلا محال
ولا تأخذه من صحف فتؤتي
من التصحيف بالداء العضال(٤)

وهناك علماء قدموا الفقه كعلم يجب تعلّمه وطلبه وفسروا قول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٥)، بأنه علم الواجبات والأحكام، ومعرفة ما يحل ويحرم في الدين.

وقالوا: إن علم الفقه هو العلم الذي دعا إليه القرآن ورفعه إلى مرتبة الجهاد في سبيل الله.

قال تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)(٦). وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن تعلّم العلم واجب على الأمة جميعاً وجوباً لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والمجتمعات الإسلامية فإن الوطن يحتاج إلى من يناضل عنه بالسيف، وإلى من يناضل عنه بالحجة والبرهان.

وفي الآية إشارة إلى وجوب التفقه في الدين والاستعداد لتعليمه في مواطن الإقامة، وتفقيه الناس فيه بالمقدار الذي تصلح به حالهم، فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن أن يتعرفها.

«والناصبون أنفسهم لهذا التفقه على هذا القصد لهم عند الله أسمى المراتب، فلا يقلون في الدرجة عن المجاهدين بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، والذود عن الدين والملة»(٧).

وبعض العلماء يساوي بين الحديث والفقه، فهما جامعان لأحكام الدين. ومن هؤلاء الشافعي حيث يقول:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة
إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا
وما سوى ذاك وسواس الشياطين(٨)

وقال بعضهم:

العلم قال الله، وقال رسوله

قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة

بين الرسول ورأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها

حذراً من التمثيل والتشبيه(٩)

والصوفية يرون «أن العلم الذي هو فرض عين يتمثل، في علم الحلال وعلم الوقت فمن جهل وقته وما عليه، فقد جهل العلم الذي أُمر به».(١٠)

ولم تنفرد العلوم الدينية على اختلاف مراتبها طويلاً باهتمام المسلمين، فقد استدعت بطبيعتها العلوم اللغوية كمقدمات وأدوات إليها، ولا يمكن الاستغناء عنها في تحصيل العلوم الدينية.

ويقرر ابن خلدون، «أن معرفة علوم اللسان العربي ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب».(١١)

ويقول المبرد مشيداً بأهمية النحو:

النحو يبسط من لسان الألكن

والمرء تعظمه إذا لم يلحن

فإذا أردن من العلوم أجلّها

فأجلّها منها مقيم الألسن(١٢)

«وألحقت بالعلوم الدينية علوم تابعة تفيد عالم الدين في علمه أو في أمور دينية كالفرائض أو علم المواريث».(١٣)

ويرى ابن رشد، «أن الاشتغال بالطب تأكيد علمي لحقيقة الإيمان بالله وبيان إعجازه في خلق الإنسان».(١٤)

ويقول أبو العلاء المعري:

عجبت للطبيب كيف يلحد

من بعد درسه التشريحا(١٥)

وكثير من الفلاسفة رأوا: أن الفلسفة من أفضل العلوم لأنها تبعد الأضاليل التي تلحق بالشريعة، وينشد في ذلك أبو الفتح يحيى بن علي البستي:

خَفِ الله واطلب هدى دينه

وبعدها فاطلب الفلسفة

لئلا يغرّك قوم رضوا

من الدين بالدور والسفسفة

ودع عنك قوماً يعيبونها

ففلسفة المرء قبل السفه(١٦)

وعند أبي حيان التوحيدي «الفلسفة علم العلوم، وصناعة الصناعات، ولا تعطيك موضع الشك من اليقين، ولا موضع الظن من العلم»(١٧)

لقد توسع العلماء في ذكر علوم مختلفة تتصل بالفكر والحياة، إلا أن هناك طائفة ضيقت من دائرة العلم.

يقول ابن القيم: «كل طائفة اعتقدت أن العلم ما معها وفرحت به وأكثر ما عندهم كلام وآراء خرص، والعلم وراء الكلام، والعلم الحقيقي هو ما جاء به القرآن»(١٨).

وابن رجب البغدادي، يرفض العلوم التي جدت بعد عصر الصحابة ويعتبرها بدعة، ويقول في ذلك: «وأما حدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علوماً وظنوا أن من لم يكن عالماً بها فهو جاهل أو ضال. فكلها بدعة»(١٩).

ويعلق الدكتور محمد قمبر، على بعض النصوص، فيقول: «إن هؤلاء ومن كانوا على شاكلتهم، أخذوا ببعض الأحاديث والآثار، ونزعوها من سياقاتها الخاصة، والتي تؤكد أهمية العلم الديني المفروض تعلّمه، ووقفوا عند هذا الحد، جاعلين منهم موانع طاردة لكل ما يغايرها من علوم، من ذلك حديث: «العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة».

أو قول عمر بن الخطاب: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية ولا أدري» ويتركون بقصد أو بغير قصد الأحاديث والأقوال المأثورة الأخرى، والتي تدعو المسلمين إلى تعلّم ما يفيدهم في حياتهم.

إن حصر مفهوم العلم في حده الديني التبليغي الذي جاء به القرآن والسنة تعسف ينكره الواقع العلمي الذي فجرته الحضارة الإسلامية وكشف عن عبقرية المسلمين».(٢٠)

وبجانب هؤلاء الذين ضيقوا دائرة العلم، نفر توسع في هذا المعنى وجعل من القرآن كتاب علوم أو موسوعة أكاديمية تضم منظومة المعارف العلمية التي يحتاجها البشر في دنيا العلم والعمل.

وقد وجد هذا النفر من العلماء في عصور الإسلام المختلفة القديم منها والحديث، وقد ردَّ العلماء على هذه الأقوال.

ويقول العقاد: «ليس من الحق أن نزعم أن كل ما تستنبطه العقول مطابق للكتاب مندرج في ألفاظه ومعانيه فإن كثيراً من آراء العلماء التي يستنبطونها أول الأمر لا يعدو أن يحسب من النظريات التي يصح منها ما يصح، ويبطل منها ما يبطل، ولا تستغني على الدوام عن التعديل، وإعادة النظر من حين إلى حين».(٢١)

ولكن ما العلم الذي جعل الحديث طلبه فريضة على كل مسلم؟ قد تباينت الأقوال، وتناقضت الآراء في هذا العلم المفروض على نحو عشرين قولاً - كما يقول العلامة المناوي - «فكل طائفة تقيم الأدلة على فرضية علمها هي، وكان لكل معارض، وبعض لبعض مناقض، فمن متكلم يحمل العلم عن علم الكلام، ويحتج بأنه العلم المتقدم رتبة لأنه علم التوحيد، الذي هو أساس البناء.

ومن فقيه يحمله على علم الفقه. إذ هو علم الحلال والحرام. وبه يعرف المسلم كيف يعبد الله، وكيف يعامل الناس. ويقول: «إن ذلك هو المتبادر من إطلاق العلم في عرف الشرع.

ومن مفسر يرى أن أول ما يطلق عليه العلم هو العلم بالمراد من كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشرية وهذا هو علم التفسير.

ومن محدث يحمل العلم على معرفة السنن والآثار التي بها بيان القرآن وفيها تفصيل ما أجمل، وتبيين ما أبهم، وتخصيص ما عمم، وتقييد ما أطلق... وهي مع القرآن النجاة.

ومن نحوي يحمله على علم العربية، إذا الشريعة إنما تتلقى من الكتاب والسنة، وقد قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)(٢٢) فلابد من إتقان العربية ليعرف البيان المشار إليه في الآية الكريمة.

ومن متصوف يحمله على علم البعد بحاله ومقامه من الله عز وجل أو العلم بالإخلاص، وآفاق النفوس، ومداخل الشيطان إليها.

وقال أبو طالب المكي: «هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام (بني الإسلام على خمس... إلخ)، لأن الواجب هذه الخمس. فيجب العلم بكيفية العمل فيها، وبكيفية الوجوب».(٢٣)

يقول الشيخ القرضاوي معلقاً على ما ساقه من آراء وأقوال: «وهكذا تعددت الآراء واختلفت الأقوال، ولكل وجهة هو موليها. والذي أراه: أن العلم الواجب طلبه وتعلمه عيناً على المسلم هو ما لابد له منه في دينه أو في دنياه.

أما في دينه فلابد له أن يتعلم علوم الشرع:

١ ـ عبادته لربه ظاهراً، بأن تكون على الصورة المشروعة. وباطناً بأن تتوافر فيه النية الخالصة لله تعالى.

٢ ـ وما يزكي به نفسه، ويطهّر به قلبه. بأن يعرف الفضائل (المنجيات) ليتحراها ويتخلق بها. ويعرف الرذائل (المهلكات) ليتجنبها ويتوقاها.

٣ ـ وما يضبط به سلوكه في علاقته مع نفسه، أو أسرته، أو مع الناس، حكاماً ومحكومين، مسلمين وغير مسلمين، فيعرف في ذلك الحلال من الحرام، والواجب من غير الواجب، واللائق من غير اللائق.

ولايضيرنا أن يدخل هذا القدر اللازم تحت اسم (الوصية) أو (الفقه) أو (التصوف) أو (الأداب الشرعية) أو (الزهد) أو غير ذلك.

فهذه التسميات مصطلحات محدثة، ولم يتعبدنا الله بها. وإنما يهمنا المضمون ولا عبرة بالأسماء والعناوين، متى وضحت المسميات والمضامين».(٢٤)

«وحسب الإنسان ما ورد في القرآن الكريم من الإشادة بالعلم، ومحاربة الجهل. ولا يخفى أن العلم هو الأساس لكل نشاط إنساني وحركة إرادته. فالمرء لايعمل ما لم يرد، ولا يريد ما لم يعلم. إذ النفس لاتتجه إلى المجهول».(٢٥)

ويذكر علماء النفس: «أن الفكر في الشيء يسبق العمل به حتماً. فالعمل الاختياري إنما يعمل بعد التفكير».(٢٦).

«والواقع أن تاريخ العلم عند المسلمين يكشف لنا عن دوافع نبيلة لعلماء كبار كان لهم جهد بارز مشكور في سبيل تحصيل العلم وإنتاجه وترقيته والتجديد فيه، والإبداع فيما كان وقفاً عليهم، وابتدأوا به.

«لقد آمنوا بأن العقل أفضل ما أعطاه الله للإنسانية، ولذلك حرصوا على جمع ونقل وتطوير الميراث العلمي الذي أسهمت أمم الأرض في صنعه عبر تاريخها الطويل، ولم يقفوا منه موقف المتفرج، ولم يعادوه، ولم يدفنوه كما فعل الرومان في بطون الأوراق، وخزانات الكتب، ولم يبددوه كما بددته أمم سلفت، وإنما استخدموه بما يجليه ويرقيه، ويوظفه، لخير الحياة، وسعادة الإنسان».(٢٧)

والباحث والدارس: «يجد أنه عندما جاء الخليفة المأمون في مطلع القرن الثالث من الهجرة كانت العلوم الدينية واللغوية في معظمها قد تأسست في المجتمع الإسلامي، وتم وضعها على الابتداء، ولدت كاملة أو شبه كاملة، بشكل يذهل المؤرخ للعلوم في الإسلام.

فالفقه قد تضخم وترفع وتقعد، وتأصلت مذاهبه مع الأئمة الكبار، وأصوله قد نقحت ورسخت، والحديث جمع في أكثره، وصححت أسانيده ومتونه، واللغة وضع معجمها مع الخليل»(٢٨)، وخرج على يديه علم العروض، وأصلحت قواعد النحو مع سيبويه. ولم يكن هناك من نقص في هذا الصرح العلمي إلا مارآه المأمون من علوم فلسفية وطبيعية فبذل ما وسعه الجهد من استقدام كتب الأوائل وترجمتها.

«وقف المسلمون على ثمار العلم الذي عرفه الهنود، والفرس، والرومان، وسرعان ما تعدوا طور التلمذة في هذه العلوم، وأصبحوا فيها أساتذة ناقدين لامعين، يردون منها أكثر مما يأخذون ـ تبعاً لمعطيات دينهم ونوعية حضارتهم ـ وصححوا منها الكثير، وأضافوا إليها الكثير أيضاً مما أخرجها في النهاية علوماً إسلامية في مضامينها، ومناهج بحثها.(٢٩).

والمسلمون كما كانوا علماء في دينهم، كانوا علماء في الكون وأئمة العلم، ولن يستغني الدين عن العلوم إلا إذا استغنت المقاصد عن وسائلها ومقدماتها، أو الدعاوى عن حججها وبيّناتها، «فكما أن المجهول لا يتوصل إليه إلا عن طريق المعلوم، والغائب لا يدرك إلا على الضرب من القياس على الشاهد.

كذلك الحقائق العليا لا يسهل الصعود إليها إلا على سلّم من حقائق الدنيا».(٣٠).

وحسب التصور الإسلامي لا تعتبر أهمية علم من العلوم إلا إذا كان يمثل امتداداً للأصول الشرعية الخالصة، أو فرعاً من فروعه الثانوية، فللعلوم الإسلامية مهمتان أساسيتان متكاملتان تتميزان بهما؛

فهي من جهة عبارة عن تطبيقات الوحي تسمح لكل أنساق

الحقائق أن تتوثق فيما بينها، وأن تندمج في وحدة التركيب الشامل. ومن جهة أخرى فإن هذه العلوم - بتوافق مع استعدادات أنساق الحقائق هذه - تمثل توطئة لمعرفة أعلى، ونوعاً من التوجه نحوها. فهي عبارة عن تدرج يمكّن من الارتفاع نحو الحق.

«إن هاتين الوظيفتين اللتين تقوم بهما العلوم الإسلامية وظيفتان متكاملتان. لا تناقض بينهما، وإن كان لكل واحدة منهما اتجاه خاص.

أما الوظيفة الأولى، فهي انفتاح المعرفة انطلاقاً من الأسس الأصولية بحكم التوافق مع ضرورات الحياة البشرية ومصالحها.

وأما الوظيفة الثانية: فهي تطابق البحث التدريجي عن هذه المعرفة الربانية بالذات للتصرف مع الأسفل نحو الأعلى، ومن الخارج إلى الداخل».(٣١)

ومن هذا المنطلق تعمق المسلمون في علوم الحياة والحضارة الإنسانية. فكان منهم نوابغ الأطباء، والفلكيين، والرياضيين، والكيمياويين، وأوائل من اكتشفوا حقائق علمية في مجالات، كانت أول المعالم على طريق الباحثين، والدارسين. وكان العلماء ينظرون إلى الكون وما فيه، على أنه من الأمور الموضوعة للدراسة، والبحث والانتفاع.

والباحث في المنهج الإسلامي الذي جاء لترشيد العملية التعليمية، والأخذ بيد العلماء، يجد أن هذا المنهج يقوم على دعائم أساسية، من شأنها حراسة الإنسان، حتى لايضل في المتاهات.

وأول دعامة في المنهج الإسلامي هي تحرير العقل والفكر، تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته، لأن الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر، ويطفئ نور القلوب، ويعمي البصائر، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد والجماعات والأمم، ويفسد على النص مناهج الاستقامة، والسلوك السليم... والجهل هو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف، والبدع، والأهواء، والخرافات، والأساطير.

والدعامة الثانية في المنهج الإسلامي، هي تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء، وتربيته تربية إسلامية تقوم على حرية الفكر، واستقلال الإرادة. ليكمل بذلك العقل ويستقيم التفكير، وتكمل الشخصية الإنسانية. لأن كمال العقل واستقامة التفكير، أساس في صحة العقائد، وكمال التدين، ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذي يجب أن يجتنب.

وقد عنى الإسلام ببناء تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلي عناية كبرى. فجعل البرهان أساس الإيمان الصحيح، وبيَّن أن كل اعتقاد أو عمل لايقوم على دلائل الحق. فهو مردود، وأنذر الذين يجادلون في الله بغير علم ولا كتاب، قال تعالى: (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق)(٣٢).

والدعامة الثالثة في المنهج الإسلامي: تحرير الإنسان من طاعة الأهواء، والانقياد الأعمى لمغرياتها. لأن طاعة الأهواء تقوي انحراف الإنسان في سلوكه، والتوائه في نظره وتفكيره.

وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء، لا يستقيم لهم رأي، ولا تعتدل لديهم موازين، ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم، ولهذا عنى الإسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى، ونعى عليهم ضلالهم.

قال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)(٣٣).

«وإذا كان الإسلام يدعو إلى تحرير الإنسان من أصفاد الجهل، وأغلال الحجر العقلي، وسيطرة التبعية العمياء - كما عرضنا في دعائم المنهج الإسلامي لترشيد العملية التعليمية - فإن ذلك يعني أن التقليد الذي ذمه الإسلام هو التقليد الذي لايميز بين الخير والشر، وتقليد أهل الغواية والضلال. أما تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة النبوية فهو من قبيل القدوة الواعية.

ويرى أهل البحث، أن حرية الفكر التي دعا إليها الإسلام هي الحرية التي تطلق العقول والأفهام من أغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتجلي معالم الحقائق، وتجعل قيادة التوجيه، قيادة بناء وإصلاح وإرشاد تستمد مقوماتها من هدي الإسلام، وتعاليمه، وتوجيهاته.

لهذا كله أقبل المسلمون على التعلم ينشدونه في مظانه ووجهوا عزائمهم إلى الفكر الأصيل القائم على توجيهات الإسلام. فانتبهوا إلى آيات الله الشرعية، وآيات الله العلمية، والعقلية والحضارية. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة، ولم يثنِ عزائمهم بأساء الحياة.

واستطاعوا في سرعة لم يعهد لها مثيل في التاريخ، أن ينتقلوا من أمة الأمية إلى أمة العلم، والقيادة الفكرية، وأن يصبحوا أساتذة العلم، وقادة الفكر، ورواد المعرفة، فبحثوا، ودرسوا، وأضافوا، وجددوا، وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الأصيل.

وقد حققوا ذلك على الرغم من الأحداث العاتية التي حملوا أعباءها، والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها، لأن الأحداث والخطوب، وإن بلغت لا تستطيع أن تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول إلى أغراضها وأهدافها».(٣٤)

ولا يخفى أن تاريخ الفكر الإنساني وعلومه: «يؤكد أن النهضة الأوروبية الحديثة لم تكن من عدم، كما أنها لم تكن امتداداً مباشراً لحضارة الأغريق والرومان»(٣٥) لأن النهضة الأوروبية بدأت في القرن الخامس عشر، بينما انقرضت الحضارة الرومانية والإغريقية في القرن السابع الميلادي، وما بينها هو فترة ثمانية قرون كان ظلاماً وجهلاً وانحطاطاً ساد أوروبا كلها.

وذلك ما تسميه النهضة الأوروبية نفسها القرون الوسطى

المظلمة هذه الفترة كان يحمل مشعل الثقافة الإنسانية والحضارة العالمية فيها: «العلماء المسلمون في المشرق الإسلامي ومغربه في الأندلس.

وكانت اللغة العربية هي اللغة العلمية العالمية. ثم إن الأوروبيين لم يدرسوا كتب اليونان والأمم المتقدمة إلا مترجمة للعربية أولاً كما أن كثيراً من الكتب العلمية للنهضة الفكرية الإسلامية لكبار الأطباء والرياضيين والكيمياويين والفلكيين والجغرافيين والنباتيين لاتزال شاهدة موجودة بنسخها الأصلية، أو المترجمة إلى اليوم في دور الكتب الغربية الكبرى في موسكو وبطرسبرغ وبرلين ولاهاي وأوكسفورد ولندن وروما وباريس وقرطبة.

ودليل آخر ما تحفل به اللغة العربية في معاجمها العامة من ألفاظ علمية في مجال الطب، وكذلك في مجال الجبر والهندسة والفلك. ووضع الكلمة ما يدل على قيام معناها ومدلولها. بل هناك مئات الكلمات العلمية العربية التي دخلت كما هي أو بشيء من التحريف في اللغات البرتغالية والأسبانية وحتى الألمانية والفرنسية والإنكليزية».(٣٦)

إذاً نحن أمة لها تاريخ من السيادة، والعظمة، والنماء، والانتشار، والقوة، وكلنا يعرف أن الإسلام في القرنين الأول والثاني استطاع أن يضم إليه تقريباً الرقعة التي كان قد استولى عليها الإسكندر الأكبر.

«وحينما جاءت الحروب الصليبية كانت حروباً بين شرق مسلم متعلّم، وغرب متعطش إلى المعرفة، لأن مراكز العلم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين كانت في بغداد والقاهرة، وفي بخارى وفي سمرقند، وفي الشام وغيرها من بلاد الأمة الإسلامية، وكان القسس والرهبان يأتون إليها ليتعلموا فيها.

إذاً في أزهى عصور الإسلام كان هناك علم، وكان هناك عقل، «والذي حدث أنه في القرن الثالث عشر الميلادي حينما جاء فرسان الصليبيين، ورأوا العلم وكيف يزدهر، عادوا لكي يتعلموا وانبروا لكشف الثراء العقلي والثراء المادي بالكشوف الجغرافية، وكوّنوا ثروات مادية، واستغرقوا في الدراسات العلمية، وجمعوا بين الثراء العقلي، والثراء المادي، وعلى هذا الأساس قامت النهضة الأوروبية».(٣٧)

ومن المعلوم أن صحوة أوروبا من سباتها، لم تكن إلا في الزمن المتأخر. فبنت مدنيتها وعلومها الغربية. على علوم المسلمين ومدنيتهم. لقد حصلت أوروبا على القوة في الحياة الدنيا لسموها ونجاحها في العلوم التجريبية في الكون، ووصلت إلى السيطرة والغلبة في مجالات عدة من الحياة المادية.

«ونحن المسلمين - أمة العلم التي علّمت الإنسانية - تأخرنا عن ركب العلم، ومعرفة آفاق التعلّم، لعوامل داخلية وخارجية - ليس من خصائص هذا البحث رصدها - وأصبحت مجتمعاتنا الإسلامية المختلفة هنا وهناك. تستهلك ما ينتجه غيرها. بل تنبهر وتتباهى بعض المجتمعات بأنها تملك - طبعاً عن طريق الاستيراد - أحدث ما أنتجه العلم وجاد به العلماء.

وهكذا أصبحنا عالة وسوقاً استهلاكية، نقف مبهورين أمام التقدم العلمي الهائل الذي أحرزه غيرنا.

إن بعض مجتمعاتنا الإسلامية رضيت أن تعيش حالات الجهل، والتبعية، والتأخر». وليس أَقْتَلُ للشعوب من أن تحس بالحرية والاستقلال والتقدم بينما هي ترسف في قيود الذل والتبعية والجهل. وليس أضيع لمستقبل أمة من أن تعجز عن أن تخطط لمستقبلها ألا وهي دائرة في فلك غيرها، ذاهلة عن حقيقة ما تعانيه من تبعية».(٣٨)

إن المجتمعات الإسلامية تعيش أزمة نفسية حادة، ولابد أن يعمل المخلّصون على فتح آفاق التعلّم، الذي يرشد الناس إلى مواكبة العلم والتقدم. وقد يرى بعض الراصدين لحركة الأمم. أنه لكي تخرج الأمة الإسلامية من أزمتها لابد لها من أن تتعلم من غيرها. والعلم الذي دعا إليه الإسلام منفتح الحدود الفكرية، والنفسية والمادية. والنصوص الإسلامية التي تعلن هذه الحقائق كثيرة منها:

قال رسول الله، ﷺ: «الحكمة: الإصابة في غير النبوة»(٣٩).

وقال ﷺ: «الكلمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها».(٤٠)

وبناء على هذه النصوص وغيرها، لامانع من أن نتعلم من غيرنا ونستفيد من هذه العلوم. فالتأثيرات الحضارية، والاستعارات الثقافية، والأفكار، والنظريات، والعلوم المتبادلة بين الأمم والشعوب ظاهرة صحية طبيعية سليمة، لا خطر فيها، ولا خوف منها.

ولا عيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا. ولكن العيب أن نظل عالة على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطيها.

إذاً لكي نخرج من الأزمة الحادة التي تكاد تعصف بمجتمعاتنا الإسلامية نفسياً. لابد أن نتعلّم. ولا مانع من أن نتعلّم من غيرنا.

ولكن السؤال المهم: هل غيرنا سيسمح لنا أن نتعلّم منه كما سبق له أن تعلّم منا؟

إن الناظر والباحث في الأمر يجد أن غيرنا من أمم الأرض لم يساعد على أن تنال المجتمعات الإسلامية حظها من العلوم. حتى تلك التي «تعلمنت وتغرّبت»، ومازال هناك كثير من المأجورين الذين تبلد حسّهم، وتهاوى كيانهم من يدعو في جرأة، ويقول إنه لكي تكون مجتمعاتنا لها نصيبها من العلوم العصرية: لابد أن تكون علمانية أو تابعة.

وقد كانت هناك مجتمعات «علمانية متغربة». فأصبحت مسخاً شائها تائهاً. ولم يحدث أن أتيح لها أن حصلت على علوم متقدمة.

وإذا كانت أمم الأرض تعمل بكل ما تملك من إمكانات: على أن تظل المجتمعات الإسلامية بعيدة عن حركة العلم والحياة. فإن معنى ذلك أن مجتمعات هذه الأمة وقعت فريسة لتكالب مسعور، ومخطط مرعب.

ونحن إذا تأملنا حال الأمة الإسلامية، وجدنا أنها من وجهة نظرنا محاصرة بين غربتين: «غربة زمان»، و«غربة مكان». أما

غربة الزمان، فهي بعد الأمة عن ماض حضاري مشرق، لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية، وأنت تجد أن العرب لم يكن لهم وجود في عالم العلم والحضارة. إلا بالإسلام.

فالإسلام هو الذي علّمهم، وهو الذي بنى لهم شخصيتهم، وهو الذي هذّبهم، وجعل لهم مكانة، فلا حياة للعرب من دون الإسلام، فإذا ابتعد المسلمون عن الإسلام، واتخذوه شكلاً من الأشكال لتحقيق أغراض مختلفة فإن في ذلك الضياع للأمة.

وأما غربة المكان فهي بعد الأمة عن واقع حضاري معاصر تجهل عنه كل شيء مما مثل فجوات حضارية كبرى، ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها... ولذلك كان لابد من خروج الأمة من الاغتراب الزماني والاغتراب المكاني. وذلك بالربط بين الواقع والثوابت الإسلامية وبين عوامل التقدم. وليس هناك من وسيلة للربط غير الفهم الصحيح للدين، والعلم والحياة في إطار من حرية الفكر، والتسامح والعقلانية. ■

الهوامش:

١ ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١، ص٣٤٣، ط: دار الكتاب العربي.

٢ ـ جميل خميس السعدي، قاموس الشريعة، ج١، ص٦٤، ط: وزارة التراث القومي ١٩٨٢م، مسقط.

٣ ـ أبو علي عمر السكوني، عيون المناظرات، ص ١٣ـ١٤، ط: الجامعة التونسية ١٩٧٦م.

٤ ـ أبو العباس المكناس، ذيل وفيات الأعيان، ج٢ ص٣٥، ط: دار التراث بالقاهرة، ١٩٧٤م.

٥ ـ رواه ابن ماجة في سننه وابن عبدالبر في بيان العلم وفضله، والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم.

٦ ـ سورة التوبة: الآية رقم ١٢٢.

٧ ـ تفسير المراغي، ج١، ص٤٨، وانظر الدكتور أحمد السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية ص ١٣٥ ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٨٩م.

٨ ـ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص ٢٥٤، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٩ ـ ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص ١٣٧، ط: دار النفائس، بيروت ١٩٨٢م.

١٠ ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٥، ص٣٠.

١١ ـ عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٥، ط: بيروت.

١٢ ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٤، ص ١٣.

١٣ ـ الدكتور محمود قمبر، حولية كلية التربية، العدد ٨ ص ٢٤، جامعة قطر.

١٤ ـ الدكتور محمود قنبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، ج٢، ص ٣٠٧، ط: دار الثقافة، قطر.

١٥ ـ الدكتور محمود قمبر، حولية كلية الشريعة، عدد ٢٨، ص ٢٥.

١٦ ـ ظهير الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، ص ١٠٩، ط: المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٤٦م.

١٧ ـ أبو حيان التوحيدي، المقياسات، ص ١٧٢ ط: مطبعة الرشاد بغداد، ١٩٧٠م.

١٨ ـ الدكتور محمود قمبر، حولية كلية التربية، العدد ٨، ص٢٥.

١٩ ـ انظر المصدر السابق، العدد ٨، ص ٢٥، وراجع ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف ج٢، ص ١٦٩.

٢٠ ـ انظر: الدكتور محمود قمبر، حولية كلية التربية، العدد ٨ ص ٢٦.

٢١ ـ عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، كتاب الإسلاميات، المجلد الخامس، ص ٣٤١ ، ط: دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٢ ـ سورة إبراهيم الآية ـ ٤.

٢٣ ـ الدكتور يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص ٨٧، وراجع: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص١٤.

٢٤ ـ انظر: الدكتور يوسف القرضاوي، الرسول المعلّم، ص ٢٨.

٢٥ ـ انظر: الدكتور عبدالستار محمد نوير، القرآن والعلم، حولية كلية الشريعة، العدد ٤، ص ٢٠٥، جامعة قطر ١٤٠٥هـ.

٢٦ ـ المصدر السابق، ص ٢٠٥، وراجع أحمد أمين، كتاب الأخلاق، ص ٤٨، ط: بيروت.

٢٧ ـ انظر: الدكتور محمود قمبر، هدفية العلم في الإسلام، حولية كلية التربية، العدد الثامن، ص ٣٨.

٢٨ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي.

٢٩ ـ راجع الدكتور محمود قمبر، هدفية العلم في الإسلام، حولية كلية التربية، العدد الثامن، ص ٣٨.

٣٠ ـ انظر: الدكتور محمد عبدالله دراز الدين، ص٧٥، ط: دار القلم بيروت، وراجع : الشيخ محمد عبده «الإسلام بين العلم والمدنية» ص ٢٠٣، ط: دار الهلال.

٣١ ـ انظر: جمعة المغربي، مقارنة بين مفهومي العلم، مجلة الرائد، عدد رقم ١١٠، ص ٦٠، المانيا.

٣٢ ـ سورة الحج: ٨، ٩.

٣٣ ـ سورة القصص، الآية رقم ٥٠.

٣٤ ـ انظر: الدكتور أحمد السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، ص ١٠٧ ـ ١١٤، بتصرف، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٩٨٩م.

٣٥ ـ حيث يدعى بعض المؤرخين من علماء أوروبا: أن العصور العلمية تنقسم إلى عصرين رئيسين:

العصر الأول: العصر الأغريقي ويمتد من سنة ستمئة قبل الميلاد إلى سنة مئتين من الميلاد.

والعصر الثاني: هو عصر النهضة الحديثة التي تبدأ من سنة ألف وأربعمئة وخمسين من الميلاد.

وإذا كان هو ادعاء بعض المؤرخين الأوروبيين، فإن بعض المستشرقين يزعم: أن العقلية العلمية لم تتوافر للمسلمين. وأن التفكير العلمي في مجال العلوم الموضوعية والكونية والتطبيقية لم تدركه العقلية الإسلامية. ولا شك أن هؤلاء وأولئك قد تناسوا أو أغفلوا ما قبل عصر الإغريق. من مصريين وآشوريين وبابليين وغيرهم ممن أسهموا في الحضارات الإنسانية. والعلم الإغريقي لم يبدأ من العدم، بل لابد وأن تكون سبقته معارف استطاع الإغريق بما توافر لهم من إمكانات متاحة وبحث ونظر، أن ينهلوا منها في مسيرتهم. وهؤلاء وأولئك قد تناسوا وأغفلوا عن عمد العصر الإسلامي الزاهر والذي يعد من أزهى عصور المعرفة في تاريخ الإنسانية وذلك أن الإسلام قد رفع من شأن وقدر العلماء.

٣٦ ـ انظر: الدكتور أحمد السايح، أضواء حول الحضارة الإسلامية، ص ٧٩، ط: دار اللواء الرياضي، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٧ ـ انظر: الدكتور أحمد محمد خليفة، تنمية المجتمع العربي بين العلم والوهم، كتاب من ثمار الفكر، الموسم الثقافي العاشر، ١٤٠٥هـ، ص ٩٩، طبع جامعة قطر ١٩٨٥م.

٣٨ ـ الدكتور أحمد السايح، في الغزو الفكري، ص ٧٥، كتاب الأمة، رقم ٣٨، ط: وزارة المعارف، قطر ١٤١٤هـ.

٣٩ ـ رواه البخاري.

٤٠ ـ رواه الترمذي.

بقلم : أحمد أبو الدهب محمود

تمزيق حواجز الغيب : وجه من الإعجاز القرآني

حينما جاء القرآن مزق حواجز الغيب... مزق حواجز الزمان والمكان... كيف ذلك؟ حواجز الغيب ثلاثة... أولها حاجز المكان... أي أن الأشياء تحدث في اللحظة نفسها... ولكن لا أعرف عنها شيئاً... لأنها تحدث في مكان ما... وأنا موجود في مكان آخر، ثم هناك حاجز الزمن الماضي... وهو شيء حجبه عني زمن مضى... فأنا لم أشهده، وحاجز المستقبل وهو ما سيحدث غداً لابد حاجز الزمن المستقبل. قد حجب عني فلم أشهده؟! فحواجز الغيب ثلاثة: حاجز المكان، وحاجز الزمن الماضي، وحاجز الزمن المستقبل.

أولاً: تمزيق حاجز الزمن الماضي:

إذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضي... فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة، ويروي لنا قصص الرسل السابقين ويحكي لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها وعلى لسان من على لسان نبي أمي لا يقرأ لا يكتب يحكي إذاً أسرار الماضي ويتحدى الذين يكذبون... مزق له الله حجاب وحاجز الزمن الماضي... ويكفي أن تقرأ في القرآن «وما كنت وما كنت وما كنت» لتعرف كم أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضي.

فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الأخبار، ولم يشتغل بدرس الآثار وقد حكى في القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها.

ولذلك قال الله تعالى: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) العنكبوت ٤٨.

وقال: (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين) القصص: ٤٤.

وقال: (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) القصص: ٤٦. فبين وجه دلالته من إخباره بهذه الأمور الغائبة السالفة.

من أسباب أي الاعجاز القرآني هو الحديث عن التاريخ القديم والرسول الكريم أي لا يقرأ ولا يكتب

وقال: (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) هود: ٤٩. ومن العلماء «من رأى أن سبب الإعجاز، هو الحديث عن التاريخ القديم، والرسول ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يجالس الرهبان ولا من يمكن أن يستقي منهم هذا التاريخ».

بل إن الإعجاز هنا جاء في تصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن... وكان محمد ﷺ يتحدى بالقرآن أحبار اليهود ورهبان النصارى... ويقول لهم هذا من عند الله... في التوراة والإنجيل... وهذا حرفتموه في التوراة أو الإنجيل... ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدي أو يردوا عليه... ذلك أن التحدي للقرآن في تمزيق حجاب الماضي... وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية فصححها لهم... وبيّن ما حرفوه منها وما أخفوه... وتحداهم أن يكذبوا ما جاء في القرآن فلم يستطيعوا... ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم: (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) مريم: ٣٤.

ثانياً: تمزيق حاجز المكان:

ثم جاء الأمر الثاني... فمزق الله حجاب المكان لمحمد

عليه الصلاة والسلام... وجاء في أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس.

وهنا وقبل أن نبدأ... أحب أن نضع في أذهاننا أن القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته... وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير ولا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرفه ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد عليه الصلاة والسلام مأخوذة عليه... فإذا أخبر القرآن بشيء... واتضح أنه غير صحيح... كان ذلك هدماً للدين كله...

يأتي القرآن وقد بينت خطورة ما يقول... (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله) المجادلة: ٨... ما معنى هذا الكلام؟ معناه! إمعان في التحدي... فالقرآن هنا لا يقول لهم لقد هتكت حاجز الماضي... وأخبرتكم بأنباء الأولين... ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور في بقعة قريبة لا ترونها بل يقول: سأهتك حاجز النفس... وأخبركم بما في أنفسكم... بما في داخل صدوركم... بل بما تهمس به شفاهكم... وكان يكفي لكي يكذبوا محمداً أن يقولوا لم تحدثنا أنفسنا بهذا... لو لم يقولوها بالفعل داخل أنفسهم لكان ذلك أكبر دليل لكي يكذبوا محمداً ويعلنوا أنه يقول كلاماً غير صحيح... إذا فالقرآن في هتكه لحجاب المكان... دخل إلى أعماق النفس البشرية... وإلى داخل نفوس من؟ إلى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهمهم هدم الإسلام وقال في كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولا يتبدل... قال: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المجادلة: ٨... صدق الله العظيم... قال ما يدور في أنفس غير المؤمنين فهل هناك أكثر من هذا تحدياً... لحجاب المكان... إنه تحد فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التي وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان.

ثالثاً: تمزيق حاجز المستقبل:

ثم جاء الأمر الثالث ومزق القرآن حجاب المستقبل كان لابد أن يكون الحديث عن المستقبل والصدق والإصابة في ذلك كله.

فهو كقوله تعالى: (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) الفتح: ١٦ فأغزاهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى قتال الفرس والروم.

وكقوله: (ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين) الروم: ١ ـ ٤ وراهن أبو بكر الصديق ﷺ في ذلك وصدق الله وعده.

وكقوله في قصة أهل بدر: (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم) الأنفال: ٧.

وكقوله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) القمر: ٤٥.

مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد ليعطي الأجيال اللاحقة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله

وكقوله: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) الفتح: ٢٧.

وكقوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) النور: ٥٥. وصدق الله تعالى وعده في ذلك كله.

وقال في قصة المخلفين عنه في غزوته: (لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدواً) التوبة: ٨٣ فحق ذلك كله وصدق، ولم يخرج من المنافقين (المخالفين) الذين خوطبوا بذلك معه ـ أحد.

وكقوله: (ليظهره على الدين كله) التوبة: ٣٣.

وكقوله: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) آل عمران: ٦٠.

فامتنعوا من المباهلة ولو أجابوا إليها اضطرمت عليهم الأودية نارا على ما ذكر في الخبر.

وكقوله: (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عن الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنت صادقين. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) البقرة: ٩٤ ـ ٩٥.

ومن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه، عليه الصلاة السلام، أنه سيظهر دينه على الأديان، بقوله عز وجل: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون) التوبة: ٣٣. ففعل ذلك.

وكان أبو بكر الصديق ﷺ، إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه، ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجاح.

وكان عمر بن الخطاب، ﷺ، يفعل كذلك في أيامه، حتى وقف أصحاب جيوشه عليه، فكان سعد بن أبي وقاص، رحمه الله، وغيره من أمراء الجيوش، من جهته يذكر ذلك لأصحابه ويحرضهم به ويوثق لهم؛ وكانوا يلقون الظفر في حروبهم حتى فتح آخر أيام عمر، ﷺ، إلى بلخ وبلاد الهند وفتح في أيامه مرو الشاهجان، ومرو الروذ، ومنعهم عن عبور نهر جيحون، وكذلك فتح في أيامه فارس إلى إصطخر، وكرمان ومكران وسجستان، وجميع ما كان من مملكة كسرى، وكل ما كان يملكه ملوك فارس، بين البحرين من الفرات إلى جيحون، وأزال ملك ملوك الفرس، فلم يعد إلى اليوم، ولا يعود أبدا، إن شاء الله تعالى، ثم إلى حدود أرمينية، وإلى باب الأبواب وفتح أيضاً ناحية الشام والأردن وفلسطين وفسطاط مصر، وأزال ملك قيصر عنها، وذلك من الفرات إلى بحر مصر، وهو ملك قيصر، وغزت الخيول في أيامه إلى عمورية، فأخذ الضواحي كلها، ولم يبق منها إلا ما حجز دونه بحر، أو حال عنه جبل منيع،

أو أرض خشنة، أو بادية غير مسلوكة.

ومن ذلك نرى عجبا... الوليد بن المغيرة العدو الألد للإسلام والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده... يأتي القرآن ويقول عن هذا الإنسان المكابر العنيد... (سنسمه على الخرطوم) القلم: ٦... أي أنه سيقتل بضربه على أنفه... ويحدد موقع الضربة... وبعد ذلك يأتي في بدر... وقد وسم على خرطومه أي ضرب على أنفه... من الذي يستطيع أن يحدد موضع الضربة ومكانها... من الذي يستطيع أن يجزم... ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة.

نأتي بعد ذلك إلى قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب) المسد: ١ - ٣.

هذا قرآن وفي من؟ في عدو الإسلام... ألم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية؟ ويستخدمها كسلاح ضد الإسلام... قالت له الآية يا أبا لهب ستموت كافرا ثم تعذب في النار... وكان يكفي أن يذهب أبو لهب إلى جماعة من المسلمين... ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله... يقولها نفاقا... يقولها رياء... يقولها ليهدم بها الإسلام... لا ليدخل في الإسلام... يقولها ثم يقف وسط القوم يقول: إن محمداً قد أنبأكم أنني سأموت كافراً وقال إن هذا كلام مبلغ له من الله... وأنا أعلن إسلامي لأثبت لكم أن محمداً كاذب... «لو كان أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا... ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبي لهب على الوصول إليه... بل بقي كافراً مشركاً ومات وهو كافر... ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافراً أمراً ممكنا... لأن كثيراً من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب... وغيرهم... فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ولو نفاقا؟ المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو... وتحداه في أمر اختياري... كان من الممكن أن يقوله ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث... لماذا؟ لأن الذي قال هذا القرآن... هل هناك إعجاز أكثر من هذا.

فمزق الله حجاب المكان لمحمد عليه الصلاة والسلام... وجاء في أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس.

رابعاً: مواكبة الاكتشافات العلمية الحديثة لما جاء بالقرآن:

ومن إعجاز القرآن الكريم اشتماله على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله بل عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق؛ فمن ذلك قوله تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح) كانوا يقولون فيه: إنه تشبيه لتأثير الرياح الباردة في السحاب بما يكون سبباً لنزول المطر بتلقيح ذكور الحيوان لإناثه. ولما اهتدى علماء أوربا إلى هذا وزعموا أنه مما لم يسبقوا من العلم صرح بعض المطلعين على القرآن منهم بسبق العرب إليه، قال مستر «أجنيري»: المستشرق الذي كان استاذاً للغة العربية في مدرسة اكسفورد في القرن الماضي: إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الرياح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوربا بثلاثة عشر قرنا!.

نعم إن أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك ولم يفهم المفسرون هذا من الآية بل حملوها على المجاز.

ومنه قوله تعالى: (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) وقوله عز من قائل: (والشمس تجري لمستقر لها) ومثل هذه الآيات كثير في القرآن سنذكر منه ما تيسر إن شاء الله تعالى في هذا الجزء من البحث.

مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد ليعطي الأجيال اللاحقة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلة جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وانصرف آخرون ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه ويستمر الإعجاز جاء القرآن بنهايات النظريات بقمة نواميس الكون إذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت مرت عليهم ولم ينتبهوا إلى مدلولها الحقيقي العلمي وإذا قيلت بعد ذلك للأجيال اللاحقة عرفوا ما فيها من إعجاز وقالوا إن هذا كلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين إذن لابد أن هذا القرآن حق من عند الله وأن قائله هو الله الخالق.

بقيت نقطة، هل يأتي هذا في الأحكام؟ الجواب: لا... إن أحكام الدين إفعل ولا تفعل نزلت كاملة واضحة لا لبس فيها ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض، منهج الله كامل فسرته الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، وشرح وفسر في عهد الرسول ﷺ تفسيراً كاملاً... بحيث أصبح واضحاً لكل إنسان يريد أن يعبد الله وأن يعيش في الأرض طبقاً لقوانين الله: وأصبح الحلال بيّنا والحرام بيّنا، والذين بيّنا.

- التحدي بعدم الهروب من الموت:

قال تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) النساء: ٧٨ أي أن الله سبحانه وتعالى يتحدى مهما وصلتم من العلم... فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت إنكم تقولون في العلم الأرضي إن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا وأمراض كذا إلى آخره... حسنا... شيدوا برجا وضعوا فيه إنسانا... وأبعدوا عنه كل المخاطر التي في رأيكم ونظركم وفي علمكم تسبب الموت... فلا هو يحارب ولا يمشي في أي مكان ليصاب في حادث... فلا يستنشق هواء ملوثاً بل يستنشق هواء نقيا ويأكل من طعام مطهر على أحدث الوسائل

الصحية... ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة والجو الذي يعيش فيه منقى إلى آخر درجات العلم... هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التي نعرفها... ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لهذا الإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرية للموت... الجواب طبعاً مستحيل... لأن الله هو الذي يحيي ويميت... والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله.

وقد رأينا أن نسوق هنا تفسير آية من آيات القرآن الكريم أصبناه في بعض كتب الحكيم العلامة داود الأنطاكي المتوفى سنة ١٠٠٨ للهجرة فتح عليه به وهو في أضعف الأزمنة وأشدها انحطاطاً وفقراً من الوسائل العلمية.

أما الآية فهي قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين).

والتفسير: قال جل من قائل: (ولقد خلقنا الإنسان) يعني إيجاداً واختراعاً لعدم سبق المادة الأصلية (من سلالة) هي الخلاصة المختارة من الكيفيات الأصلية بعد الامتزاج بالتفعل الثاني مما ركب منها بعد امتزاج القوى والصور، والتنويه باسمه إما للصورة والرطوبات الحسية أو لأنه السبب الأقوى في تحجر الطين وانقلابه وكسر سورة الحرارة وإحياء النبات والحيوان اللذين هما الغذاء الكائنة عنه النطف وهذا الماء هو المرتبة الأولى والطور الأول، وقله «من سلالة» يشير إلى أن المواليد كلها أصول للإنسان وأنه المقصود بالذات الجامع لطباعها، ثم جعله نطفة بالانضاج والتخليص الصادر عن القوى المعدة لذلك، ففي قوله (ثم جعلناه نطفة) تحقيق لما صار إليه الماء من خلع الصورة البعيدة والضمير إما للماء حقيقة أو للإنسان بالمجاز الأولى.

وقوله (في قرار مكين) يعني الرحم وهذا هو الطور الثاني ثم قال مشيراً إلى الطور الثالث: (ثم خلقنا النطفة علقة) أي صيرناها دما قابلا للتمدد والتخلق باللزوجة والتماسك ولما كان بين هذه المراتب من المهلة والبعد ما سنقرره، عطفها بـ «ثم» المقتضية للمهلة - كما بين أدوار كواكبها فإن زحل يلي أيام السلالة المائية لبردها، والمشتري يلي النطفة لرطوبتها، والمريخ يلي العلقة لحرارتها وهذه الثلاثة هي أصحاب الأدوار الطوال.

ثم شرع في المراتب القريبة التحويل والانقلاب التي يليها الكواكب المتقاربة في الدورة وهي ثلاثة: أحدها ما أشار إليه بقوله (فخلقنا العلقة مضغة) أي حولنا الدم جسماً صلبا قابلاً للتفصيل والتخليط والتصوير والحفظ وجعل مرتبة المضغة في الوسط، وقبلها ثلاث حالات وبعدها كذلك. لأنها الوساطة بين الرطوبة السيالة والجسم الحافظ للصور، وقابلها بالشمس لأنها بين العلوي والسفلي كذلك وجعل التي قبلها علوية، لأن الطور الإنساني فيها لا حركة له ولا اختيار، فكأنه هو المثوليه أصالة وإن كان في الحالات كلها كذلك لكن هو أظهر، فانظر إلى دقائق مطاوي هذا الكتاب المعجز وتحويله العلقة إلى المضغة يقع في دون الأسبوع.

وثانيها مرتبة العظام المشار إليها بقوله: (فخلقنا المضغة عظاما) أي صلبنا تلك الأجسام بالحرارة الإلهية حتى اشتدت وقبلت التوثيق والربط والإحكام والضبط، وهذه مرتبة الزهرة، وفيها تتخلق الأعضاء المنوية المشكلة للعظام أيضاً ويتحول دم الحيض غاذيا كما هو شأن الزهرة في أحوال النساء.

وقوله (فكسونا العظام لحما) أي حال تحويل الدم غاذيا للعظام لا يكون عنه إلا اللحم والشحم وكل ما يزيد وينقص، وهذا شأن عطارد تارة يتقدم وتارة يتأخر ويعتدل، وكذا في اللحم البدن وهذه المرتبة هي التي يكون فيها الإنسان كالنبات ثم يطول الأمر حتى يشتد، ثم يتم إنسانا يفيض الحياة والحركة بنفخ الروح، فلذلك قال معلماً للتعجب والتنزيه عند مشاهدة دقيق هذه الصناعة (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وهذا هو الطور السابع الواقع في حيز القمر.

القرآن في هتكه لحجاب المكان... دخل إلى أعماق النفس البشرية

وفي هذه الآية دقائق: (الأولى) عبر في الأول بخلقنا، لصدقه على الاختراع، وفي الثاني بجعلنا لصدقه على تحويل المادة، ثم عبر في الثالثة وما بعدها كالأول لأنه أيضاً إيجاد ما لم يسبق، (الثانية) مطابقة هذه المراتب لأيام الكواكب المذكورة، ومقتضياتها للمناسبة الظاهرة وحكمة الربط الواقع بين العوالم، (الثالثة) قوله فكسونا؛ وهي إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة اللازمة للصورة، بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال؛ وأن الاعتماد على الأعضاء والنفس بخاصة، (الرابعة) قوله تعالى (ثم أنشأناه) سماه بعد نفخ الروح إنشاء لأنه حينئذ قد تحقق بالصورة الجامعة (الخامسة) قوله خلقا ولم يقل إنسانا ولا آدميا ولا بشراً لأن النظر فيه حينئذ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية، فقد آن خروجه من السجن وإلباسه المواهب، فقد يتخلق بالملكيات فيكون خلقاً ملكياً قدسياً أو بالبهيمية فيكون كذلك، أو بالحجرية إلى غير ذلك فلذلك أبهم الأمر وأحاله على اختياره وأمر بتنزيهه على هذا الأمر الذي لا يشاركه فيه غيره.

وفي الآية من العجائب ما لا يمكن بسطه هنا، وأنت لو عرضت ألفاظ هذه الآية على ما انتهى إليه علماء الأجنة وعلماء التشريح وعلماء الوراثة النفسية، لرأيت فيها دقائق علومهم، كأن هذه الألفاظ إنما خرجت من هذه العلوم نفسها، وكأن كل علم وضع في الآية كلمته الصادقة، فلا تملك بعد هذا أن تجد ختاماً للآية إلا ما ختمت هي به من هذا التسبيح العظيم «فتبارك الله أحسن الخالقين». ■

بقلم : د. أحمد عبد العزيز المزيني

حركات التبشير والمسألة الدينية واللغوية

من المعروف أن حركات التبشير قد نجحت نجاحا كبيرا في كثير من المناطق في العالم ؛ وبخاصة في تلك المناطق التي خضعت إلى النفوذ الاستعماري التقليدي بأشكاله المعروفة. ولعل نجاح تلك الحركات يعود في المقام الأول إلى قوة النشاط التبشيري المتمثل في شيء من الرعاية الصحية والتعليمية وجمعيات الإحسان، مع وجود فراغ ديني وحضاري عند تلك الشعوب التي طالها الغزو التبشيري ، إضافة إلى قوة النفوذ الاستعماري المتمثل أيضا في آلته الحربية وتقنياته العلمية؛ ما أدى إلى خلق ميل شديد لدى الشعوب المغلوبة إلى تقليد الشعوب الغالبة ومحاكاتها في أساليب المعيشة والحياة، وفي تعلّم لغاتها باعتبار اللغات من أهم وسائل الاتصال البشري.

فشل التبشير في المسألتين : الدينية واللغوية

وما يمكن ملاحظته على مساحة الخارطة الكونية أن الغزو التبشيري لم ينجح في المناطق التي تسكنها الأغلبية العظمى من المسلمين؛ لأسباب كثيرة لسنا بصدد بحثها، ومن الطبيعي - والحالة هذه - أن يراجع دهاقنة المشرفين على تلك الحركات بين وقت وآخر أساليبهم وخططهم ، وأن يعملوا على تجديد تلك الأساليب وتفعيلها ليكون لها دورها القوي والمؤثر في تلك المجتمعات، ومنها المجتمعات العربية والإسلامية ؛ وكم من أساليب وأفكار تبنتها الحركات التبشيرية متعاضدة مع الحركات الاستعمارية، التي قد تمّ طرحها علي مختلف المستويات والأصعدة. ومن بين تلك الطروحات وأخطرها المسألة اللغوية والانقضاض على اللغات الأم عن طريق إحلال اللغات الأجنبية محلها، بهدف تثبيت الوجود الاجنبي الدخيل وإطالة آماده، بحيث يصعب الانفلات من قبضته تحت أي ظرف من الظروف المستقبلية؛ وهذا ما حدث فعلا في كثير من المناطق في العالم التي تحررت ونالت استقلالها ، ولكنها بقيت تتحدث بلغة الغالب الفاتح وتستخدمها في خطابها اليومي والرسمي؛ تاركة وراء ظهورها اللغة الأم.

ولعل المتتبع للحركات التبشيرية في المحيطين العربي والإسلامي، يرى أن تلك الحركات - متعاضدة مع الهيمنة الاستعمارية - قد نجحت إلى حد كبير في فرض أنماط المجتمع المدني الغربي وأساليبه في كثير من شئون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكنها لم تفلح كثيرا في مسألتين أساسيتين كانتا من بين الأوليات والأهداف لديهم على مدى تاريخ حركات التبشير،وهما المسألة الدينية عند المسلمين، والمسألة اللغوية وهما مسألتان متلازمتان لا تنفصل إحداهما عن الأخرى.

(١) المسألة الدينية

تجدر الإشارة إلى أن تلك الحركات اقتصرت على المبشرين النصارى دون اليهود.

وذلك لأن العقيدة اليهودية لا تدعو إلى التبشير باليهودية ، وقد يكون ذلك في حدود ضيقة تصل إلى درجة الندرة والقلة ، لأسباب متعددة يعود بعضها إلى موقع عقيدتهم وموقف العقيدة المسيحية منها مباشرة ، حيث جاءت تصحيحا وتنقيحا لما اعوج من سلوكيات بني إسرائيل في عقيدتهم... وقد يعود بعضها إلى طبيعة تكوين المجتمع اليهودي المنغلق وموقعه بين المجتمعات الأخرى ، حيث لم يكن شيئا مذكورا إبّان الحركات الاستعمارية التي كانت تقودها دول معروفة، وليس مجتمعات ضيقة في دول ، ولكنهم مع ذلك نشطوا في طرح الكثير من الأفكار والطروحات في محاولة لإيجاد نفوذ لهم في تلك المجتمعات.

ويهمنا أن نؤكد أن العقيدة الإسلامية ظلت راسخة في النفوس المؤمنة فلم تفلح حركات التبشير في تحويل المسلم من عقيدته السماوية (الإسلام) إلى عقيدة سماوية أخرى (النصرانية)، وكل ما يمكن قوله إن المبشرين متعاضدين هذه المرة مع بعض الباحثين المستشرقين عمدوا إلى دراسة الإسلام في كثير من جوانبه ، وعملوا أساتذة في معاهد الاستشراق المختلفة ، وعمل بعضهم في بعض الجامعات العربية - ولم تكن نوايا الكثيرين منهم حسنة ومنصفة - وتتلمذ على أيديهم - هنا وهناك - الكثير من أبناء العرب المسلمين ، وظهر منهم نخبة معينة أعدت إعدادا جيدا ، لتلعب دورا آخر مميزا من أدوار المستشرقين، وقد تسترّوا بالجلباب العربي حينا وبعباءة الإسلام حينا آخر، وهذا موضوع يعرفه كثير من المثقفين ولا يحتاج منا إلى بيان.

(٢) المسألة اللغوية

لا يختلف اثنان على أن اللغة العربية هي المدخل إلى تعلم القرآن

الكريم وقراءته بلسان عربي مبين، وقد كانت هذه اللغة وما زالت هدفا من أهدافهم منذ الحروب الصليبية فصوبوا لها سهامهم المسمومة، وكلما تكسر سهم صنعوا سهما آخر أشد فتكا من سابقه ، لعلهم بذلك يصيبون الأمة في الصميم في وجودها وكيانها ، كما أصابوا شعوبا كثيرة تنازلت - كرها أو طوعا - عن لغاتها ، وهي ليست عن أعيننا ومسامعنا ببعيدة ، كما أن محاولة فرنسة الجزائر وغيرها من أقطار مغربية ومشرقية لا تغيب عن الأذهان.

من ذلك ما تعرضت له اللغة العربية في أوائل هذا القرن من العديد من الحملات المغرضة على أيدي المبشرين والمستشرقين، إضافة إلى دعاة التغريب والتحلل اللغوي من أبناء العرب، استهدفت إضعافها والنيل منها وإزاحتها عن الخطاب اليومي والرسمي أيضا . فقد انطلقت حملة شرسة لهدم اللغة العربية وتقطيع أوصالها التي تربط الشعوب العربية ببعضها بعضا، وتربطهم جميعا في حاضرهم ومستقبلهم بماضيهم وتراثهم الديني والأدبي والعلمي ، الذي يعد ركيزة أساسية ودعامة قوية في وجودهم وتوحدهم وعزتهم .فقد كانت الدعوة إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي واتخاذه أداة للكتابة من بين ما تبنته الدوائر المشبوهة من مبشرين ومستشرقين وعرب «متغربين».

ولنا أن نتصور كيف لو أن هذه الحملة نجحت، وأصبحت الأمة العربية من دانيها إلى قاصيها تكتب ما تريد أن تكتب بالحرف اللاتيني - السهل على حد زعمهم الباطل - حينئذ لن نقدر على قراءة ورقة واحدة تمت كتابتها قبل تطبيق هذه الدعوة ، لأنها كتبت بالحرف العربي ، وبمعنى آخر سيصبح هناك يوم فاصل - وربما تحتفل به بعض الدوائر المشبوهة كعيد من أعيادها التي تعتز به - بين أداتين للكتابة: الأولى الحرف العربي، والثانية الحرف اللاتيني وفي ذلك اليوم سيصبح للأمة تاريخان أحدهما قديم يحتوي على جميع ما صدر عنها في الماضي من كتابة القرآن والحديث والمؤلفات والمخطوطات وغيرها مما كتب بالحرف العربي على مدى أربعة عشر قرنا وتاريخ حديث تصبح فيه جميع الكتابات بالحرف اللاتيني ، حينئذ يدخل تراثنا القديم متاحف التاريخ، ويصبح المواطن العربي بحاجة ماسة إلى تعلم الحرف العربي من جديد ليقرأ شيئا من متاحف تاريخه الإسلامي والعربي... ولو حاولنا إعادة كتابة تراثنا القديم بالحرف اللاتيني فسوف نحتاج من الوقت والمال ما يكفي لنهضة أمة بأسرها، وإلى زمان طويل يكون العالم قد قفز قفزات نحو التقدم والارتقاء والسبق الحضاري والعلمي ، ولو افترضنا أن جزءا من الأمة رفض هذه الدعوة وظل يكتب بالحرف العربي ، فيما مضى بعض من الأمة العربية يكتب بالحرف اللاتيني ، لأصبحت هذه الأمة منقسمة، وستصبح المسألة اللغوية من الأمور المعقدة التي تحتاج الى اجتمعات ومؤتمرات لإصلاح ذات البين وهدم هوة الخلاف، وهناك سؤال يطرح نفسه - في هذا السياق - وهو لماذا كانت هذه الحملة الخبيثة موجهة إلى الحرف العربي - أينما كان - من بين الحروف الأخرى المستخدمة في العالم، مثل الحروف الصينية واليابانية والهندية والعبرية؟ ولعل الجواب يأتي في غاية البساطة، ولا يحتاج إلى تفكير، وهو أن القرآن الكريم كتب بهذا الحرف، وانتشر في أرجاء المعمورة به، وأصبح تعلم اللغة العربية سبيلا إلى قراءته ، لدى العرب وغير العرب من أبناء المسلمين .

لقد كانت تركيا البلد المسلم إحدى محطات هذا المشروع الخبيث ، فبعد أن كانت تستخدم الحرف العربي في كتابة اللغة التركية هجرته وتخلت عنه وراحت تستخدم الحرف اللاتيني ، بعد محاولات معروفة فرضها «أتاتورك» وأعوانه ، وأصبح التركي أمام إشكالية ، فهو ما زال مضطرا مع ذلك إلى تعلم الحرف العربي إذا أراد أن يقرأ القرآن أو شيئا من تراثه المكتوب بالحرف العربي ، فأي قطيعة أصبحت بينه وبين ماضيه وتراثه،"إن الأتراك أنفسهم أضاعوا مركزهم في الشرق بتبديل حروفهم"، (سعيد الأفغاني، من حاضر الغة العربية، ص ١٨٤).

ثم اتجهت أنظار دعاة الحرف اللاتيني إلى بلاد فارس التي تستخدم في كتابتها الحرف العربي، وقد رفضت ذلك بصراحة وأبقت الحرف العربي أداة لكتاباتها (المرجع السابق). وقد علمت أن بدو فلسطين في صحراء النقب الخاضعة إلى إسرائيل تعلموا الحرف العبري وراحوا يكتبون بهذا الحرف كل ما يريدون كتابته في شئون حياتهم ، لأنهم لم يتعلموا الحرف العربي، وهذا على عكس العرب في شمال فلسطين، فما زالوا يستخدمون الحرف العربي.

«واتجهت الأنظار إلى البلاد العربية، وبخاصة مصر وبلاد الشام وبلاد المغرب، وللأسف الشديد، وجدت هذه الدعوة الخبيثة من النخبة المثقفة «المتغربة »من يروج لها ويتبناها تحت مزاعم باطلة (المرجع السابق).

لقد كانت تلك الحملة في حينها من أشرس الحملات المنظمة التي أوشكت أن تنجح لولا أن تصدى لها نخبة من العلماء الفضلاء من أصحاب الأقلام النظيفة ، وهي اليوم قد أصبحت من التاريخ ولكنه التاريخ المر الذي لا ينبغي أن ينسى أو يهمل ، ويكفي أن نعرف أن أكبر مروج لتلك الحملة الخبيثة هو المستشرق اليهودي (مرجوليوث) المعروف بدهائه ودسائسه في التراث، فهو مؤلف كتاب أصول الشعر العربي الجاهلي (انظر: المستشرقون ص ٥١٩)، الذي كان أساسا لنظرية كتاب الدكتور طه حسين في التشكيك في أصول الشعر الجاهلي.

على أن هناك حملات أخرى لا تقل خطورة وشراسة عن الحملة السابقة شارك فيها النخبة المثقفة من «المتغربين» العرب، وهي الدعوة إلى العاميات وإحياء اللهجات المحلية والترويج لها والدعوة إلى الكتابة بها، في محاولة لإضعاف اللغة الفصحى المشتركة، بحيث تصبح هذه اللهجات والعاميات مع مرور الزمان بدائل للغة الأم، مع ما ترشحه هذه البدائل من إيجاد" مجتمعات" لغوية متباعدة عن أصولها ومختلفة عن جذورها، وهناك محاولة للتشكيك في التراث الإسلامي وقيمه وتفريغه من محتوياته الإنسانية والحضارية ، ومحاولة للطعن في رموز التراث الإسلامي والعربي والغمز في رجالاته من خلال مواقف وهنات وسقطات بسيطة وجدوا في تضخيمها وتهويلها ما يريحهم ويشفي أحقادهم ويحقق ومآربهم. ■

بقلم : غازي التوبة

قراءة في كتاب «الدين والدولة وتطبيق الشريعة» للدكتور محمد عابد الجابري

نظرات عصرية في قضايا أصولية

يدعو الدكتور محمد عابد الجابري في مقدم كتابه «الدين والدولة وتطبيق الشريعة» إلى تكوين مرجعية منفتحة، ثم يبين لنا أن هذه المرجعية المنفتحة التي يدعو إليها تقوم على عمل الصحابة، ثم يوضح لنا أيضاً أن المصالح الكلية هي التي كانت تحرك عمل الصحابة، لا خلاف أن الصحابة خير من فهموا الإسلام وخير من طبقوه وعملوا به، لكن هل صحيح أن المصالح الكلية فقط هي التي كانت تحرّك عمل الصحابة؟ لقد كانت المصالح الكلية جزءاً من منظومة كاملة تحرك عمل الصحابة وهي: التوحيد، القرآن، السنة، الجماعة، الآخرة، الجنة... إلخ، وكانت المصالح الكلية تظهر عندما يختفي الحكم الواضح والأمر الشرعي.

ثم يتعرض الدكتور الجابري إلى «مسألة الدين والدولة في المرجعية التراثية»، ويرى أن السؤال «هل الإسلام دين أم دولة؟» سؤال لا وجود له في المرجعية التراثية، وإنما جاء السؤال في منتصف القرن الماضي عندما قامت النهضة ووقع الاحتكاك بالحضارة الغربية التي عرفت مثل هذا السؤال، ويرى أنه يصبح قابلاً للجواب إذا أعدنا صياغته ووضعنا كلمة «أحكام» مكان كلمة «دين»، وكلمة «سلطة» مكان كلمة «دولة»، ثم ينتقل في فقرة ثانية إلى اعتبار حادث اجتماع المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة بالمدينة لاختيار الخليفة هو الإطار المرجعي الرئيس الذي استند إليه فقهاء أهل السنة في تشييد نظريتهم في الخلافة، وفي النهاية يرى الجابري أن نظرية الخلافة عند أهل السنة هي في جملتها تقنين لأمر واقع، وأن مسألة علاقة الدولة بالدين لم تكن مطروحة ولا كان يمكن أن تطرح على الساحة الإسلامية، لأن جميع المتعاملين مع موضوع الدولة مسلمون، أو على الأقل يتصرفون بوصفهم كذلك.

إنزال الشرائع كان القصد منه حفظ الضرورات الخمس وهي: الدين والنفس والعقل والمال والنسل

ثم ينتقل الجابري في الفقرة التالية ويشير إلى أن هناك فراغاً دستورياً في لغة العصر برز في نهاية حكم الخليفة عثمان رضي الله عنه تجلى في ثلاث مسائل رئيسة هي:

عدم إقرار طريقة مقننة لتعيين الخليفة، وعدم تحديد مدة ولايته، وعدم تحديد اختصاصاته، ثم يعرض الجابري في فقرة: «الأيديولوجية السلطانية والخلقية الإسلامية» السند الشرعي الذي كان يعتمد عليه الحكمان الأموي والعباسي في تبرير وجودهما، ثم يبين أن التجربة التاريخية للأمة الإسلامية ليست هناك السياسة المطبقة وحدها، بل إنها أيضاً ما يعبر عنه بـ«الخلقية الإسلامية» في الحكم، تلك الخلقية التي بقيت تلهم الفكر الحر وتنعش الآمال في الإصلاح والتغيير ومنها: الشورى، والمسؤولية التي تتوزع في جسم المجتمع، وترك أمور الدنيا لأهل الاختصاص.

والآن يمكن أن ندون الملاحظات التالية على ما ذكره الجابري بخصوص «الدين والدولة في المرجعية التراثية»:

١ ـ أصاب الجابري عندما اعتبر أن إشكالية فصل الدين عن الدولة لا وجود لها في التجربة التاريخية للأمة الإسلامية.

٢ ـ يلحظ الدارس للمؤلفات الحديثة عن الحكم الإسلامي أن النظام الديموقراطي الغربي بصورته الغربية الحديثة هو النموذج الذي يستند إليه الباحثون في محاكمة النظام الإسلامي وفي إصدار الأحكام عليه، ولا شك أن هذا ظلم كبير للنظام الإسلامي، لأن الحكم الإسلامي حكم له تاريخه الخاص وله مؤسساته

الخاصة وله آليته الخاصة في تحقيق أهدافه، وإنما يجب أن يحاكم النظام الإسلامي بحكومات عصره من جهة، وبمعايير إنسانية عامة من جهة ثانية.

٣ ـ اعتبر الجابري أن ثغرات دستورية حولت الخلافة إلى ملك، وحدد أبرز هذه الثغرات الدستورية بعدم إقرار طريقة واحدة مقننة لتعيين الخليفة، وعدم تحديد مدة ولاية الخليفة، وعدم تحديد اختصاصاته، ويمكن الرد عليه وبخاصة فيما يتعلق بالنقطة الأخيرة وهي عدم تحديد اختصاصات الخليفة بأن الحاكم الإسلامي ربما كان أكثر الحكام وضوحاً في تحديد واجباته واختصاصاته على الأقل في تلك الفترة التاريخية وذلك لوجود القرآن الكريم والسنة النبوية التي تم اختيار الخليفة على أساسهما، واللذين يمثلان الدستور المشترك المتفق عليه بين الرعية والخليفة، وما يؤكد ذلك أن الثوار الذين ثاروا على عثمان رضي الله عنه أرادوا عزله لأنه خالف قواعد مقررة معروفة بينهم، لكن البحث عن سبب التحول التاريخي في تجربة الحكم الإسلامي يجب أن يتجه إلى تكوين الطائفة الثائرة: ما تركيبتها الاجتماعية؟ وما ذهنيتها السائدة؟ وما فهمها للدين؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن يعطينا جواباً أدق عن أسباب التحول التاريخي في الحكم الإسلامي.

إن الطائفة الثائرة تحولت إلى فرقتين تاريخيتين هما: الخوارج والشيعة، وإذا بحثنا عن أجوبة الأسئلة السابقة في بنية الفرقة الأولى، وجدنا أن الواقع القبلي هو الذي حكم انتماء عناصرها، وأن الفهم الظاهري للدين هو الذي حكم ذهنيتها نتيجة حياتها البدوية التي لا تتيح التعمق والتدبر في فهم آيات الله، وكذلك بالنسبة للفرقة الثانية نجد أنّ المنتمين لها من أبناء المناطق التي دخلت في الإسلام نتيجة الفتوحات الإسلامية، وقد جلب الداخلون في الإسلام من بيئتهم السابقة بعض مفاهيمهم التي تقوم على العلم عن طريق الغنوصية، إن هذه العوامل الثقافية في فهم الدين هي التي أسهمت في تشطير المنطقة وفي تكوين المنعطف التاريخي في واقعها.

إن الخوف على وحدة الأمة والحرص على عدم تصدّعها بعد المخاض العسير لوصول علي رضي الله عنه إلى الخلافة وليس قول الأمويين بالجبر في مجال القضاء والقدر هو الذي أتاح لنهج الأمويين أن يكون مقبولاً لدى طائفة من المسلمين بغض النظر عن صدق الأمويين في تلك المقولة أو عدم صدقهم لأنّ الأمويين ليسوا هم مصدر المسلمين في فهم القضاء والقدر، وما يؤكد ذلك احتفال المسلمين وابتهاجهم عند تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة وتسميتهم ذلك العام بعام الجماعة.

ثم ينتقل الجابري في الفقرة الثانية من كتابه إلى معالجة «الدين والدولة في المرجعية النهضوية»، فيرى أن طرح فصل الدين عن الدولة عند بعض دعاة النهضة المسيحيين كبطرس البستاني إنما جاء من استلهامهم للنهضة الأوروبية من جهة، ولكونه مسيحياً عاش فتنة ١٨٦٠م في لبنان، ويريد أن يتخلص من الحكم العثماني من جهة ثانية، وإذا كان لهذا الوضع الطائفي خاصيته، فإنه لا يمكن تعميم هذه الخاصية على كل البلدان العربية، ثم يرى الجابري أنه يمكن استبدال العلمانية بالديموقراطية والعقلانية، لكن الجابري في الفقرة الأخيرة من هذا القسم يعود إلى مناقضة نفسه فهو عندما يقر بأنّ العلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة لا معنى لها في مجتمع إسلامي لأسباب متعددة، يدعو إلى فصل الدين عن السياسة لأسباب متعددة منها: أنّ الدين يمثل ما هو مطلق وثابت، بينما تمثل السياسة ما هو نسبيّ ومتغيّر، والسياسة تحركها المصالح الشخصية الفئوية، أما الدين فيجب أن ينزّه عن ذلك، وأنّ الدين يوحّد في حين أن السياسة تفرّق، ولا أدري ماذا تعني الدعوة السابقة؟ ألا تعني فصل الدين عن الدولة؟ ألا تعني قبول ما رفضه الجابري قبل قليل؟ لنتجاوز هذا ولنسأل: من أين جاءت هذه المقولة؟ جاءت هذه المقولة من الديانة المسيحية التي تميّز بين ما هو مقدّس وما هو دنيوي، الديني هو المقدس والدنيوي هو النجس، في حين أن هذه القسمة ليست مطروحة في الحياة الإسلامية، بل كل عمل يمكن أن يؤديه المسلم يعتبر جزءاً من عبادته لله، وجزءاً من دينه، حتى شهواته الخاصة من طعام وشراب وجماع ورياضة ونزهة إذا نوى فيها التقوى على طاعة الله أو ذكر الله في بدايتها كانت عبادة وكان له فيها أجر ويدل على ذلك الحديث الذي قال فيه الرسول ـ ﷺ ـ مخاطباً الصحابة: «في بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر».

النظام الديموقراطي الغربي بصورته الغربية الحديثة هو النموذج الذي يستند إليه الباحثون في محاكمة النظام الإسلامي

أما اعتبار الجابري أن الدين يمثل ما هو مطلق وثابت فكلام عام وغير دقيق، فإن الدين يحوي أحكاماً ثابتة وأخرى متغيرة، الثابت منها ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى والأخرة والعبادة ... إلخ، وأعطانا الدين في الوقت نفسه القواعد التي نحكم بها على المتغير من أمور الحياة وقد تجسدت هذه القواعد في علم أصول الفقه ومقاصد الشريعة، وإلا لما أمكن اعتبار الدين الإسلامي صالحاً لكل زمان ومكان.

أما الحجة الثانية وهي اعتبار الجابري أن الدين يوحد وأن السياسة تفرّق فهي أمور نسبية وليس على إطلاقها، فيمكن للدين أن يفرق ويمكن للسياسة أن توحد، يمكن للدين أن يفرّق إذا كان هناك اختلاف في

فهم بعض قضاياه وعقائده وأحكامه، كما يمكن أن يوجد إذا كان هناك تطابق في ذلك الفهم وفي طرق التوصل إلى ذلك الفهم، وإما ما حدث في زمن عثمان ﷺ وما بعده من اختلاف ليس سببه توظيف الدين في السياسة كما ادعى الجابري، ولكنه نتج من أفهام متباينة لبعض القضايا نتيجة تداخل عناصر موروثة لم تستطع بعض الفرق التخلص منها كما عرضنا ذلك في موضوع سابق من المقال عند الحديث عن الخوارج والشيعة.

أما قول الجابري: «السياسة تحركها المصالح الشخصية أو الفئوية أما الدين فيجب أن ينزه عن ذلك» فهو مرتبط بالتمييز بين المقدس والنجس بين أمور الدين والدنيا في الديانة المسيحية، وهذا لا أصل له في الدين الإسلامي، فطالما أن تحقيق المصالح الشخصية والشهوات مباح، بل تعتبر عبادة في نظر الشرع الإسلامي مثل أي ممارسات دينية ولمن قام بها ضمن حدود الشرع له أجر، كذلك كانت السياسة الساعية إلى تحقيق هذه المصالح والشهوات مشروعة ومقبولة ولا ضير في ذلك، ولكن السياسة ليست كلها مصالح شخصية، بل هناك مصالح الدين والجماعة والأمة ... إلخ، ويمكن التوفيق بين كل هذه المصالح في حال تضاربها من خلال قواعد الشرع ومن خلال الخلفية الإسلامية التي من عناصرها: الإيثار والتضحية والحرص على الفوز بالآخرة ... إلخ

ثم ينتقل الجابري في القسم الثاني من كتابه إلى «مسألة تطبيق الشريعة»، فيميز بين الصحوة والتجديد وبين أن المطلوب هو تجديد الدين، ويتحدث الجابري في فقرة ثانية ويبين أنه لم يكن هناك تعارض بين السلفية والوطنية وبخاصة في المغرب العربي، ويعتبر أن السلفية كانت دائماً جزءاً من التجربة التاريخية للإسلام الشيء الذي تستعيد به هذه التجربة ما يحفظ لها الوجود والاستمرار عندما يفرز تطورها الداخلي ما يهددها بالاندثار، ومع ذلك فهو يرى أنه لم يعد استلهام النموذج السلفي كافياً، بل لابد من استلهام التجربة التاريخية للأمم التي تناضل مثلنا من أجل وجودها وللحفاظ عليه، وهو يرى منطق الحضارة المعاصرة يتلخص في مبدأين هما: العقلانية والنظرة النقدية، فهو يرى الأخذ بهذين المبدأين وقصر السلفية على تقديم السيرة الأخلاقية، ولكي يمكن أن نفعل ما اقترحه الجابري فيما إذا كانت السلفية مبادئ أو تاريخاً تناقض العقلانية والنظرة النقدية، ولكننا نجد أن السلفية لاتتناقض مع هذين المبدأين لا كأصول ولا تاريخ، فالسلفية كانت عقلانية منذ نشأتها مع الصحابة، واستمرت مع علماء الأمة كالشافعي وأحمد ابن حنبل وابن تيمية وابن القيّم والعزّ بن عبدالسلام والشاطبي... إلخ، والشواهد على ذلك أكثر من أن ندونها ونحصيها، والأمر أجل من أن ندلّل عليه، وإلا لما استطاعت القيادات السلفية استيعاب علوم عصرها والابتكار فيها والإضافة إليها، والسلفية كانت دائماً ذات نظرات نقدية لذلك كانت رسالة أحمد بن حنبل في الرد على الزنادقة والجهمية، وكانت كتابة الشافعي في نقد أستاذه مالك بن أنس وفي نقده للساحة الفقهية التي أنتجت رسالة «الأصول»، وكان تدوين الباقلاني لكتاب «التمهيد» في الرد على المعتزلة، وكانت كتابات ابن تيمية في تفنيد التصوّف والمنطق والفلسفة ... إلخ، صحيح أنّ هناك فترات كانت تضعف فيها العقلانية أو الجانب النقدي في واقع الحياة الإسلامية، لكن التصحيح لهذا الواقع كان يحدث من خلال استلهام النموذج التاريخي السلفي، ومازالت الفرصة موجودة الأن لمعالجة الواقع المرضي باستلهام النموذج السلفي بأجزائه: الأخلاقي والعقلاني والنقدي.

العوامل الثقافية في فهم الدين هي التي أسهمت في تشطير المنطقة وفي تكوين المنعطف التاريخي في واقعها

ويبين الجابري في فقرة «التطرف يميناً ويساراً» أن التطرف الذي يحدث في مجال اليمين إنما يتجه بالخصومة والاعتراض على التيار الإسلامي الوسطي المعتدل، وهو يرى أن مبررات وجوده لعدم تمكن الاتجاه السلفي من القيام بالتجديد في المجال النقدي، والتجديد الذي يقترحه هو تأصيل جديد للأصول وذلك باعتماد كليات الشريعة ومقاصدها، بل الاقتصار على تفهم معنى النصوص واستنباط الأحكام منها، وهو من أجل التدليل على وجهة نظره يرى أن هناك طريقتين في الاجتهاد: الأولى الطريقة التي تعتمد القياس والتعليل واستثمار الألفاظ، والثانية: هي التي تدعو إلى اعتبار المقاصد أساساً ومنطلقاً، ويقع الجابري في خطأين عندما يدعو إلى منهجه الجديد:

الأول: تصويره أن هناك تناقضاً بين الطريقتين السابقتين، والحقيقة أنه ليس هناك تناقض، بل جاءت الطريقة الثانية تطوراً واستكمالاً للطريقة الأولى كما وضّح ذلك أحمد الريسوني في كتابه عن المقاصد عند الشاطبي.

الثاني: الفصل بين تطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق المصالح العامة للمسلمين، ومع أن الشاطبي وغيره من الفقهاء الذين قالوا إن إنزال الشرائع كان القصد منه حفظ الضرورات الخمس وهي: الدين والنفس والعقل والمال والنسل، قالوا إن الطريق لتحقيق المصالح المذكورة أعلاه يتأتى عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية، وعندما نطبق الإسلام بكل تفصيلاته يمكن أن نوسع النظر في الضرورات والحاجات والتحسينات التي يتطلبها العصر، والتي قد لا تكون مطبقة في داخل المجتمع الإسلامي. ■

بقلم : د. أحمد محمد سالم

أصداء سقوط الخلافة بين العلمانيين والأصوليين

١ ـ سقوط الخلافة:

بدأت الدولة العثمانية تعيش مرحلة الانهيار، والانحطاط في أواخر القرن التاسع عشر، فقد تولى السلطان عبدالحميد خان الثاني الحكم في العام ١٨٧٦م، ليرث تركة من التدهور، والانحطاط، والانقسامات الكثيرة داخل نطاق دولته، وقد حاول السلطان ـ قدر الإمكان ـ أن يرمم جدران دولته من الداخل، حيث كانت الخلافة تعاني من تراكم الديون الكثيرة، وظهور النزعات العرقية في أراضي الدولة العثمانية بين المسلمين والأرمن، وبين المسلمين والدروز... إلخ، وقد كان الاستعمار الغربي يسعى إلى تعميق هذه النزعات لإضعاف الدولة العثمانية.

ولقد ترتب على ضعف الدولة العثمانية ازدياد أطماع الدولة الاستعمارية في ممتلكاتها، والسيطرة على أراضيها، وقد حاول السلطان عبدالحميد أن يواجه أطماع الدول الاستعمارية من خلال توظيف تصور جمال الدين الأفغاني للجامعة الإسلامية، حتى يجمع شتات المسلمين في أرجاء العالم حوله، إلا أن الفكرة قد واجهها الاستعمار الغربي بتعميق التوجهات القومية العلمانية، مثل القومية العلمانية، والفرعونية، والآشورية، والعربية... إلخ، وقد أسهمت دعوات القومية العلمانية الجزئية إلى إضعاف أثر الخلافة الإسلامية.

ومن ناحية أخرى، فقد قام الاستعمار بمساندة حركة الاتحاد والترقي حتى تنتشر مبادئها الرافضة للخلافة الإسلامية، وقد كانت الحركة تسعى إلى تأسيس تركيا العلمانية على النمط الغربي وبالفعل فقد كانت دعوات التحرر النابعة من حركة الاتحاد والترقي تُحْدِث خللاً واضحاً في الأوضاع الداخلية للخلافة العثمانية. ومن جهة أخرى فقد عمل اليهود على إسقاط الخلافة العثمانية، وذلك بعد أن رفض السلطان عبدالحميد فكرة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد أرسى رفض السلطان عبدالحميد لإنشاء وطن قومي لليهود الحقد بداخلهم، وجعلهم يسعون إلى إسقاط الخلافة، من خلال الانخراط في حركة الاتحاد والترقي، والعمل على إسقاط نظام الخلافة.

ومن ثمَّ فقد تراكمت الأسباب المختلفة داخلياً، وخارجياً للعمل على إسقاط الخلافة الإسلامية، وبظهور أتاتورك على مسرح الأحداث، بدأت مرحلة النهاية للخلافة، فقد تم إسقاط السلطان عبدالحميد في ١٩٠٩م، وبسقوط السلطان عبدالحميد أصبح أمر الخلافة مجرد أمر صوري، فقد تحكم الجيش بقيادة أتاتورك في جميع شؤون الحكم، وبالفعل تم إعلان فصل الخلافة عن السلطنة في العام ١٩٢٢م، ثم انتهى الأمر إلى إعلان سقوط الخلافة نهائياً في مارس ١٩٢٤م.

وبسقوط الخلافة بدأت تركيا تنتقل بقوة على يد أتاتورك إلى الانسلاخ من العالم الإسلامي بإعلان علمانية الدولة، وتغيير كل الرموز الإسلامية، مثل إلغاء الشريعة الإسلامية وإحلال القانون السويسري محلها، وإعلان سفور المرأة بدلاً عن الحجاب، وإلغاء الأوقاف الإسلامية، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وبالتالي فقد تم مسخ الروح الإسلامية في تركيا، وسعى أتاتورك إلى اللحاق بذيل الحضارة الغربية.

ولقد أثار سقوط الخلافة الإسلامية في مارس ١٩٢٤م، ومن قبله فصل الخلافة عن السلطة العام ١٩٢٢م جدلاً واسعاً في الأوساط الفكرية، ما بين مؤيد لسقوط الخلافة، ومعارض لها، فالتوجه العلماني يرى أن سبيل التقدم يتحقق في سقوط الخلافة، في حين أن التيار الإصلاحي يرى أن نهضة الأمة الإسلامية لا يمكن أن يتحقق إلا بخلافة راشدة قوية، وهذا يجعلنا نتساءل، ما أبعاد هذا الجدل، وما حدوده؟

٢ ـ التوجه العلماني:

يتحدد موقف التيار العلماني من الخلافة في كتابين، الأول أصدره أتاتورك ليبرر به سقوط الخلافة، وهو بعنوان «الخلافة وسلطة الأمة» صدر العام ١٩٢٣م، والثاني كتاب للشيخ علي عبدالرزاق «الإسلام وأصول الحكم» وقد صدر العام ١٩٢٤م.

«بدأ مسلسل إسقاط الخلافة العام ١٩٢٢م حين أعلن أتاتورك

فصل الخلافة عن السلطة تمهيداً لإلغائها، وقد قدّم أتاتورك بياناً مفصّلاً لمجلس الأمة لفصل الخلافة عن السلطنة، برهن فيه - مستنداً إلى التاريخ الإسلامي التركي - على إمكان فصل الخلافة عن السلطنة، وعلى إمكان تمثيل مجلس الأمة التركي لمقام الحاكمية، والسلطنة المليّة».(١)

«ولقد جاء في مضمون البيان أن مسألة الخلافة مسألة دينية صرفة، وليست دنية، وأنها من مصلحة الأمة نفسها، لذا لم توجد تفاصيل في شأنها في النصوص الشرعية، ولم يرد بيان صريح في القرآن الكريم، ولا في الأحاديث النبوية في كيفية نصب الخليفة، وتعيينه، وشروط الخلافة»(٢)، «فالخلافة من الأمور الدنيوية لذا ترك الرسول - ﷺ - أمرها إلى أمته، ولم ينصب خليفة له، ولم يوص به حين ارتحاله أيضاً»(٣)، ومن الواضح أن البيان يتجاهل مدى التداخل الواضح بين الديني والدنيوي في الإسلام، فكونها مسألة دنيوية لا يقلل من كونها أداة لتطبيق الكثير من المسائل الدينية، وبخاصة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

ويندد البيان بالخلافة التي سادت في أغلب فترات التاريخ الإسلامي «فما يسمى بالخلافة منذ العصور لم يكن سوى سلطنة مذمومة، وحكومة مردودة شرعاً، وإن الذين كانوا يسمون أنفسهم بالخلفاء، لم يكونوا غير الملوك والسلاطين»(٤) ومن هنا فإن الحديث عن «ما يتعلق بإرجاع الخلافة إلى وضعها الأصلي، فإن الخلافة قد أخرجت عن وضعها منذ أيام معاوية قبل ألف وثلاثمئة سنة، ولم ترجع لأصلها بعدا، وردها لوضعها الأصلي وإن أمكن عقلاً، لكن لا يمكن طبعاً وعادة لتعذر جمع شروطه»(٥)، ونرد على البيان بالقول: إن عدم تحقق الخلافة في فترات طويلة من التاريخ الإسلامي بسبب توارث الحكم، وسيادة القهر والتغلب، إلا أن هذا لا ينفي وجود تصور نظري لإقامة الخلافة في الكتاب والسنة، هذا التصور أقامه الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدون من بعده، وتحقق تطبيق الخلافة على مستوى التاريخ، ووجود الخلافة على المستوى النظري، يؤكد إمكانية قيام الخلافة الإسلامية، وليس كما يقول البيان باستحالة ذلك.

ويرجع البيان التركي تخلف الأمة التركية إلى الخلافة العثمانية، ويطالب البيان الأمة بالتمسك بسلطتها الشعبية فيقول: «إن ما أصاب الأمة التركية كان بسبب هذه السلطنة، ومن مقتضيات البصيرة أن تتمسك بسلطتها الشعبية التي دخلت في يدها، وألا تفرّط في هذه النعمة العظيمة بأي وسيلة كانت»(٦) ونحن نرد على البيان بالقول: إن فساد النموذج العثماني للخلافة، لا يعني فساد الخلافة الإسلامية، فالعيب في التطبيق، وليس في النظرية.

والواقع أن البيان التركي الذي صدر في حق الخلافة الإسلامية إنما هو محاولة للاستخدام الفكري في تبرير الممارسات السياسية، ولقد كان هذا الأمر سائداً في الحضارة الإسلامية فيما عُرف بفقهاء السلطة، وقد حاول مصطفى كمال أن يبرر موقفه في سقوط الخلافة بعمل فكري، وهو هذا البيان الذي قام بتأليفه مجموعة من علماء الدين الإسلامي، وذلك لكي يسقط الخلافة، ولهذا يمكن القول «إنه من الخطأ تعميم الحكم بصدد صلة الأديان بالحضارات، فإذا كان للكهنوت دور في تدهور حضارة العصر الوسيط، وكانت العلمانية من أهم مقومات الحضارة الأوروبية الحديثة، فإنه من الخطأ كل الخطأ تعميم ذلك على أي دين آخر. بما في ذلك الإسلام، فليس صحيحاً أنه لا تتقدم أمة إلا إذا فصلت الدين عن أمور الدنيا، وشؤون الحياة، فما صح في الحضارة الأوروبية قد يكون فيه هلاك آخر»(٧)، «ومن ثم فإن فصل الدين عن السياسة كما فعلت أوروبا المسيحية، وكما فعل مصطفى كمال شيء لا يقتضيه الإسلام، لأنه لابد أن يدخل الدين في السياسة لينقّحها ويهذّبها، ويحسّن من نيات ولاة الأمور، ويوجههم نحو ما ينفع رغبتهم»(٨).

ولقد جاء علي عبدالرازق في العام ١٩٢٤م ليؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم»، ساعياً إلى هدم مقام الخلافة، ومؤكداً أن الرسول - ﷺ - كان صاحب دعوة دينية، وذكر في كتابه: «أن محمداً - ﷺ - ما كان إلا رسول لدعوة دينية خالصة، لا تشوبها نزعة ملك، ولا حكومة، وأنه - ﷺ - لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم منه سياسياً من هذه الكلمة، ومرادفاتها».(٩)

«ومن ثمَّ فإن ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها إيمان القلب، وخضوعه خضوعاً صادقاً تاماً، يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم ولاية مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال، تلك ولاية هداية إلى الله، وإرشاد إليه، وهذه ولاية تدبر لمصالح الحياة، وعمارة الأرض، تلك للدين، وهذه للدنيا، تلك لله، وهذه للناس، تلك زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية»(١٠) ومن ثم يصل علي عبدالرازق إلى نتيجة مؤداها: «أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون (...) الخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية، كلا، ولا القضاء، ولا غيرهما من وظائف الحكم، ومراكز الدولة، وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها»(١١) ونحن بدورنا نتساءل هل كان الشيخ علي عبدالرازق يجهل طبيعة التداخل في الإسلام بين الروحي والمادي، الديني والدنيوي، الديني والسياسي؟! وهل كان الشيخ يجهل طبيعة تدخل الإسلام في كل شؤون الفرد من عبادات ومعاملات، وأن تطبيق ذلك يتطلب أن يكون هناك سلطة سياسية تحكم البلاد بالقوانين والتشريعات الواردة في الكتاب والسنة، واجتهادات الفقهاء؟!! وأما كلام الشيخ علي عبدالرزاق في أن ولاية الرسول ﷺ كانت ولاية روحية، فكيف نفسّر ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين في كل الأمور الدنيوية مثل الفتوحات، وتوزيع الزكاة، وتطبيق أحكام الشريعة... إلخ؟!!

ذلك هو موقف التيار العلماني المؤيد لسقوط الخلافة، فما عساه أن يكون موقف التيار الإصلاحي من قضية سقوط الخلافة الإسلامية.

٣ - التوجه الإصلاحي:

ظهر رد فعل التيار الإصلاحي على فصل أتاتورك للخلافة عن السلطنة في العام ١٩٢٢م في مؤلَفين، الأول لمحمد رشيد رضا «الخلافة أو الإمامة العظمى»، والثاني لمصطفى صبري «النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة» وقد صدر المؤلَفان العام ١٩٢٣م.

فيرى الشيخ رشيد رضا أن سقوط الخلافة يرجع إلى سببين رئيسيين، السبب الأول: «أن آل عثمان على ادعائهم الخلافة الإسلامية جائرين جارين في أكثر أحكامهم على ما يسمى في عرف أهل هذا العصر بالملكية المطلقة»(١٢)، والسبب الثاني: «أن ملاحدة المتفرنجين يعتقدون أن الدين لا يتفق في هذا العصر مع السياسة، والعلم والحضارة، وأن الدولة التي تتقيد بالدين تقيداً، لا يمكن أن

تعز وتقوى وتساوي الدولة العزيزة»(١٣).

ويرى محمد رشيد رضا: أن ضعف المسلمين يرجع إلى ضعف الخلافة، فيقول: «إن العلاج الشافي من هذا الداء، والدواء المستأصل لهذا الوباء هو إحياء منصب الإمامة، بإعادة سلطة أهل الحل والعقد المعبّر عنهم بالجماعة، لإقامة الحكومة الإسلامية، التي هي خير حكومة يصلح بها أمر المسلمين، بل أمر سائر البشر، بجمعها بين العدل والمساواة، وحفظ المصالح، ومنع المفاسد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكفالة القاصرين، والعاجزين، وكفاية الفقراء والمساكين من صدقات المسلمين. ففيها علاج لجميع المفاسد الاجتماعية في حكومات المدنية المادية»(١٤)، ومن ثم فإن «الخلافة هي منطق الوحدة، ومصدر الاشتراع، وسلك النظام، وكفالة تنفيذ الأحكام»(١٥) وذلك لأن «إقامة الحدود، وتنفيذ الحكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة، لا يكون إلا بقوة مجتمعة في يد الخليفة»(١٦)

ومن ناحية أخرى، فقد قام الشيخ مصطفى صبري - آخر شيوخ الإسلام في الخلافة العثمانية - بتأليف كتابه «النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة»، ليرد على دعوى أتاتورك بفصل الخلافة عن السلطنة. فتجد مصطفى صبري يؤكد أن الخلافة العثمانية لم تكن تمشي على الصراط المستقيم فيقول: «يأبى بنا الحق والإنصاف إلا أن نعترف بأن الحكومة التركية قبل الكماليين - في عصر الخلافة - لا تمشي على الصراط المستقيم السوي، والمنهج الشرعي، بل كانت لا تحكم بما أنزل الله في كل الأمور (...)، لكن لاحق مع ذلك يأمرنا أن نشهد بعدم بلوغها في إهمال الشرع، وإعمال التقليد مبلغ الحكومة الكمالية»(١٧)، وقد انتقد مصطفى صبري فصل الخلافة عن السلطنة، مؤكداً أنه إذا كان هناك فساد في الدولة العثمانية، فالعلاج هو تبديل المفسدين بالمصلحين، لا تبديل الشريعة والدين، فهذا الفصل مؤامرة على الدين، فيقول: «حقيقة الأمر إن هذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه، ولقد كان في كل بدعة أحدثها العصريون المتفرنجون في البلاد الإسلامية كيد للدين ومحاولة للخروج عليه، لكن كيدهم في فصله عن السياسة أدهى وأشد من كل كيد غيره، فهو ثورة حكومية على دين الشعب».(١٨)

وبناء على ما سبق ينتقد مصطفى صبري فصل الخلافة عن السلطنة وذلك «لأن الخلافة لا تصح مجردة عن الحكومة، بل هي عين الحكومة، ونوع من أنواعها، بمعنى أن الحكومة تنوب عن حكومة محمد - ﷺ - فإذا أخليت الخلافة عن الحكومة فلا يبقى فيها شيء من آثار الوجود، ولا لوجودها معنى من المعنى»(١٩)، كما أن هذا التفريق قد «أدى إلى انسلاخ الحكومة عن الصفة الدينية، وأوجب تبعيد الشريعة الإسلامية عن ساحة التنفيذ إلى حضيض الإهمال ضمن تبعيد الخلافة عن تلك الساحة»(٢٠). ومن ثم ينتهي مصطفى صبري إلى أن فصل الخلافة عن السلطنة هو هدم للإسلام، ذلك لأن الخلافة هي التي تقوم بتطبيق الشريعة الإسلامية، بل تحديد كل المعالم المحددة لهوية المجتمع الإسلامي. ذلك هو الجدل الذي دار حول سقوط الخلافة الإسلامية ويمكن التعقيب عليه فيما يلي:

١ - حاول التوجه العلماني أن يقيم أدلته على سقوط الخلافة الإسلامية بناء على أن الخلافة الإسلامية في تاريخها كانت ملكاً سياسياً أكثر من كونها خلافة راشدة، ولكن هذا لا ينفي أن الإسلام قد وضع أسساً نظرية للخلافة يتم من خلالها تطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الحدود...إلخ، كما تحققت الخلافة في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - وفي عهد الخلفاء الراشدين.

٢ - استند التوجه العلماني في نقد الخلافة على أحوال الدولة العثمانية السيئة المنافية لأصول الحكم الإسلامي، ولقد اتفق الإصلاحيون معهم في تدهور أحوال الدولة العثمانية.

٣ - إن التاريخ الإسلامي لا يؤيد كلام عبدالرازق في قوله: «إن ولاية الرسول - ﷺ - ولاية روحية»، فقد انخرط الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع المسلمين في كل شؤون الحياة الدنيوية، وقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتسيير أمور الدنيا من خلال شريعة الإسلام العالمية.

٤ - اتفق كل من محمد رشيد رضا، ومصطفى صبري على أن قوة العلمانية نابعة من تدهور أحوال الخلافة العثمانية، وكذلك من ازدياد التبعية للمفاهيم الغربية العلمانية، دون الوعي بخصوصية الإسلام كدين ودولة.

٥ - اتفق كل من رشيد رضا ومصطفى صبري على أن هدم مقام الخلافة، وفصلها عن السلطنة هو هدم للدين الإسلامي، وفاعليته في المجتمع، وهدم إقامة الشريعة الإسلامية وتطبيقها، من هنا أكد كل منهما على أهمية الخلافة حتى تستقيم شؤون المسلمين في كل أرجاء الأرض، وحتى يُقام شرع الله في الأرض.

٦ - مما سبق يتضح مدى أهمية الأصداء التي أثارها سقوط الخلافة في الأوساط الثقافية والفكرية في تلك الفترة، ومدى الخلاف البارز بين التوجهات العلمانية التي تتبع الرؤية الغربية، وبين التوجهات الإصلاحية التي تحاول أن تحافظ على الروح الإسلامية وعلى استمرار تنفيذ الشريعة الإسلامية. ■

الهوامش :

١ - عبدالله عبدالرحمن - الرجل الصنم - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٤ - ١٩٨٢م - ص٢١٥.
٢ - عبدالغني سني بك - الخلافة وسلطة الأمة - دار النهر - القاهرة - ط٢ - ١٩٩٥م - ص٩٥.
٣ - المرجع نفسه ص٦٢.
٤ - المرجع نفسه ص ١٢٧.
٥ - المرجع نفسه ص ١٣٨.
٦ - المرجع نفسه ص ١٢٨.
٧ - أحمد صبحي - هاؤم اقرؤوا كتابيه - دار النهضة العربية - ط١ - ١٩٩٦م - ص١٢.
٨ - أحمد أمين - يوم الإسلام - مؤسسة الخانجي - القاهرة بدون - ص١٨٩.
٩ - علي عبدالرازق - الإسلام وأصول الحكم - دراسة وتحقيق محمد عمارة - المؤسسة العربية - بيروت - ط٢ - ١٩٧١م - ص١٥٤.
١٠ - المرجع نفسه - ص١٥٧.
١١ - المرجع نفسه - ص١٧٣.
١٢ - محمد رشيد رضا - الخلافة أو الإمامة العظمى - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ط٢ - ١٩٨٨م - ص٤٩.
١٣ - المرجع نفسه - ص٧٠.
١٤ - المرجع نفسه - ص٧٧.
١٥ - المرجع نفسه - ص١٠٥.
١٦ - المرجع نفسه - ص١٤٠.
١٧ - مصطفى صبري - النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة - دراسة وتحقيق محمد مصطفى حلمي - دار الدعوة - الإسكندرية - ١٩٨٥م - ص٢٤٣.
١٨ - المرجع نفسه - ص١٥٧.
١٩ - المرجع نفسه - ص١٨٩.
٢٠ - المرجع نفسه - ص١٤٣.

بقلم : بربر علوي السادة

العولمة طريق الهيمنة

لقد أفاق الاستعمار الغربي من نومه بعد الاستعمار العسكري للدول الشرقية على أنه لا يمكن الاستمرار في السيطرة والهيمنة على تلك الشعوب وثرواتها بالقوة العسكرية.

فقد عانى الاستعمار ضراوة المواجهة مع الثوار فهم يكلفونه الكثير من السلاح والجنود إلى جانب ما يبثونه من وعي في صفوف رجالهم بأن الاستعمار يظلمهم ويسلب خيراتهم.

لهذا كان الانسحاب العسكري من الدول المستعمرة هو الخيار على أن يتم زرع التبعية في شعوب تلك الدول لصالح المستعمر من خلال بعض الموروثات الفكرية التي تترك فيها، مثل عامل اللغة كما في الهند اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية في الجزائر، يقول الدكتور الميداني «المستعمرون إذا أرادوا وضع سياسة تعليمية لبلد يخضع لسلطان دولتهم المتسلطة فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها في هذه السياسة التعليمية تربية جيل يدين لهم بالولاء والطاعة وينسلخ عن ولائه لدينه أو لقومه» ويقول جون ديوي المربي الأميركي في كتابه «الديموقراطية والتربية»: إن الأمة إنما تعيش بالتجديد وأن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار وأن هذه الأمة تكوّن بطرق متنوعة من الأفراد الأمين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها وتصوغهم في قوالب عقائدها ومناهج حياتها.

ولقد ظل الترف الفكري ينتقل من مرحلة إلى أخرى فمن الكتاب إلى التلفاز وما حمله من ثقافة هوليود إلى مرحلة الكمبيوتر والإنترنت عصر العولمة التي تمثل الوجه البشع من الحملات اليهودية على الأجيال القادمة فهي قادمة تحت شعارات العلم للجميع.

في هذا المقال البسيط سوف نسلط الضوء على العولمة من خلال قراءة في أبعادها الثقافية والاقتصادية.

التعريف والأهداف:

العولمة كما يراها كثير من المفكرين والكتاب هي سيطرة وغلبة ثقافة من الثقافات على جميع الثقافات في العالم أو كما يقول البعض: كونية الثقافة بغية الهيمنة وسلب خيرات الشعوب لصالح تلك الثقافة، يقول الشيخ محمد محفوظ «أغلب المفاهيم المتداولة اليوم في العوالم الثقافية والفكرية المختلفة تنطلق في جوهرها من محورية الغرب وحاكميته»، وهي تأخذ طريقين: الأول: التسلط الثقافي في محاولة لإذابة الثقافات الأخرى وحضارتها ضمن الثقافة الجديدة.

الثاني: السيطرة الاقتصادية من خلال فرض آليات تعامل معينة ضمن بقاء الاستهلاك التجاري لصالح الشركات والدول العملاقة.

ففي ألمانيا نشرت دراسة تقول: إن الأطفال هناك يشاهدون التلفاز لمدة ثماني ساعات أسبوعياً، وأن الآباء قلقون مما يحمله التلفاز من ثقافة هوليود الأميركية على أطفالهم.

ويشير مؤلف كتاب «فخ العولمة» المترجم ضمن كتب سلسلة عالم المعرفة «أنه مع نمو العولمة يزداد تركز الثروة وتتسع الفروق بين البشر والدول فهناك ٣٥٨ ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة وأن هناك ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥٪ من الناتج العالمي الإجمالي وعلى ٨٤٪ من التجارة العالمية».

ويقول الكاتب عدنان الأمين: «إن كسر الحدود بين البلدان يفضي إلى إضعاف الدولة وإلى تغليب الحسابات والمقاييس العالمية على الحسابات والمقاييس المحلية في الحقول التي تقوم عليها العولمة ويقول أيضاً وكان تداول العملات الأجنبية مثلاً يخضع في أغلبية البلدان للرقابة الحكومية وكانت للدول سياسات تتضمن الحماية والخيارات، أما اليوم فإن الرقابة هي رقابة السوق العالمية على الدول ورجال السياسة فيها فقد أصبحت ذات أولية على المقاييس المحلية، ويتضح أن العولمة الأمريكية تهدف من خلال هذين الاتجاهين إلى السيطرة العامة على جميع مجالات الحياة لكي يتسنى لها استنزاف الثروات الفكرية والاقتصادية لفترات أطول مما كانت عليه والتي يترتب عليها اختلال المؤسسة في أي بلد يتعرض لهذه الهيمنة.

يقول محمد غلوم في ترجمته لكتاب النظرية الاجتماعية «وبتطور الرأسمالية إلى نظام يقوم على وجود شركات عملاقة ووجود دول مركزية قوية، يتضعضع دور العائلة وقوة الأب سواء داخل العائلة أو خارجها.

ولقد ظلت الكتابات الفكرية الغاضبة، على العولمة وما تحويه من إجحاف بحقوق المجتمعات، تدور في دائرة مغلقة تنبئ بسقوط العولمة وأنها لن تستمر حتى يصيبها السقوط الذي أصاب الاتحاد السوفييتي دون أن تكون هناك تطلعات لمرحلة ما بعد العولمة وما الآثار التي سوف تتركها على الأجيال القادمة حتى بعد السقوط غير أن بعض النقاط الصغيرة التي طرحت من بعض الكتاب والمفكرين متغافلين أن هذا الإهمال قد يوقعنا في متاهات أخرى أكبر من العولمة.

نقاط في وجه العولمة:

إن الموقف الذي تواجهه المؤسسات الإسلامية بافتقارها لآليات التعامل الحضاري في إيجاد الحلول البديلة للنسق الغربي أفقدها الكثير من حيويتها حتى عند أبنائها الذين باتوا يمارسون الإسلام كإرث حضاري مقدس، يجب الحفاظ عليه لا كثقافة قادرة على مواجهة الأزمات الحضارية المختلفة.

وفي ظل هذه الأزمة نحن بحاجة لبناء وطني قادر على الاكتفاء الذاتي في سبيل إفشال العولمة وامتصاصها من خلال بعض النقاط:

١ ـ بناء الذات، ونقصد به التربية الإسلامية السليمة بحيث تكون ذات حصانة فكرية ضد التيارات الفكرية الغربية وهي تحتاج إلى تقديم الإسلام على أنه النموذج الحضاري الأفضل والقادر على التصدي لكل متطلبات الحياة.

٢ ـ الانفتاح على العلوم الطبيعية والتطبيقية بغية عمل قاعدة لهذه العلوم تكون منطلقاً للدراسات الطبيعية كتجربة سورية في الطب، وكذلك إيجاد العلاقة بين هذه العلوم والعلوم الدينية لخلق علاقة بينها وبين الإسلام تقوم على الدراسات العلمية.

٣ ـ فتح التبادل التجاري بين الدول العربية والإسلامية وتقليل التبادل التجاري الخارجي.

٤ ـ تدريب الأيدي العاملة المحلية بحيث تكون قادرة على النهوض بالتكنولوجيا وسوق العمل.

٥ ـ تشجيع الاستثمار المحلي في سبيل تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع الاتجاهات.

٦ ـ تأسيس قاعدة اقتصادية بين الدول الإسلامية والعربية تقوم على تبادل المعلومات والخبرات في هذا المجال وتحجيم ثقافة الاقتصاد الغربية والتي تؤدي إلى خلل في البنية الاقتصادية والاجتماعية.

٧ ـ ترشيد استهلاك العولمة والتمييز بين النافع والفاسد منها بغية التقليل من تأثيرها على الأجيال اللاحقة.

وأخيراً يقول الشيخ محمد محفوظ: «إن نموذج البناء الوطني يحول العولمة إلى وهم» ويقول: «إن التكامل الإقليمي هو شرط الدخول إلى العالم الجديد». ■

يا رب الأكوان

شعر : عبدالهادي صافي

مازالتْ أيدينا
يا ربَّ الأكوان
تمتدُّ إليكَ وتَقرعُ بابَكْ
أنْ تنجينا من عاقبةِ الأمرِ
أن تمنحَنا ذاك الألقَ الأخضرْ
يملأُ أنفسنا بالحب الأخويّ الصادق
يزرعُ فينا حبَّ الخيرِ
مازلنا ندلجُ في غربتنا
بطريقٍ مظلمْ
ونغذ السيرَ بدربٍ موحلْ
لا نرتفع عن سفساف الأمرِ
لا نسمو فوق الأهواءِ
مازلنا نمشي عبر دروب الجهل
الأوّلْ
تملأنا أحقادُ الماضي والحاضرْ
وتعرّش فوق مشاعرنا
أزهارُ الشوكِ
ما بالأموالِ نضمُّ الناسَ إلينا
نَسعُ الناسَ بالحبِّ
وبالأخلاقِ
نضمُّ إلينا عَبْرَ الآفاقِ
كلَّ قلوبِ الخلقِ
يا بؤسَ المرءِ حينَ يموتُ
ويُدرجُ في الثوبِ الأبيضِ
يلقى الله بلا أعمالِ
تنجيهِ من أهوالِ النارِ
ويجوزُ إلى دارِ الفوزِ
ازرعْ زهراً تجنِ زهراً
ازرعْ خيراً تحصدْ خيراً
لن نخلدَ في هذي الدنيا
ليستْ هذي الدنيا بدارِ مُقامْ
نرحلُ عنها...
لابدَّ من زادٍ نتزودْ
نشكوكَ يا ربَّ الأكوانِ
عمَّ الظلمُ وانتشرْ
في كلِّ الأصقاعِ
خلصنا يا ربَّ الأكوانِ
منْ محنِ الظلمِ
ومنْ أهوالِ الغدرِ
ضاقت فينا الأرضُ بالرحبةِ
ضاقت حلقاتُ القيدِ!
بأيدينا

بقلم : المهندس عز الدين صديق

هندسة المباني في القرآن والسنة

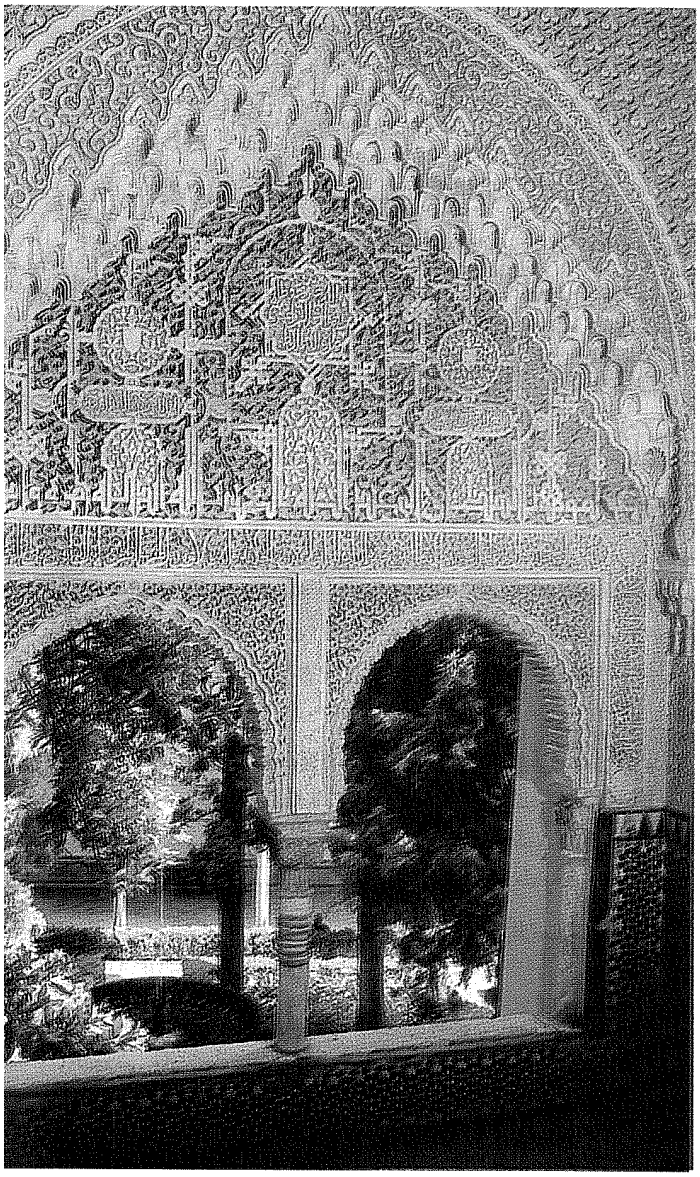

لقد أنزل القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام، قبل أن يعرف الناس أي شيء عن علم الهندسة، بل قبل علوم الحساب والجبر وغيرهما بمئات السنين ومع ذلك جاء في القرآن الكريم العديد من الأسس الهندسية المهمة جداً في مجال هندسة المباني والإنشاءات.

في سورة التوبة يقول الله سبحانه وتعالى:

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه علئ شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين).

في هذه الآية الكريمة يشبه الله سبحانه وتعالى، تقوى الله ورضوانه بالتأسيس على تربة قوية، وعكس ذلك التأسيس على حافة ضفة وادٍ لتربة ضعيفة وهو وضع هندسي خطر جداً على الأساس وذلك للأسباب التالية:

- ضفة الوادي «الجُرف» هي مكان مرتفع عن الوادي والتأسيس على حافة مكان مرتفع يعتبر خطأ وخطرا حتى لو كانت التربة قوية فما بالنا لو كانت التربة ضعيفة أيضاً مثل النموذج الذي تقدمه الآية الكريمة.

- إن المياه التي تجري في الوادي تسبب نخر وتآكل أسفل جدران ضفتي الوادي، لذلك فإن جدار تربة ضفة الوادي يكون أسفله متآكلاً ووسطه وأعلاه يصبح كما لو كان تربة كابولية تعتمد فقط على قوة التماسك بين حبيبات التربة من دون رد فعل الجزء الأسفل حيث أنه غير موجود بسبب نخر المياه، وهذا الوضع خطير لدرجة أن جدار ضفة الوادي قد لا يستطيع أن يحمل نفسه فينهار تلقائياً فهل يمكن لحافة ضفة الوادي التي لا تستطيع أن تحمل نفسها أن تتحمل أي أساس فوقها.

- من المعلوم في علم ميكانيكا التربة والأساسات أن المنحنى الأفقي لتوزيع الإجهادات لقاعدة الأساس يلاحظ فيه أن اجهادات قاعدة الأساس لا تتوقف عند حدود القاعدة ولكنها تستمر لمسافات معينة يميناً ويساراً عن القاعدة وإن كانت تتناقص كلما ابتعدنا عن منتصف القاعدة، وبصورة تقريبية يمكن تعيين الجزء الفعال من التربة تحت قاعدة الأساس وذلك بخطين مائلين بزاوية ٤٥ درجة من الأركان السفلية لقاعدة الأساس وسواء أثناء تشييد المبنى أو بعد الانتهاء من التشييد فإنه يحظر تماماً عمل أي حفريات تتدخل في هذه المنطقة المحصورة بالخطوط المائلة المذكورة، وقد تسببت مثل هذه الحفريات في انهيار العديد من

المباني نتيجة لخلخلة التربة في الجزء المذكور وبناء على ذلك، فإن خطورة التأسيس على حافة جدار مرتفع من التربة ترجع أساساً لأن الجزء الفعال من التربة التي ستحمل الأساس هو جزء غير كامل وذلك ما يشكل خطورة كبيرة للتأسيس في هذا المكان.

وفي هذه الآية أيضاً ملاحظة مهمة جداً في روعة التعبير البلاغي فيها وهي أن الآية أعطت معنى تربة الأساس القوية تشبيهاً لتقوى الله ورضوانه، وذلك دون استخدام لفظ القوة حيث عرضت الآية الكريمة حالتان متباينتان عكسيتان أحدهما التأسيس على شفا جرف هار، وخير من ذلك هو الحالة العكسية في التباين وهي تربة الأساس القوية، كما يستنتج ذلك بسهولة من التباين بين الحالتين في الآية الكريمة.

ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة النحل: (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون).

في حالة عدم اتزان قواعد الأساسات يتعرض المنشأ إلى هجوم إجهادات إضافية تؤثر بالضرر على أعضاء هيكل المبنى وتصل هذه الاجهادات في تأثيرها الأقصى إلى انهيار سقف المبنى ضمن الانهيارات الجزئية أو الانهيار الشامل الذي تسببه هذه الاجهادات الآتية أصلاً من عدم اتزان القواعد ويذكر بعض أساتذة الأساسات في كلية الهندسة، أن نحو ٨٠٪ من انهيارات المباني يرجع أصلاً إلى حدوث مشكلات في قواعد الأساسات بهذه المباني.

وهنا ملاحظة مهمة في هذه الآية الكريمة أن الآية خصت الماكرين بهذا الانتقام الرباني، والسبب في ذلك ربما كان أن الإنسان الماكر يتصرف تصرفات يكون ظاهرها الخير ولكنها مرتبة ومحددة بحيث ينتج منها الضرر في النهاية، أي أن الضرر من الإنسان الماكر يأتي بطريقة غير مباشرة وكذلك الضرر في المباني بسبب القواعد لا يكون بصورة مباشرة حيث أن العضو المصاب قد يكون مصمماً جيداً، ومنفذاً بدقة سواء في التسليح أو بسبب الخلطة الخرسانية أو أمور الصناعة ومع ذلك فإن الاجهادات الإضافية التي تهاجم المبنى نتيجة حركة الأساسات هي اجهادات طارئة لم يستعد لها التصميم، فتدمر المبنى بصورة غير مباشرة أيضاً.

وفي سورة الكهف نجد قمة الهندسة في قول الله سبحانه وتعالى: (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض).

إن هناك مجموعتين من القوى تؤثران على أي منشأ، المجموعة الأولى هي مجموعة القوى التي تحاول تحريك أعضاء المنشأ ومخالفة الاتزان والمجموعة الثانية في القوى تحاول المقاومة وصيانة الاتزان.

(راجع مقال، تشرخات المباني الخرساني ـ المهندس عز الدين صديق ـ مجلة عالم الهندسة ـ الإمارات ـ العدد الأول).

والمجموعة الأولى إذا استطاعت السيطرة على المنشأ مع ضعف أو قصور المجموعة الثانية حدثت التشرخات والانهيارات الجزئية بالمنشأ والتي ما هي إلا أنواع من الحركة استهدفت تفريغ جزء من الطاقة الاستاتيكية بالمنشأ إلى طاقة ديناميكية محدثة للحركة والانهيار.

وتأتي روعة التعبير القرآني في وصف الحالة الحرجة للاتزان وهي حالة بداية، أو على وشك البداية لسيطرة المجموعة الأولى من القوى وعبر عنها القرآن بنزعة أو إرادة الانهيار، وفي هذه الحالة فإن الاتزان مازال موجوداً، ولكنه اتزان حرج على وشك الانهيار، وفي هذه الحالة فإنه يظهر على المبنى العديد من الظواهر التي تبين هذه الحالة الحرجة مثلاً انتشار تشققات كثيرة بالمبنى.. وحدوث تفتت للخرسانة وما إلى ذلك.

وبالطبع فإنه إذا لم يتم علاج وإصلاح الجدار بأسرع وقت ممكن فإن إرادة الانهيار سوف تأخذ فرصتها في إحداث الانهيار فعلاً.

ويشبه الله سبحانه وتعالى الذين يتخذون أولياء من دونه بنموذج هندسي يمثل قمة الضعف والوهن، حيث يقول الحق في كتابه الكريم: (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون). العنكبوت:

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (الصلاة عماد الدين)، ويعني ذلك تشبيه الصلاة بالعمود في المبنى لأن العمود في المبنى هو عماد المبنى ويؤكد على ذلك المعنى حديث آخر للرسول عليه الصلاة والسلام: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»، واسترشاداً بهذه الأحاديث يمكننا تشبيه أركان الإسلام بالهيكل الخرساني للمبنى، شهادة أن لا إله إلا الله تناظر أساس المبنى لأنها الأساس في إسلام أي إنسان ومن دونها لا يكون المسلم مسلماً والصلاة تناظر العمود، ويمكن تشبيه أركان الإسلام الأخرى الحج والزكاة والصيام بالجسور والأسقف.

والهيكل الخرساني رغم أهميته الكبرى إلا أنه لا يكفي ولا يصلح لإقامة أي إنسان في هيكل خرساني فلابد من الأعمال الأخرى مثل الحوائط وما يكسوها والتركيبات الصحية والكهربائية وهذه الأعمال تناظر الممارسات الدينية المهمة مثل «الأمانة ـ الصدق... المعاملة... إلخ»، وهذه الممارسات الدينية مهمة جداً ومن دونها يفرغ الإسلام من مضمونه بل أن الله قد لايقبل أركان الإسلام ما لم تنعكس على تصرفات وممارسات الإنسان في الحياة، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، ومن دون هذه الأعمال الصالحة والاكتفاء بأركان الإسلام يكون الدين عند الإنسان كالهيكل الخرساني فقط، فهو يقف شامخاً كأنه مبنى ومع ذلك لا يصلح للاستخدام.

ويستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم التشبيه بالمباني مرة أخرى وذلك في المقارنة بينه وبين الأنبياء الأولين في حديثه الشريف: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين. ■

بقلم : د. حسن عزوزي

بعد سبعين سنة على وفاته

ناصر الدين دينيه
فرنسي مسلم دافع عن الإسلام

يُعدُّ ناصر الدين دينيه «إتيني دينيه» في طليعة الباحثين الغربيين المتحررين الذين رأوا في تعاليم الإسلام نوراً يهدي إلى الحق المبين، فأقبل على اعتناقه واثقاً من هدايته النافعة ورسالته الهادفة، ومُنافحاً عن مبادئه وتعاليمه ضد من همُّوا بنقده والافتئات عليه، ولم يكن ناصر الدين دينيه في رجاحة عقله وسلامة ضميره ووضوح منطقه ممن يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، بل كان ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله.

واليوم وقد مرت سبعون سنة على وفاته (١٩٢٨م - ١٩٩٩م)، وما زال هذا المستشرق الفرنسي المسلم مغموراً بين المثقفين المسلمين، ولا يكاد يُعرف بين الخاصة من المهتمين والمتتبعين، وإذا كان دينيه يُعد في نظر الدارسين للمنظومة الاستشراقية واحداً من أعلام المستشرقين في أوائل هذا القرن فإننا لا نحسبه كذلك مهما حُشر في زمرة هؤلاء، لأن المنطق السليم يفرض ألا يكون الغربي الذي درس الإسلام وآمن به وعُد من أبنائه عن هداية واقتناع في صف واحد مع من يدرس الإسلام من زاوية خارجية وفق منظور غربي وغريب عن الروح الإسلامية، والدارس لسيرة الرجل الذي يتبين له مدى حبه للإسلام والمسلمين سرعان ما يتنبَّه إلى أن الرجل قد أمسى شرقياً لا مستشرقاً.

النشأة

وُلد إتيني دينيه العام ١٨٦١م في باريس لأب لا يكن للأديان أدنى احترام أو تعاطف، ولأم مُتنسِّكة تميل إلى سلوك طريق التصوف النصراني، عشق الرسم منذ نعومة أظفاره، ومهر في فنه مهارة كبيرة حتى إنه حصد جوائز عدة وهو لا يزال يافعاً، وفي العام ١٨٨٥م، قام بزيارة للجزائر التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي، فأقام في بلدة «الأغواط» حيث قام بتنفيذ رسومات لمناظر خلابة عدة اجتذبته واسترعت انتباهه، وكان أبرزها لوحة «سطوح الأغواط» التي اقتنتها الحكومة الفرنسية، وهي الآن تزين بها جدران متحف اللوكسمبورغ.

تردَّد دينيه على الجزائر مرات عدة بعد زيارته الأولى التي أثرت في فكره ووجدانه، حيث تأثر ببساطة العيش فيها وجمال الصحراء الممتدة التي تجعل الروح تسيح في عالمها الواسع، ولم يكن في وسعه الاستقرار وحط الترحال بصفة نهائية بمدينة «بو سعادة» الجزائرية إلا في العام ١٩٠٥م، ويرجع سبب حبه لهذه المدينة إلى الصداقة التي ربطته بأحد علمائها ومثقفيها ويُدْعى سليمان بن إبراهيم، وسبب تعرفه عليه، هو أنه في إحدى زياراته لـ «بوسعادة» نشبت عداوة بينه وبين بعض اليهود الذين انهالوا عليه بالضرب والتنكيل، فرآه سليمان بن إبراهيم فأسرع لحمايته وإنقاذه من أيدي أعدائه، ولما عاد دينيه إلى فرنسا انتقم جماعة اليهود من سليمان فطعنوه بخنجر في ظهره، ولما بلغ الخبر صديقه دينيه تأسف على ذلك، فبادر إلى الذهاب إلى بوسعادة للاطمئنان على صحته، وقد اصطحبه بعد ذلك معه إلى باريس، وعندئذ ابتدأت صداقة قوية بين الاثنين حتى إن كثيراً من مؤلفات دينيه الإسلامية كانت مشتركة بينه وبين صديقه.

الطريق إلى الله

عندما يقدر الله تعالى الهداية لأحد من خلقه فإنه يهيئ له من الأسباب والدواعي ما يكفل له تلمُّس خيوط الطريق المؤدية إلى الهداية الربانية والنور الإلهي المشرق، وبالنسبة لمترجَمِنا فقد شاءت الأقدار أن يكون في الرسم الذي يهواه منذ صغره

سبباً رئيساً في انتقاله إلى الجزائر البلد الإسلامي ذي الصحاري الشاسعة، والفيافي الواسعة التي توحي للرسامين بأبهى الصور الفنية وأروع المشاهد الجمالية والتي يجد فيها أولو النُّهى الأولياء ما يفتح القلوب إلى العالم ا لعُلوي ويفسح المجال للتدبُّر والتفكُّر والتأمل في الخالق سبحانه.

لقد كان دينيه عديم الثقافة الدينية في أثناء دراسته في المرحلة الثانوية، حيث لم يكن يُعير للقضايا والمسائل الروحية في إطار النصرانية التي كان ينتمي إليها أدنى اهتمام، لكن مع مرور السنين وبلوغ سن الرشد والنضج بدأت الدوافع الفطرية تُلح على باطنه كي يبوح عن حقيقة الكون والوجود، وأثناء وجوده في الجزائر وجد الرجل في عالم الصحراء اللامتناهي ما يستهويه ويجذبه إلى التأمل في النواميس الكونية واستكناه أسرار الخلق والوجود والطبيعة، وبموازاة مع ذلك كان يشاهد من حوله البدو الرحل سكان الصحراء وهم يؤدون صلواتهم تحت أشعة الشمس وعلى صفحات الكثبان الرملية الناعمة بكل تلقائية وبساطة ومن دون اعترافات غفرانية أو وساطة كما هو الحال في الكنيسة، كل واحد من المصلين يناجي ربه مباشرة وبكل حرية. هنا لم يجد دينيه بُداً من مشاركة هؤلاء صلواتهم، فكان يؤديها معهم جماعة ويسألهم كل مرة وحين عن أسرار الصلاة والصيام وغيرهما من شعائر الإسلام، لقد أحب دينيه حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير، فاتخذ له بينهم مقاماً محموداً في تلك الواحة السعيدة «بوسعادة» واستمر على تلك الحال أشهر عدة، يشارك أبناء الصحراء حياتهم الدينية والاجتماعية وكأنه واحد منهم إلى أن أعلن إسلامه بصفة رسمية العام ١٩١٣م، واستبدل اسمه إتيني باسم «ناصر الدين» تفاؤلاً منه بأن يكون له حظ ونصيب في نصرة الإسلام والدفاع عنه ضد أعدائه. لقد أعلن إسلامه عن روية وتيقن وتفكر وتعمق، بعد تجاوزه سن الأربعين، لذلك كان في عقيدته مكيناً راسخاً، وفي إسلامه كاملاً ملتزماً.

مؤلفاته

قبل إسلامه بعامين كان ناصر الدين دينيه قد سطَّر كتابه «الفيافي والقفار»، مشاهداته وذكرياته في صحراء الجزائر معبراً عن تأثره بالحياة الصحراوية ودور ذلك في تغيير سلوكه الديني ونمط حياته، وقد كان لصديقه ابن إبراهيم الذي يرافقه ويلازمه دور كبير في ذلك، حيث كان يُقرِّب إليه صورة صحراء الحجاز ويصوِّر معالم الحياة المكية قبل بعثة الرسول ﷺ وبعدها،

وكان للمقارنة العجيبة بين صحراء الجزائر وصحراء الحجاز وكذا للتصوير الفني الرائع الذي تفنَّن سليمان في تقديمه لصديقه ما جعل هذا الأخير يفكر في تأليف كتاب عن حياة محمد ﷺ التي كان يعرف عنها الشيء الكثير لكن من خلال بطون الكتب فحسب، شأنه في ذلك شأن جميع المستشرقين الغربيين ـ فلما استطاع الرجل أن يمزج في ذهنه معالم السيرة النبوية كما هي مبثوثة في الكتب ومشاهد الصحراء الحجازية التي انبعثت منها أنوار الرسالة المحمدية انساب إلى قلب الرجل أملُ وضع كتاب عن سيرة النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه تكون مخالفة تماماً لما سطَّره المستشرقون ونابعة من قلب مؤمن يهفو إلى تدوين حياة خاتم النبيين وفق أبهى صور البيان وأصدق مشاعر التعبير، وقد ألف الكتاب المأمول بمساعدة صديقه سليمان، وتُرجم إلى لغات منها اللغة العربية، حيث قام بها شيخ الأزهر آنذاك الدكتور عبدالحليم محمود ونجله الدكتور محمد عبدالحليم محمود.

من مؤلفات ناصر الدين دينيه أيضاً: «أشعة خاصة بنور الإسلام» وهي عبارة عن محاضرة ألقاها في جمعية الأخوة الإسلامية في باريس، وهي عبارة عن عرض لمبادئ الدين الإسلامي بصورة عصرية وواضحة تلائم العقلية الغربية، وقد نشر الكتاب للمرة الأولى العام ١٩٢٩م وترجمه إلى العربية الأستاذ راشد رستم، وهو أول ما ترجم من كتبه.

ثم ألف كتابه «الشرق في نظر الغرب» العام ١٩٢١م بالاشتراك مع صديقه سليمان بن إبراهيم، والكتاب عبارة عن رد علمي على طروحات المستشرقين هنري لامنس البلجيكي المعروف بعدائه الشديد للإسلام، وكازانوفا في كتابه «محمد ونهاية العالم»، ويعتبر هذا الكتاب من أبرز كتب ناصر الدين دينيه، حيث دافع فيه بشدة على حياض الإسلام ودعوته ونبيِّه ضد افتراءات وطعون المستشرقين السالفي الذكر اللذين كانا في أوائل هذا القرن من ألد أعداء الإسلام وأكثرهم تحاملاً عليه.

لقد تم تفنيد مزاعم هنري لامنس في كثير من كتبه مثل «مهد الإسلام» وكتاب «فاطمة بنت محمد ﷺ»، وكتاب «محمد ونهاية العالم»، فقد اشتط به التفكير، ورأى وبئس الرأي أن محمداً ﷺ كان شديد الترقب لقيام الساعة التي كان يراها وشيكة الوقوع، لذلك لم يجمع القرآن في مصحف ولم يعيِّن خليفة له، وقد ردَّ العلماء بإسهاب على مثل هذه الشبهات في كتب علوم القرآن وكتب الأحكام السلطانية، وكتاب دينيه هذا الذي يندر العثور على نسخة منه في أصله الفرنسي يعتبر مرجعاً مهماً في إطار الرد على المستشرقين وبخاصة أنه من تأليف فرنسي مسلم خبير بخلفيات بني جلدته من المستشرقين ومراميهم وأغراضهم.

ومن أهم كتب دينيه أيضاً كتابه «الحج إلى بيت الله الحرام» الذي لم يطبع إلا بعد وفاته بعام واحد ١٩٣٠م، وقد وصف فيه مناسك الحج بتفصيل دقيق وبروح علمية مؤمنة وثَّابة حيث كان لدى حديثه عن كل منسك أو مشعر يؤكد الحكمة الجليلة التي يهدف إليها والغاية المثلى التي يرمي إليها محبباً ذلك إلى قلب القارئ الذي يخيل إليه وهو يستعرض بشغف وشوق مراحل وأشواط الحج وكأنه يسبح في سبحات ربانية في ظل ضيافة رب العالمين.

والكتاب قد طبعته دار النشر الفرنسية الشهيرة HACHOLTA اعتبر أول كتاب ينتشر في أوروبا معرّفاً الغربيين بالركن الخامس من أركان الإسلام بأسلوب علمي مُشوِّق يخاطب العقلية الغربية ويقرب إليها روح الإسلام ومقاصده السامية، لقد ختم حديثه في آخر الكتاب بقوله: «لو كان الإسلام الحقيقي معروفاً في أوروبا لكان من المحتمل أن ينال أكثر من أي دين أخر العطف والتأييد وذلك من جراء روح التدين

التي عمت أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى»(١).

وفاته

أحب ناصر الدين دينيه مدينة بوسعادة الجزائرية التي قضى بها ردحاً من الزمان، وقرر العيش بين أهلها وسكانها ما تبقى له من حياته، وقد بلغ حبه لتلك الحياة العربية الصحراوية مبلغاً عظيماً جعله يأمل في أن يدفن بعد موته في مدينة بوسعادة وليس في باريس، ولما لم يكن له أهل ينفذون وصيته لأنه لم يتزوج طوال حياته، كما أن والديه قد توفيا عامي ١٩١٤م، و١٩٢٠م، فقد قرر أن يبنى ضريحاً له ويهيئ قبراً ليوم موته حتى يدفن فيه، وكتب وصية في ذلك أودعها لدى صديقه سليمان بن إبراهيم، وبقي كذلك إلى أن وافته المنية العام ١٩٢٩م وهو في باريس، فتحدد نقله إلى بوسعادة يوم ٦ يناير، وتم دفنه يوم ١٠ يناير ١٩٣٠م، ويذكر أن سبب التأخير في دفنه كان توافد الوفود العربية والصحراوية لإلقاء نظرة أخيرة عليه، إذ كان - رحمه الله - مشهوراً وذائع الصيت بين كل الجزائريين الذين دافع عن حقوقهم أمام السلطات الفرنسية، وفي يوم دفنه اصطف الآلاف من الناس الذين هرعوا إلى بوسعادة من كل أرجاء الجزائر وتونس للصلاة عليه والترحُّم على روحه.

من أفكاره وأقواله:

لقد كان ناصر الدين مقتنعاً أشد الاقتناع بأن الإسلام يسمو بعقيدته ومبادئه وقيمه عن غيره من الأديان، فهو خالٍ من الأسرار وعبادة القديسين وهو ليس في حاجة إلى الهياكل والمعابد مادامت الأرض كلها مسجداً لله.

لقد رد دينيه للإسلام اعتباره في أوساط الغربيين مبيناً أصالته الحضارية وسموه في التفكير وإنسانيته التي لا تُقاس بها مادية الغرب وفساده وعدوانه الذي لا يقف عند حد، وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال، لقد أظهر في كتبه نُبل العرب المسلمين وعمق فهمهم للأمور فهماً يتفق مع الفضيلة، ويتلاءم مع أسمى المبادئ الإنسانية، وقد خبرهم جيداً وعاش بينهم واطلع على أسرار حياتهم ومدى حبهم لدينهم.

لقد انبهر كثيراً أمام سمو شعائر العبادات الإسلامية فيشير إلى مزاياها وفضائلها ويتحدث عن الحكمة منها ومقاصدها، فالصلاة مثلاً التي أداها قبل أن يدخل الإسلام يرى أنها «ذات بساطة ولطافة لم يسبق لها مثيل من نوعها في صلاة غيرها. كما أنها لا تدعو الوجوه بالتظاهر والتكلف ولا العيون بالشخوص إلى السماء واستنزال الدموع. حقاً - يقول - إن الصلاة في الإسلام خالية من تلك الأمور الشائنة التي خصها المسيحيون بالصور المسيحية مما جعلها في غير جمال ولا جلال ولا وقار. حقاً إن الأقول والحركات التي في الصلاة الإسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان وهي خالية من مبالغات الورع وتكلفات الخضوع والتظاهر بذلك مما هو غريب في العبادات لأن الله سبحانه وتعالى عليم بما في الصدور وهو الغني العزيز»(٢)

ويقول أيضاً: «لقد كتب الله الصلاة على عباده واقتضت حكمته أن تكون أنفع وأصح ما منحهم من خير، نعم خمس صلوات في اليوم تمكّن بني البشر من الراحة التامة خمس مرات يومياً، فتحول بينهم وبين الانفعالات والعواطف المثيرة التي تؤدي تارة إلى المغالاة في الفرح، وذلك طريق يؤدي إلى الرذائل وتارة إلى المغالاة في الحزن وذلك طريق قد يؤدي إلى جنون اليأس، خمس صلوات يومياً بما لهن من مقدمات الطهارة يلزمن الإنسان بالتفكير في نظافة بدنه وصفاء روحه»(٣).

وهكذا وقف الرجل المؤمن الغيور يبرز أسرار العبادات الدينية في الإسلام ويكشف اللثام عن مقاصدها وحكمها الروحية فضلاً عن تأثيراتها الإيجابية في نفوس المسلمين، فعندما تعرض للحديث عن فريضة الحج أبرز المعاني والقيم الروحية التي يفجرها فيقول: «إن احتشاد الناس في عرفات موقف من مواقف الحشر حقاً، إن جميع أجناس الإنس على تباينها تحتشد في ذلك المكان الذي اعتاد الإقفار، ولن نرى في غير هذا المكان من العالم جمعاً اجتمع فعرض في آن واحد كل تلك الوجوه الآدمية المختلفة الشبه وكل تلك اللهجات واللغات المتباينة، لقد تآخى هؤلاء جميعاً في تلك الساعة العظيمة، تآخوا لغة وقلباً، ونسوا فروق الأجناس والدرجات والطبقات، نسوا أحقادهم مذهبية كانت أو سياسية. ففي عرفات يرجع الإسلام إلى اتحاده الشامل وحماسته القوية كما كان في أيامه الأولى»(٤).

ويرى ناصر الدين دينيه أن من أبرز خصائص التشريع الإسلامي وميزاته ملاءمته لكل الأجناس البشرية والشعوب والحضارات، إذ منذ فجر الإسلام لم يكن العرب وحدهم الذين اعتنقوا الإسلام، بل كان فيهم الفارسي والرومي والقبطي وغيرهم، مما يؤكد أن عالمية الإسلام وروحه الوثابة تؤكدان أنه دين الفطرة التي لا تختلف في إنسان عن آخر، لذلك فهو صالح لكل زمان ومكان، يقول رحمه الله: «فكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات... لقد أكد هذا الدين من الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان، وإذا كان صالحاً بالضرورة لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل... وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة».(٥)

لقد راح ناصر الدين دينيه في كل كتبه يشيد بخصائص الإسلام ومزاياه، ويُنقب عن مزيد من فضائله وقيمه ومُثله، هذا فضلاً عن دفاعه عن الإسلام وتشريعاته ضد مطاعن المستشرقين الحاقدين، حيث استأصل شأفتها وأبان عن تهافتها وبطلانها بالحجة والبرهان. ■

الهوامش:

١ - الحج إلى بيت الله الحرام ص ٣٢٤.

٢ - أشعة خاصة بنور الإسلام، ترجمة راشد رستم، المكتب الفني للنشر - بيروت - ١٩٦٠م.

٣ - محمد رسول الله ﷺ، ترجمة د.عبدالحليم محمود ومحمد عبدالحليم محمود ص ٣٦ - مطبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥م ص ١٤١.

٤ - نفسه ص ٢٩٧.

٥ - نفسه ص ٣٤٥.

الوعي الإسلامي
al-Wael al-Islami
العدد 409
رمضان 1420هـ
ديسمبر / يناير 1999/2000م

الأسرة المسلمة

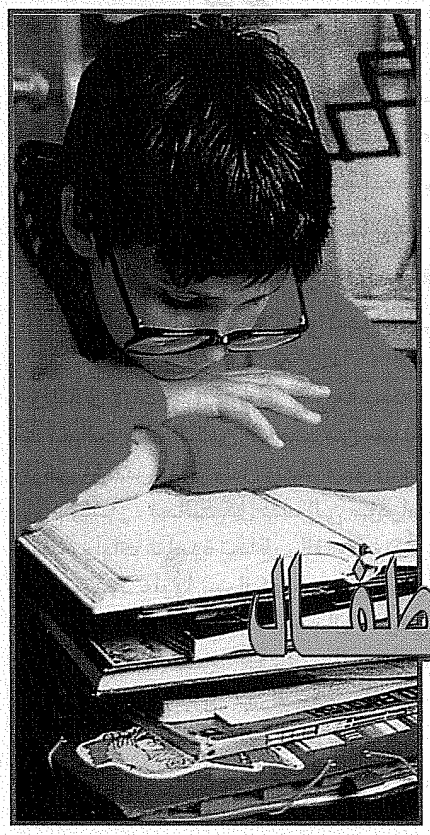

الشجار بين الأطفال أسبابه وعلاجه

دور المدرسة في تنمية الإبداع والابتكار لدى الأطفال

قضم الأظافر وثلاثية «العصبية ـ القلق ـ التوتر»

سيكولوجية القلق عند الكبار والصغار

سورة لقمان ومواقف تربوية

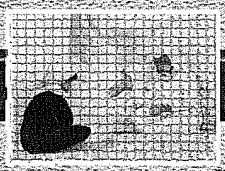

بقلم: عاطف إبراهيم المولي

سورة لقمان ومواقف تربوية

هذه السورة الكريمة سورة مكية إلا آيتين وقيل ثلاثة(١) وآياتها أربع وثلاثون آية، وهي نموذج من نماذج القرآن الكريم في مخاطبة ومحاورة القلب البشري في مجال علاج قضية العقيدة في نفوس المشركين، هذه القضية التي تولت سور العهد المكي علاجها بأساليب شتى وزوايا متنوعة، كلها تقرر هذه القضية الواحدة، والتي تتلخص في توحيد الله. تعالى. وعبادته وحده وشكر نعمه مع اليقين بالآخرة وما فيها مع الحساب الدقيق والجزاء العادل.

والمتأمل لآيات هذه السورة الكريمة يجدها قد أحالت هذا الكون الرحب من سماء وأرض وشمس وقمر وليل ونهار وجو وبحر وزرع وثمار - أحالت كل ذلك إلى مؤثرات ناطقة، وآيات شاهدة تخاطب القلوب وتؤثّر فيها، وتأخذ عليها مسالكها، ودوربها، كل ذلك مع أن القضية واحدة، ومجال العرض واحد. وهذا الأسلوب القرآني العجيب يستدعي التدبّر الطويل لإدراك بعض وسائله في مخاطبة النظر والقلوب بطريقة ممتعة للقلب والعقل، بجانب ما فيها من دواعي التأثر والاستجابة.

وهنا نكتفي بهذا العرض السريع للأسلوب القرآني المعجز مع الإحالة إلى مصادره(٢) وذلك لخروجه عما نحن فيه من تلمّس للمواطن التربوية في هذه السورة الكريمة، والتي تبدأ من قول الله تعالى: (ولقد أتينا لقمان الحكمة) الآية ١٢، إلى قوله تعالى: (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) الآية:١٩.

وهذه الآيات الكريمات تعالج القضية ذاتها قضية توحيد الله، والإيمان بالآخرة والعمل لها، والجزاء العادل، تعالج هذه القضية من خلال أعماق النفوس الآدمية عن طريق الحكاية، حكاية لقمان الحكيم، الذي وهبه الله تعالى الفهم للأمور، والعمل بما علِم، والهداية للمعرفة الصحيحة، فكان حكيماً، ولعل ذلك هو السر في كون أن كل ما دعا إليه لقمان وأمر به ابنه كان من دواعي الحكمة، ومقتضيات الفطرة السليمة، وهذا كله بناء على الصحيح من أقوال أهل العلم من أن لقمان كان حكيماً وليس نبياً.(٣)

وقد اشتملت توجيهات لقمان لابنه على مواقف تربوية عدة، تمثل في مجملها منهاجاً للحياة الرشيدة، فمن هذه المواقف التربوية:

- علاقة الفرد بربه.
- علاقة الفرد بوالديه.
- علاقة الفرد بنفسه.
- علاقة الفرد بالناس عامة.

فأول تلك التوجيهات الحكيمة والتي تنظم علاقة الفرد بربه وخالقه قوله تعالى على لسان لقمان (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآية ١٣.

وقال ابن كثير - رحمه الله - : يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده.... وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر، وأنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه، وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، ثم قال محذراً (إن الشرك لظلم عظيم) أي هو أعظم الظلم. أهـ(٤).

فأعظم الحقوق، وأوجب الواجبات توحيد الله تعالى، ولذلك بدأ به لقمان فأمر ابنه بالتوحيد، وحذره من الشرك بالله تعالى، ومما لا يشك فيه أن عقيدة التوحيد الخالص - حين تعيش في أعماق النفوس، وتتمكن من حنايا القلب، ويحيا المؤمن في ظلالها وعلى أنوارها - فإنها - بلا ريب - تضفي على صاحبها - فرداً كان أو أمة - أعمق صفات الكمال، وتلبسه أروع ثياب الطمأنينة، وذلك أن هذه العقيدة الخالصة تحرر أصحابها من العبودية لغير الله، والخوف على الرزق والأجل، وتحررهم من الشح، والبخل، والظلم، والأنانية، وتحرر عقولهم من الخرافات والأوهام، وبهذا التحرر من هذه الصفات يتحول الفرد بممارستها الصحيحة إلى عقيدة تمشي على الأرض، ودين يتحرك بين الناس، فيؤثر فيهم بالقدوة الحسنة، والأسوة الطيبة، والسلوك المستقيم، وكل ذلك ليس سوى نتيجة طيبة مباركة كلمة الإخلاص وعقيدة التوحيد، وصدق الله القائل - سبحانه -: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها...) إبراهيم:٢٤، ٢٥.

فكما أن البذرة الصالحة إذا وضعت في أرض طيبة، جاءت بأكمل الثمار وأنضجها، فكذلك كلمة التوحيد، إذا حلّت بقلب المؤمن فإنه يرى بنور الله، ويعمل برضاه ويهتدي بهداه، فتحول صاحب هذه العقيدة - من كم مهمل لا يحسب له حساب إلى قوة هائلة وطاقة كبيرة يعمل لها ألف حساب.(٥)

هذه هي بعض آثار العقيدة الصحيحة، تحرير للنفس الإنسانية، وتكوين للشخصية

المتزنة، وتحقيق للأمن والطمأنينة، واجتماع على كلمة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وتلك كانت أولى توجيهات لقمان لابنه، والتي اقتضتها حكمته التي أنعم الله بها عليه، فأنعم بها من وصية غير متهمة، وأكرم به من توحيد مبرأ من كل شبهة، بعيد عن كل ظن.

ونصح لقمان لابنه هو الوضع الصحيح بين الأب وبنيه، يعظمهم ويرشدهم ويجنبهم المهالك، فإذا تغير الوضع وصار الأب والأم مدعاة للشرك، ومصدراً للعصيان فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولذلك جاءت الوصية بالوالدين، وكيفية معاملتهما، وهنا يأتي التوجيه الثاني في الوصايا الحكيمة، والذي ينظم علاقة الفرد بوالديه خاصة، وذلك في قوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير. وإن جاهداك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليَّ ثم إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) لقمان:١٤، ١٥.

بر الوالدين قرين التوحيد، وآية الوفاء لما سلف من عطائهما المبرور، ولذا على كل مسلم أن يؤمن بحق الوالدين عليه، وواجب برهما وطاعتهما، والإحسان إليهما، لا لكونهما سبب وجوده فحسب لكونهما قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل، بل لأن الله عز وجل أوجب طاعتهما، وكتب على الولد برهما والإحسان إليهما، حتى قرن ذلك بحقه الواجب له من عبادته وحده دون غيره فقال عز وجل: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً...) الإسراء:٢٣.

وقال الرسول ﷺ للرجل الذي سأله: «من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك»(٦) وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...»(٧)، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة لوقتها، قلت ثم أي قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»(٨)، وجاء رجل إليه عليه الصلاة والسلام يستأذنه في الجهاد فقال: «أحي والداك؟ قال نعم، قال: ففيهما فجاهد»، وجاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي عليَّ شيء من بر والديَّ بعد موتهما أبرهما به؟ «قال نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما»(٩)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي الأب»(١٠).

والمسلم إذ يعترف بهذا الحق لوالديه ويؤديه كاملاً طاعة لله تعالى، وتنفيذاً لوصيته فإنه يلتزم كذلك إزاء والديه بالآداب التالية:

١ ـ طاعتهما في كل ما يأمران به، أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله تعالى، ومخالفة لشريعته، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولقوله تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً) لقمان:١٥ وقول الرسول ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»، وقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

٢ ـ توقيرهما وتعظيم شأنهما، وخفض جناح الذل لهما، وتكريمهما بالقول وبالفعل، فلا ينهرهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يمشي أمامهما، ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولداً، ولا يناديهما باسمهما، بل بيا أبي ويا أمي، ولا يسافر إلا بإذنهما ورضاهما.

٣ ـ برهما بكل ما تصل إليه يداه، وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان، كإطعامهما، وكسوتهما، وعلاج مرضهما، ودفع الأذى عنهما، وتقديم النفس فداء لهما.

٤ ـ صلة الرحم التي لا رحم له إلا من قبلهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.(١١)

ولا يظن ظان أنه إن التزم بكل ذلك يكون قد جازى والديه على ما أسديا إليه من المعروف، ذلك لأن فضل الوالدين على الإنسان أعظم من كل بر، وأكبر من كل إحسان، ولن يستطيع الإنسان مهما بذل أن يجازيهما على إحسانهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجزي ولدٌ والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»(١٢).

وقد رأى ابن عمر رجلاً حمل أمه على رقبته في الطواف فقال يا بن عمر: أتراني جازيتها؟ قال: «لا، ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً». ومن الوفاء ألا ينسى الإنسان المعروف، ولا يجحد الفضل، ومن كافأ على معروف أسدي إليه، وهو لا يزال يعد نفسه مقصّراً تجاه صاحبه كان أكثر الناس وفاء ومروءة، والولد المغمور بأفضال والديه حري أن يرى نفسه عاجزاً مقصّراً ومديناً ولو بلغ في البر أقصاه.

وللحديث بقية مع سورة لقمان والفوائد التربوية ■

الهوامش:

١ ـ راجع القرطبي ٥٠/١٤، وفتح القدير للشوكاني ٢٣٣/٤.

٢ ـ راجع تفسير الظلال للأديب الأريب سيد قطب ٢٧٨٠/٥٠.

٣ ـ القرطبي ٥٩/١٤، ابن كثير ٥٨٥/٣، الشوكاني فتح القدير ٢٣٧/٤.

٤ ـ راجع القرطبي ٦٢/١٤، ابن كثير ٥٨٧/٣، سيد قطب (الظلال) ٢٧٨٨/٥.

٥ ـ كتاب العقيدة المقرر في دار القرآن، الفصل الثاني/١٣٥ بتصرف.

٦، ٧، ٨ ـ متفق عليه.

٩ ـ رواه أبو داود.

١٠ ـ رواه مسلم.

١١ ـ منهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري (٩٢، ٩٣) بتصرف.

١٢ ـ رواه مسلم.

إعداد: محمد عباس محمد عرابي

دور المدرسة في تنمية الإبداع والابتكار لدى الأطفال

إن المدرسة لها أهمية واضحة في التشجيع على الإبداع، وتنميته أو التنفير منه وإعاقته، فهي تقدم للمتعلم خبرات متنوعة شاملة ومتكاملة من خلال المنهج المدرسي بمفهومه الواسع، والمتعلم يتلقى من هذه الخبرات المنظمة ما يعده للاستجابة بطريقة موجبة أو سالبة لخبرات حيوية مقبلة، ويتم تدريبه على تنظيم بعض وظائفه الحيوية، ويصحب التدريب جو وجداني خاص يغلب عليه الحب والتقبل والتشجيع أو عكس ذلك، ويتعلم من خلال هذه الخبرات التي تقدم له والتي يعايشها أنه متميز يمكنه السيطرة على وظائفه وأنه يمكنه إنجاز الخبرات وحل المشكلات، بل يتم تدريبه على إعادة التوافق مع ظروف الإحباط والفشل خلال محاولاته التوصل للحلول المناسبة، فالمدرسة باعتبارها بيئة نقية أوجدها المجتمع للتربية، والمنهج الدراسي باعتباره حياة المدرسة يتيح الفرص لحرية توجيه الأسئلة والاستفسارات ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال وتقبّل الخبرات الجديدة الوافدة من المنزل أو جماعات الأصدقاء بل تأييدها، ويتيح المنهج الدراسي الفرص أمام المتعلمين لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة

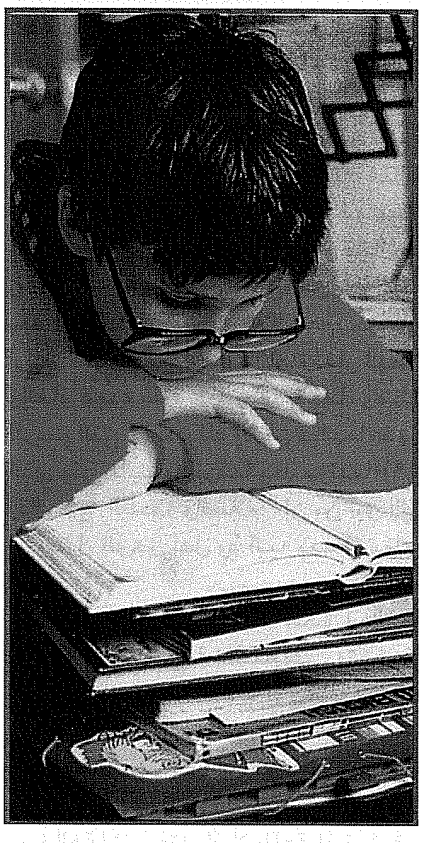

للتفكير، والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة، والإقدام نحو ما هو غير يقيني، وتفحص البيئة بحثاً عن الخبرات الجديدة، والمثابرة في الفحص والاستكشاف من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته. وهذا يعني أن المدرسة توفر سياقاً نفسياً اجتماعياً يراعى سمات الإبداع وينميها خلال عملية التربية، كما أنها تصاحب تلك التغيرات التكنولوجية والاجتماعية المتلاحقة المتسارعة بمحاولات للكشف عن ظروف تنمية إمكانات الإبداع لدى المتعلمين الفائقين. والمعلمون المبدعون يمثلون بدورهم عاملاً حاسماً في الأداء للمتعلمين من حيث كونهم نماذج للتوحد، ومن حيث استثارتهم لمواهب تلاميذهم ومحاولة تنمية هذه المواهب عن طريق تحقيق جو من التسامح والدفء العاطفي، ولما كانت المدرسة تمثل ثقافة جزئية للمجتمع إلا أنها تمثل ثقافة مؤثرة على الطفل في المراحل العمرية التي ينمو فيها معرفياً ووجدانياً ومهارياً، كما أن المدرسة تمثل جانباً مهماً من جوانب التربية في حياة الطفل، بل ربما هي كل التربية النظامية التي تؤثر فيه، وبالتالي فإن دور المدرسة في تنمية الإبداع والتأثير إيجابياً أو سلباً في القدرات الإبداعية هو دور أساس وجوهري.

ولا شك أن طرق ووسائل التعلم التي تمارس في المدرسة لها تأثيرها المباشر على خبرات التلاميذ واتجاهاتهم نحو عملية التعلم، وعملية التعلم كغيرها من العمليات العقلية العليا تتأثر بعوامل متعددة داخل البيئة التعليمية، كطريقة التدريس، ووسائل التقويم والعلاقات الجيدة المتبادلة بين المدرّس والطالب. وهذه العوامل مجتمعة كانت أو منفردة فإن لها أثرها المباشر في تشجيع وتنمية قدرات التفكير الابتكاري لدى الأطفال:

أ - طريقة التدريس: المعروف أن الطرق التقليدية للتعلم والتعليم تؤكد وتركز على أهمية التلقين والحفظ والتذكر، الذي يركز على جانب واحد من جوانب العمليات العقلية «الذاكرة» ويهمل بقية العمليات العقلية الأخرى. ولا نقصد هنا التقليل من أهمية الذاكرة، ولكن ينبغي أن ينصبَّ الاهتمام أيضاً على القدرات العقلية

الأخرى للإنسان كالقدرة على التحليل والتركيب، والتطبيق، والتقويم. وقد أشار «جيلفور» إلى أنه يجب أن نعطي التربية الانتباه الكافي، وفرص الممارسة لكل القدرات العقلية، لأن كل قدرة تستدعي طريقة خاصة لإشباعها، كما يستلزم ذلك مناهج، وطرق تدريس متنوعة، ووسائل تعليمية مختلفة لإنجاز أحسن وأفضل النتائج. وأشارت نتائج الدراسات إلى وجود علاقة بين طريقة التدريس وقدرات التفكير الابتكاري، وإلى أن الطلاب في المدارس غير التقليدية تحصلوا على درجات مرتفعة في اختبارات التفكير الابتكاري أفضل من أولئك الطلاب الذين يدرسون في المدرس التقليدية.

ب - التقويم: ينبغي أن نهيئ الفرصة للطلاب لأن يتعلموا ويفكروا ويكشفوا دون اللجوء إلى التقويم الذي يخشاه الطلاب، وإذا أردنا أن يفكر الأطفال بصورة مبتكرة، يجب أن نتعلم كيف نكافئ السلوك المبتكر، فنحن نكافئ الأطفال ليس من خلال الدرجات فقط، ولكن أيضاً من خلال أنواع السلوك التي نشجعها أو لا نشجعها، وبالطريقة التي نستجيب بها لاحتياجات حب الاستطلاع لدى الأطفال ولدى صغار الناس.

ج - العلاقة بين المدرّس والطالب: يشير «تورانس» إلى أهمية العلاقة الابتكارية بين الطالب والمدرّس، حيث يقول: «إن العلاقة الابتكارية بين المدرّس والطالب تتطلب الرغبة، أو الاستعداد لدى المدرّس بأن يجيز شيئاً ما، والذي بدوره يقود إلى شيء آخر. كما ينبغي على المدرّس أن يشارك مع الطفل في الخبرة المثيرة غير المعروفة. هذه العلاقة تشبه عملية التفكير الابتكاري، حيث من المحتمل أن المدرّس يعمل بجد لتكوين هذا النوع من العلاقة، ويكون متحمساً لها ويريدها، ولكن قد يفشل في ذلك، إلا أن العلاقة قد تحدث بعد ذلك فجأة. فيجب على المدرّس أن يكون جاهزاً لأن يتقبل هذه العلاقة عندما تحدث». ■

بقلم : منى السعيد مصطفى الشريف

بين جري الرحى

يقرر علماء النفس والاجتماع أن الإنسان كائن اجتماعي يؤثر في البيئة ويتأثر بها، وما البيئة إلا مجموعة الظروف والعلاقات الاجتماعية التي تحيط به، وأنا أرى أنا السعادة الزوجية والاستقرار العائلي هي أيضاً كائن يتأثر بالبيئة المحيط به، ولعل أهم ما يؤثر في هذا الكائن «السعادة الزوجية» هو علاقة كل من الزوجين بعائلة الآخر، ذاك أننا على الرغم مما طرأ على علاقاتنا الاجتماعية من تغيير. مازلنا نؤمن بأهمية الترابط العائلي ولو بشكل نظري عند البعض، بل إن معظم الزيجات في مجتمعنا تشكل عملية مصاهرة بين أسرة وأسرة في المقام الأول وليس بين الزوج والزوجة فحسب... والمشكلة تحدث عندما يقع الخلاف بين أحد الزوجين وعائلة الآخر، فيجد الزوج أو الزوجة نفسه بين حجري الرحى، لا يستطيع أن يرضي أحد الطرفين على حساب الآخر، وتكون المشكلة أكبر بالنسبة للمرأة فهي بطبيعة الحال في الموقف الأضعف، والزوج أحياناً ما ينظر إليها على أنها لابد أن تكون تابعة له وأن يكون ولاؤها الأوحد لزوجها وبيتها قبل أهلها، وقد يكون معه الحق في ذلك، فحق الرجل على زوجته من أكبر وأقدس الحقوق، وهي مطالبة بطاعته والعمل على راحته وإسعاده ولا أحد يمكن أن ينكر عليه هذا الحق... ولكن دعونا نتساءل وبصدق أليست تلك الزوجة هي ربيبة بيت أبيها؟ أيمكن أن تتنكر لعاطفتها نحو أهلها وتقابل إحسانهم بالجحود؟ ولو استطاعت أن تتحامل على نفسها لبعض الوقت إرضاء لزوجها فهل سيستمر هذا؟ وماذا ستكون نتيجة هذا الضغط النفسي؟ إنني سأسوق لكم تلك القصة التي قد نجد فيها الإجابة عن بعض التساؤلات، وقد يكون فيها العبرة والمثل لمن أراد أن يذكر واعتذر مقدماً لكل من تتشابه ظروفهم مع أحداث تلك القصة التي سأسوقها بإيجاز على لسان بطلتها حيث تقول «كانت حياتي تسير هادئة مستقرة. فأنا زوجة وأم، كل أملي أن أحقق السعادة والرعاية الكاملة لأسرتي - ولكن حياتي تبدّلت واكفهرّت سمائي وعصفت الريح بسعادتي عندما دبّ الخلاف بين زوجي وأبي... وصل الأمر إلى حد القطيعة... كنت في حيرة ممزقة بين الإثنين لا أعرف كيف أتصرف؟ فإرضائي لأحدهم سيغضب الآخر، وبدأ زوجي يطالبني بل يأمرني بمقاطعة أهلي وعدم زيارة والدي وأسرتي... وبعد محاولات وتوسلات صرّح لي بزيارتهم على أن يستمر هو في مقاطعتهم نهائياً، وتنفست الصعداء لهذا التحسن الطفيف ومنيت نفسي أني سأكون حمامة السلام بينهما حتى ينتهي هذا الأمر. فكنت أحاول تخفيف حدة الخلاف بينهما، فأتحمل ثورة أبي عندما أفاتحه في أمر المصالحة مع زوجي، وأتحمل كلمات زوجي اللاذعة عن أبي كلما ذكرته أمامه دون أن يقدر أن هذا الرجل ومهما كان رأيه فيه هو والدي الذي لا أستطيع أن أتنكر لحبي له. واستمر الحال على هذا المنوال فترة طويلة وقلبي يعتصر ألماً وأنا أرى القطيعة تزيد حدة الخلاف بينهما... حتى كان ذلك اليوم الذي رجوت فيه زوجي بل توسلت إليه بكل التوسلات أن يلبي طلبي بحضور عقد قران شقيقتي الصغرى ولو لبضع دقائق. للمحافظة على مظهرنا أمام الناس على الأقل. فما كان منه إلا أن انهال عليَّ بكلماته اللاذعة ولم أكن لأتحمل أكثر من ذلك فانفجرت ثورتي وغضبي واشتد الحوار بيننا ولم يقطعه غير جرس باب منزلي، ذهبت لأعرف من الطارق فإذا به أبي ولا أعرف حتى الآن أي شيطان أتى به في هذه اللحظة بالذات؟ كنت في شدة الغضب وكان وجهي ينبئ عما بداخلي - وسألني أبي ما الأمر؟... والغضب ريح تطفئ

سراج الحكمة.

فاندفعت دون وعي أحكي له كل ما دار بيني وبين زوجي وكل كلمة قالها زوجي عنه، واشتعل الموقف بينهما ووجدتني في أقل من ربع ساعة «مطلقة» وقعت عليَّ الكلمة كالصاعقة، ارتميت على الكرسي في ذهول ثم انفجرت في نوبة بكاء هستيري. ونظر إليَّ زوجي وكأنه أفاق من غفوة وشعرت أن جدران المنزل قد انهارت على رأسي. وحملت أمتعتي وأولادي عائدة إلى بيت أبي... تحول العرس إلى مأتم وبقيت وحدي أتجرع كأس حسرتي وألمي حتى الثمالة، إنها لحظات فقدت عقلي وحلمي فضاع كل شيء أنا أعلم أنني أخطأت وقد يكون زوجي أيضاً أخطأ ولكن بماذا يفيد الندم؟ وبدأ الأمل يدب في حياتي من جديد عندما حاول زوجي مراجعتي ولكن والدي رفض ذلك وهدد بمقاطعتي إذا فكرت في هذا الأمر، وعدت أدور وأغرق في بحر حيرتي من جديد فإما أن أحرم من زوجي وبيتي وأحرم أبنائي من أبيهم وإما غضب أبي ومقاطعته لي... أمران أهونهما الجحيم فماذا ومن يرفق بي؟».

وبعد عزيزي القارئ، ألا ترى أن قليلاً من الرفق... قليلاً من التسامح كان يمكن أن يبدل الأمر وينقذ تلك المرأة المسكينة وأسرتها. ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت:٣٤. ويقول رسوله - صلى الله عليه وسلم - «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» رواه البخاري، فكيف نتخلى عن تلك الصفة إلى الحد الذي يصل بنا إلى تعذيب أقرب الناس إلينا وتمزيق أقوى العلاقات الإنسانية... ولعل مرور الوقت ووساطة بعض المخلصين يمكن أن يسكن من ثورة الأب ويجعله يفكر بعقلانية في مصير ابنته وأطفالها، ويسمح لها بمواصلة حياتها مع زوجها، ولكن على الرغم من هذا، فإن ما حدث سيكون له أثر في العلاقة التي تجمع بينهم، فلا شك أن تلك الحوادث قد تسببت في شرخ تلك العلاقة، مما يحتاج إلى وقت وجهد عظيم لإصلاحه، لقد كان يمكن أن نتجنب كل هذا لو أننا تعلمنا كيف نحطّم صرح عنادنا في الوقت المناسب، ونعود إلى تسامحنا وودنا قبل فوات الأوان، أن قليلاً من اللين والسماحة لن يضر بكرامتنا ولكنه يمكن أن يوفر علينا الكثير من المتاعب التي قد نسببها لأنفسنا وللآخرين. ■

بقلم : أشرف سعد

الشجار بين الأطفال أسبابه وعلاجه

شجار الأطفال وبخاصة الأخوة أمر طبيعي فالطفل الأكبر كثيراً ما يحاول السيطرة على باقي إخوته فيتشجارون، والأولاد عادة يحاولون السيطرة على أخواتهم البنات، وكثيراً ما يتشاجر الأطفال لامتلاك بعض اللعب أو الأشياء بالمنزل، وكثيراً ما يتجه بعض الاخوة ضد أخيهم المدلل إذا كان مقرباً للوالدين لصغر سنه أو لوسامته أو لمرضه ويكون هذا هو السبب للشجار.

ماذا يفعل الآباء عند تشاجر الأطفال؟

عادة ما يضيق الآباء بمشاجرات أبنائهم لما يحدثونه من ضوضاء في المنزل لأنهم يشغلون الآباء عن القيام بعملهم فيثورون عليهم وقد يلجأون إلى أسلوب عنيف لوضع حد للمشاجرات كالضرب أو التعنيف وهذا الأسلوب خاطئ تربوياً. ومن الخطأ أن يتصور الآباء أن الأبناء يتصرفون بتفكير الكبار الناضج.

أسباب الشجار بين الإخوة:

الغيرة وهي شعور مؤلم يدب في نفس الطفل عندما نفضل أخاه عليه أو نميزه نتيجة لمرضه أو لتفوقه، ويظهر الشجار نتيجة للشعور باضطهاد الأولاد الكبار، لذلك يجب عدم المبالغة في رعاية أي طفل من الأولاد وتمييزه عن طفل آخر، بل يجب أن تمتد الرعاية إلى كل الأبناء في

وقت واحد. كذلك الخلافات الأسرية ثبت أنها تؤثر إلى حد كبير على نمو الجوانب الانفعالية عند الطفل، كما تسبب الاضرابات النفسية كذلك اضطراب علاقة الأب بأبنائه لأن القسوة والإهمال وانشغال الوالد في عمله إلى حد كبير يؤدي إلى فقد العلاقة الحميمة بينه وبين أبنائه فيبدأ الشجار بينهم لفقدهم مثلهم الأعلى.

وللشجار فوائد إذا تصرف الآباء بحكمه فشجار الأطفال هو أحد وسائل إثبات الذات والسيطرة وكلاهما من الصفات اللازمة لنجاح الإنسان في الحياة والشجار فرصة ليتعلم فيه الطفل كثيراً من الخبرات مثل وجوب احترام حقوق الغير، والعدل، والحق، ومعنى الصدق والكذب هذا إذا عنى الآباء والمربون إلى انتهاز مناسبات شجار الأطفال ووجهوهم الوجهة التربوية السليمة.

علاج المشاجرات بين الإخوة:

١ ـ يجب أن يكون تدخل الآباء مرناً وبأسلوب التوجيه وليس بالقسوة والعنف لأن الطاعة العمياء لمجرد الطاعة تخلق من الطفل فرداً لا شخصية له، كذلك يجب الإقلال من التدخل في أعمال الأطفال والحد من حركتهم حتى لا يشعروا بكابوس الكبار ويثوروا غضباً وتزداد نوبات الشجار بينهم.

٢ ـ عند تشاجر الأطفال ممن هم في سن متقاربة يحسن تركهم ما أمكن ليحلوا مشاكلهم بأنفسهم وإذا تدخل الكبار يكون ذلك للتوجيه دون التحيز لأحدهما.

٣ ـ يجب مساعدة الأطفال بقدر الإمكان على تحقيق رغباتهم المشروعة في التنفيس عن مشاعرهم المكبوتة وذلك بتحويل نشاط الأطفال بعيداً عن المشاجرات بشغل أوقات فراغهم باللعب النافع أو الرسم الموجه. لأن هذه الأنشطة تنفس الكبت الموجود داخل الأطفال وتكسبهم خبرات جديدة كما تساعدهم في حل مشكلاتهم في المستقبل.

٤ ـ يجب دراسة علاقة الأطفال بالأسرة وأسلوب التربية الذي يعامل به الأطفال في المنزل والمدرسة لتكوين فكرة صحيحة عنهم.

٥ ـ على الآباء ألا يستخدموا عصبيتهم وثورتهم لأتفه الأسباب بل يعملوا جاهدين لضبط النفس قدر الإمكان عند مشاجرة الأبناء فالطفل السوي هو الذي ينشأ في منزل يسوده الحب والانشراح والود والتسامح، فكلما شعر الطفل بالاستقرار والهدوء النفسي كلما وجه نشاطه وطاقته وحيويته بشكل سليم وتغلب على غضبه وضغطه العصبي المؤدي إلى التشاجر. ■

خاطرة

بقلم : ميسون صافي

حينما كنت طفلة

كانت المحبة غصناً أخضر يعرش من دفء القلوب ليلتقي هناك مع صفحة السماء...

تحية الصباح يتبادلها الناس في طريقهم إلى أعمالهم... «السلام عليكم» تحمل البشر والرضا فإذا المدينة نهار مؤرج بالحب والمودة.

وكان «بائع الحلوى» يعمل بإتقان وحماس وابتسام في حيّنا... ما ألذ طبق الحمص إلى جانب البصل والشاي والجمع الجميل واللمة الحلوة، تمتد إليه أيد نظيفة بشوق وروية.

ضحكة الطفولة كانت دليلي السياحي الممتع إلى دروب لا تزيغ فيه العينان ولا تضطرب منه خفقات القلب ولا تتعثر القدمان.

وحينما كنت طفلة كانت أمي تخفي جمالها عن غير أبي وحينما سألتها يوماً لِمَ تفعلين ذلك... كانت تجيب بكلمات تشعُّ بالزنابق والأقحوان «جمالي لبيتي وأنا ملكته... وجمال دعواتي لأهل مدينتي ولأهل الأرض كي يعيشوا بسلام وأمان».

واليوم تبدل الحال بغير الحال... نرى الطيش ينتشر باسم الحركة والمرونة وعصر السرعة، والأنانية تدعى استقلالاً في الشخصية، والبخل صار اسمه حرصاً والحرص واجب في كل الأحوال، والعري له مسابقات ومؤتمرات وجوائز وعروش، والغريزة تدعى حرية الإنسان.

لكن على الرغم من هذا السراب المتسربل بالعتمة! يبدو الطارق الثاقب في لياليا يرشّ النور والضياء في الكون.

لابدّ أن يعلو الحق مرّة أخرى، ويعيد التاريخ نفسه، وينتصر النور على الظلام والعدل على الظلم، والريح تغلبه السفين، وإن الله سبحانه وتعالى مع القلوب الخافقة المسبِّحة بحمده والمقدِّسة له. ■

بقلم: حسين سباهي - جواس محمود

سيكولوجية القلق عند الكبار والصغار

الإنسان منذ ولادته يتأثر بعوامل خارجية تسبب له انعكاسات داخلية باعتباره يمتلك مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، فعملية التداخل والتبادل بين هذه الأحاسيس والمشاعر والمسببات الخارجية قد تولّد لديه حالات من الخوف والقلق، ومع أن القلق الخفيف - في عصر نتعرض فيه للمنغصات كل يوم - مفيد للإنسان لأنه كالضوء الأحمر الذي ينبّه، إلا أن الإفراط بهذا القلق يجعل الأمور صعبة للغاية، والحقيقة أن القلق ليس شيئاً طارئاً على بني البشر فهم لايزالون يعانونه منذ أقدم عصور التاريخ إلا أن القلق الذي يستحوذ على أبناء القرن العشرين قد فاق الأولين والآخرين، والقلق ظاهرة عامة في حياتنا كما هي في عيادات الأطباء وهو - كظاهرة - لا تعني الأطباء وحدهم، بل جميع المشتغلين بالعلوم الإنسانية ومنهم رجال الدين، ولقد ذهب البعض في تفسير القلق على أنه «الغُرم الذي يتكلفه المرء ثمناً لإرادته الحرة» وتجدر الإشارة إلى أن الأطباء قد أخذوا كلمة القلق عن اللاتينية ومعناها «ضيق واضطراب»، والقلق في المفهوم الطبي مدلول له أكثر من جانب فهو ظاهرة طبيعية، ومشكلة أحياناً، ومرض أحياناً أخرى.

يعرّف القلق بأنه اضطراب يصيب الشخص أي أنه حال نفسية على شكل توتر يعتور الفرد حين شعوره بوجود خطر يتهدده، ويصاحب هذا التوتر اضطرابات فسيولوجية مختلفة، ويعرفه الدكتور عبدالرؤوف ثابت على الوجه التالي:

أولاً: القلق انفعال غير محبب إلى النفس أو محتمل ولو أننا كثيراً ما نتطلبه ونحتاجه إذ يثير البعض في نفوسهم عندما يتبارون على رياضة خطرة، يتساوى في ذلك اللاعبون والنظارة الذين يذهبون للاستمتاع بمشاهدة اللعب، وكلنا يعرف وقع الإثارة في نفوسنا عند مشاهدة «فيلم» مشوق أو المسلسلات التلفازية - بعد نشرة الأخبار - أو سماع الحوادث المخيفة عند الأطفال.

ثانياً: القلق انفعال لاحق أي متعلق بما سيحدث مستقبلاً على عكس الانفعالات «الماضية» مثل الندم والشعور بالذنب.

ثالثاً: للقلق مسميات متشابهة مترادفة مثل الضيق - الاضطراب - الكرب - الغم - الخشية - الجزع - الذعر - إلى غيرها من «لغة الانفعالات».

الإنسان القلق: عندما نصف إنساناً ما بأنه «قلق» فإنما نعني بذلك أن القلق من مقوِّمات شخصية، وذوو الطبيعة القلقة لا يشكون عادة من قلقهم بحد ذاته، وإن كانوا أكثر استعداداً للإصابة بنوبات القلق الحاد، أو ما يمكن التعبير عنه بأنهم اكتسبوا «مناعة قلقية» والإنسان القلق يتعلم من خبرته في الحياة كيف يتفادى المؤثرات المقلقة، وبهذا يمكنه أن يحفظ عليه هدوءه النسبي، ويمكننا قياس الاستعداد القلقي بوساطة الاختبارات النفسية التي تساعدنا على دقة التشخيص النفسي ومنها على سبيل المثال: «ايزنك» EYSENCK.

أنواع القلق: يميز د.دافيد.ف شيهان بين نوعين من القلق هما:

١ - القلق خارجي المنشأ: أو القلق المستثار وهو ردة الفعل الفورية على مثير خارجي «الضغط من الخارج» عندما يتهدد أمن وسلامة الإنسان «مثال ذلك»، أن يصوب لص مسدساً إلى رأسه، فشل كوابح أو فرامل السيارة التي يسوقها «الإنسان» توقع هجوم من شخص معاد له... إلخ.

٢ - القلق داخلي المنشأ: وهو الذي ينبع من ذات الإنسان نتيجة اضطرابات داخلية وشعور بعدم الاستقرار، ويوصف هذا القلق بـ«القلق من لا شيء» ويبدو أن ضحايا هذا القلق قد ولدوا باستعداد وراثي له وهو يبدأ عادة بنوبات من القلق «مرضية» تداهم المصابين فجأة دون انذار أو سبب ظاهر معروف.

الإصابة بمرض القلق: يشير الباحثون إلى أن نحو ٥٪ من السكان يصابون بمرض القلق في أي وقت بعينه، وهو يصيب ١٪ تقريباً إلى درجة العجز وأغلب المصابين به

٨٠٪ من النساء والأغلبية من هؤلاء في سنوات القدرة على الإنجاب، ولعل سبب ارتفاع نسبة الإصابة بين النساء هو تعرضهن لضغوط ينفرد بها مجتمعنا والدور التقليدي للمرأة كربة منزل، إن القلق داخلي المنشأ يظهر في أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الثالث، ونادراً ما يبدأ المرض قبل سن الخامسة عشرة أو بعد سن الخامسة والثلاثين.

أعراض القلق: لا شك أن الانفعالات والصداعات النفسية الداخلية عند الإنسان تتبدى من خلال ملامح الوجه ولهذا فالوجه من أكثر الدلالات على وجود الخوف أو القلق ويمكن ذكر أعراض القلق وهي:

- فقدان التوازن والأرجل الرخوة الهلامية.
- صعوبة التنفس، جفاف الحلق مع شعور بالاختناق.
- خفقان في القلب.
- آلام الصدر والضغط عليه.
- شعور بالوهن أو الضعف أو دوخة .
- التنميل والخدر.
- توهج الحرارة أو الهبوب الساخن - أي الإحساس بتوهجات حرارية تسري في جسم الإنسان القلق.
- الغثيان.

علاج القلق: يمكن أن يتخذ علاج القلق أحد أو كل الحلول والإجراءات التالية:

أ - التكيف مع القلق: يمكن للإنسان أن يوظف قلقه لخدمته بما يلي:

١ - إذا كنت كثير القلق فخصص من وقتك نصف ساعة في اليوم للتركيز على مشاعر القلق وحاول أن تنسى أسباب القلق خارج هذا الوقت المحدد إذ إن ذلك التحديد الضيق يضيّق الخناق على القلق ويمنعه من تدمير سائر يومك، فإذا وجدت أن القلق قد أخذ يتسرب إلى نفسك فانصرف إلى ممارسة شيء ينسيك القلق وأسبابه كالرياضة والمطالعة أو السياحة أو العمل.

٢ - دوّن أسباب قلقك في مفكرة خاصة واكتب مسودات حلول مهما بدت غير مجدية كثيراً، اختر ما تراه أنسب منها وحاول تطبيقه.

٣ - عندما يداهمك أو يوشك أن يداهمك القلق فتخيّل أسوأ عواقب ما أنت مقدم عليه كالفصل عن العمل بسبب التأخير حتى إذا لم تفصل فإن عقوبة التأخير تأتي خفيفة.

٤ - المعرفة هي القوة - كما يقول فرنسيس بيكون إذا أقلقك شيء ما فحاول أن تفهمه وتتأكد من وجوده قبل أن يلتهمك القلق.

٥ - شارك أقرباءك وأصحابك وأصدقاءك وذويك في قلقك أي بح بما يعتمل في نفسك من حالات الخوف والاضطراب والقلق لمن تجده يستمع إليك وترتاح في بثّ معاناتك إليه والاستماع منه إلى الحلول التي يقدمها لك عندها تخف حالة القلق التي كانت موجودة لديك مهما كانت ثقيلة.

ب - استراتيجية علاج القلق: يمكن تحديد الاستراتيجية الإجمالية في علاج مريض القلق في خمس مهمات.

١ - المهمة الأولى: هي الوصول إلى التشخيص الصحيح.

٢ - المهمة الثانية: هي السيطرة على الأساس الآيل للمرض عن طريق العلاج بالدواء.

٣ - المهمة الثالثة: أن تتغلّب على القيود التي تفرضها «الفوبيا» أو المخاوف المرضية بوساطة العلاج السلوكي.

٤ - المهمة الرابعة: أن تتناول المشكلات النفسية عن طريق العلاج النفسي.

٥ - المهمة الخامسة: أن تمنع النكسات عن طريق توعية المريض وضمان الرعاية على المدى الطويل.

ج - حلول علاجية أخرى: هذا وبالإضافة إلى ما تمّ ذكره فإنه في حال العلاج النفسي يمكن أن نشير إلى بعض الحلول العلاجية الأخرى.

١ - العلاج الأخضر: أن يذهب المريض إلى الحدائق والبساتين وأماكن الخضرة، لأن اللون الأخضر مريح للأعصاب وملطف للنفس ومخفف للتوترات العصبية، فالذهاب إلى الأماكن المذكورة له أثر كبير في تحسين حال المريض العلاجية ويسمّى هذا العلاج بـ«العلاج الأخضر».

٢ - العلاج المائي: أن يذهب المريض إلى التنزه والارتحال إلى البحار، وإلى جانب الأنهار والينابيع، والسباحة في البحر أو النهر، من شأن ذلك أن يسهم في تخفيف حال القلق، كما أن التحمم بالماء الساخن له دور في إزالة حالة القلق التي تنتاب المريض لأن العلماء والباحثين يؤكدون أن الاستحمام بالماء يؤدي إلى تفريغ الشحنات الكهربائية العصبية التي تكونت في جسم الإنسان نتيجة مؤثرات داخلية وخارجية عدة.

٣ - العلاج القرآني: قراءة القرآن أو الاستماع إليه مفيد جداً للإنسان فالقرآن يغرس الطمأنينة في القلب ويخفف التوترات العصبية ويزيده إيماناً وصبراً على الشدائد، ويكفي أنه نازل من عند الله جل وعلا فكيف لا يسهم في علاج المريض.

٤ - العلاج الموسيقي: للموسيقى دور كبير في إراحة النفس، وتلطيف أجوائها، فهي تهدّس الأعصاب، وتمنح الدماغ راحة جميلة تبثّ فيه عوالم الخيال الهادئة وتجعله يستسلم لحالات رومانسية بديعة.

٥ - العلاج الفني: اللوحات التشكيلية والطبيعية للرسامين المبدعين والصور الجميلة لبعض الفنانين تسهم في علاج القلق والتخفيف من حدوثه نتيجة لما تبثه في نفس الإنسان من عوالم الروح والخيال الجميلة، ونتيجة لما تجسّده من معاناة الإنسان فيجد الإنسان معاناته وقد تم التعبير عنها من خلال لوحة معبرة وجميلة.

٦ - العلاج الطفلي: يمكن أن يسهم اللعب والسمر مع الأطفال في علاج القلق فعالم الأطفال عالم مفرح وجميل وصادق وبريء ويحتاج الإنسان إلى ممارسة براءته مع هؤلاء الأطفال الذين هم كالعصافير الصغيرة ينشرون الدفء والحيوية والجمال في أنحاء البيت كافة فلماذا لا يستمتع الإنسان القلق وغير القلق مع هذا العالم الجميل والرائع عالم «الطفولة».

وما دمنا تطرقنا - أعلاه - إلى الأطفال واللعب معهم كعلاج للكبار لكن كيف تكون الحال عندما يكون الصغار هم القلقون عندها يختلف الأمر لذا لابد من تحديد حال القلق عند الأطفال، وللقلق عند الأطفال أسباب عدة منها:

١ - أسباب وراثية وفسيولوجية: هناك بعض الأطفال الذين يصابون بالقلق نتيجة

استعداد وراثي فلقد بيَّنت الدراسات على أن التوائم تتشابه في الجهاز العصبي، وهناك المتشابهة في الاستجابة للمنبهات الخارجية والداخلية، ودلَّت دراسات أجريت لعائلات أن ما نسبته ١٥٪ من آباء وأخوة مرضى القلق يعانون من المرض نفسه مما يدل على إمكان تأثير الأطفال بالقلق الذي يصيب ذويهم.

٢ ـ أسباب نفسيه: هناك تعدد واختلاف في تحديد الأسباب النفسية للقلق عند الأطفال يرى مورر أن القلق ناتج عن أفعال ارتكبها الإنسان فعلاً ولم يرض عنها، وأن القلق يمثل عدم شعور الطفل داخلياً بالأمن وينجم هذا أحياناً عن النقد المستمر من قبل الراشدين والزملاء، وللإحباط الزائد أثر كبير في تكوين القلق عند الأطفال، كما يرى العالم أوتورانك أن القلق ينشأ عن صدمة الميلاد لدى الطفل نتيجة انتقاله من مكان ينعم فيه بالدفء والعادة إلى عالم مليء بالمثيرات المزعجة، والعالمة هورني ترى أن القلق الأساس في الطفولة ينشأ عن كبت الطفل لرغباته العدائية نحو والديه، ويعبر عن ذلك الشعور بسرعة اعتراضية وميله للتخريب.

٣ ـ أسباب بيئية واجتماعية: دلَّت الدراسات أن الآباء القلقين يكون أبناؤهم قلقين أيضاً، وهذا يؤشر إلى أن الأطفال الذين يعيشون في بيئات تتسم بالحرمات وغياب الأمن والطمأنينة، وسيادة الإحباط، يكونون أكثر عرضة للقلق من أقرانهم الذين يعيشون في بيئات مريحة ومطمئنة وغير قامعة لرغباتهم، ويشير «كاغان» إلى أن عدم وجود نموذج ذكري أبوي واضح يتطابق معه الطفل يعرقل تطابق البعد الجنسي، ويكون ذلك سبباً في نشأة القلق.

علاج القلق عند الطفل: يمكن أن يُعالج الطفل طبياً أو نفسياً.

العلاج الطبي: يحدده الطبيب، ويتم اللجوء إليه في حال القلق الشديد عند الأطفال ويتم استخدام بعض العقاقير المهدئة للأعصاب.

العلاج النفسي: يستند إلى مجموعة من الخطوات والإجراءات اللازمة لإخراج الطفل من دائرة القلق والتخفيف عنه والترويح عنه، ويمكن أن يحصل ذلك بمجموعة من التدابير.

١ ـ تدريب الطفل وتعليمه على فهم ووعي المشكلات التي تعترضه ومواجهتها إذ إن فهم الطفل لأسباب حدوث بعض الأشياء من شأنه أن يخفف من حال القلق التي تتكون لديه، وعلينا أن نعلّمه أن الفشل أفضل من عدم المحاولة لأن الفشل مرة واحدة وثانية وثالثة لا يعني الفشل دائماً وإنما يمكن النجاح بالاستمرار والمواظبة ودوام المثابرة.

٢ ـ علينا أن نشعِر الأطفال بالراحة والاطمئنان دائماً بتوفير أجواء هادئة ومريحة بعيدة عن الخوف والقلق، وعلينا أن نذكر الأطفال بشكل مستمر بأن هناك الكثير من المشكلات في الحياة ويجب التعامل معها أو توقعها على الأقل ومن ثمَّ نسيانها.

٣ ـ تشجيع الأطفال على أن يعبروا عن انفعالاتهم ومشاعرهم إن تعبير الأطفال عن انفعالاتهم من شأنه أن يخفف حال القلق لديهم ومن شأنه أن يسهم في إزالة القلق لأن القلق ينتج عن كبح الانفعالات الداخلية فعندما يفسح المجال للتعبير عنها، فإن مبرر القلق لايوجد أو يقل إلى درجة كبيرة، لأن الطفل يقوم بتفريغ الشحنات الانفعالية المتراكمة في أعماقه، ويمكن أن يسهم اللعب في التعبير عن انفعالاته، وبالتالي في تخفيف توتر الطفل وقلقه.

٤ ـ تشجيع الطفل على الاسترخاء والهدوء، وعملية التخيل الإيجابي خصوصا حالات قبل النوم، إذ كثيراً ما يقول الطفل لوالده أو لوالدته أنني لا أستطيع النوم، فعلى الأب أو الأم تشجيعه على تخيل أشياء جميلة وإيجابية ما يدفعه إلى حالات رومانسية حالمة جميلة تجعله يهدأ، ومن ثمَّ ينام مرتاحاً.

٥ ـ يمكن أن يخفف الطفل من قلقه بالقراءة والمطالعة والذهاب للحدائق والمتنزهات وأماكن الألعاب والمسارح وشواطئ البحار، والطبيعة الجميلة كالأنهار والجبال والأماكن الفسيحة المشعبة فكلها فاعليات ممتعة مضادة للقلق.

الخاتمة: وأخيراً، يمكن القول إن القلق متعدد الجوانب ـ كما تدل الدراسات الحديثة ـ فنحن قد تقلقنا أعمالنا أو أوضاعنا المالية، أو أحوالنا العاطفية أو الأسرية وقد تهمنا خبراتنا الاجتماية وشؤون صحتنا ومستقبلنا، ولايفوتنا أن نهتم بما يجري حولنا من أحداث العالم «الاقتصادية والبيئية والسياسية والعلمية»، وهذا الاهتمام غير قاصر على الأوضاع والمواقف وإنما يتباين مع العمر أيضاً ففي ميعة الصبا وعمر المراهقة يكون اهتمامنا منصرفاً إلى حد كبير على الصورة التي نستطيع رسمها في المجتمع، وعندما نتوغّل في العمر يتحول اهتمامنا إلى الأمور الاقتصادية والاجتماعية فالوالدان ـ مثلاً ـ يظلان في هم مقيم على أولادهما «أوضاعهم الدراسية والتعليمية والأقران» إذ إنهما يخشيان عليهم من شرور الأشرار من حولهم «رفاق السوء» ومن خطر اتباعهم عادات سيئة مثل «الإدمان، الإهمال الدراسي، المكوث أمام التلفاز ساعات طويلة جداً... إلخ». ■

المراجع:

١ ـ «مرض القلق» تأليف د.دافيد ف شيهان ـ ترجمة د. عزت شعلان مراجعة د.أحمد عبدالعزيز سلامة ـ عالم المعرفة الكويتية «نيسان» ١٩٨٨م ص١٧، ٢٠، ٢٥، ١٣٤.

٢ ـ نصرة سليمان أبو زايد «القلق عند الأطفال» المجلة الثقافية «الأردن» العدد ٤٠ سنة ١٩٩٧م ص ٣٠٠.

٣ ـ د.عبدالرؤوف ثابت «القلق» مجلة العربي العدد ٢٤٨ يوليو ١٩٩٧م ص ١٣٠.

٤ ـ نعيم الرفاعي «الصحة النفسية» دراسة في سيكولوجية التكيف ط٦ جامعة دمشق سنة ١٩٨٢م ص ٢٠٠.

٥ ـ أحمد الزعبي «الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال، دار الحكمة اليمانية صنعاء ١٩٩٤م ص ٥١.

٦ ـ سامي محمد «القلق أسبابه وعلاجه» المركز العربي للنشر ـ الإسكندرية ص٥٣، نقلاً عن المجلة الثقافية الأردنية ـ مصدر سابق مذكور.

٧ ـ مجلة «طبيبك» مقالة بعنوان «القلق شيء منه مفيد» نيسان ١٩٩٥م العدد ٤٤٤، ص ٧٠.

إعداد: د. محمد مصطفى السمري

من أمراض الأطفال :

السعال الديكي

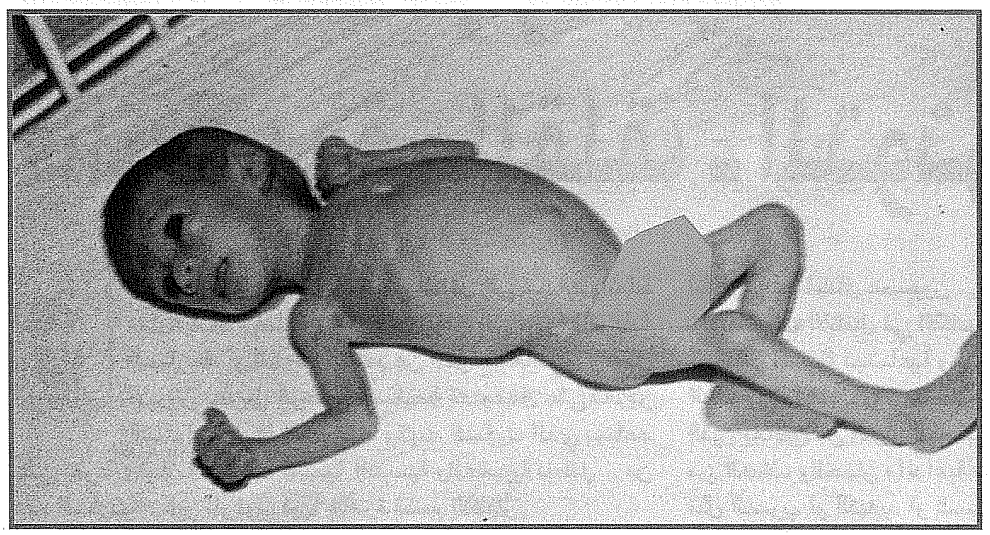

السعال الديكي مرض معدٍ يصيب الجهاز التنفسي عند الأطفال ابتداء من سن الرضاعة وحتى سبع سنوات، ويشكل خطورة بالغة على حياة الأطفال وبخاصة الرضع منهم. ويتميز بنوع خاص من السعال التقلصي الذي ينتهي عادة بشهقة مميزة تشبه شهقة الديك والتي بسببها سمي هذا المرض بالسعال الديكي.

وتحدث العدوى عن طريق الرذاذ الذي يخرج من أنف وفم الطفل المريض وقت السعال أو العطس، أو استعمال أدوات المريض مثل المناشف أو المناديل أو اللعب... إلخ. ويلعب اختلاط الأطفال في المدارس دوراً مهماً في إنشاء المرض.

أعراضه :

تمر أعراض السعال الديكي بثلاثة أدوار:

١ ـ الدور الزكامي (١-٢ أسبوع): وأعراضه تشبه أعراض الزكام، حيث يبدأ بسعال خفيف وبخاصة باليل، مع رشح وعطس وسيلان دموع العينين وارتفاع بسيط في درجة الحرارة.

٢ ـ دور النوبات (٢-٦ أسابيع): وفيه تزداد نوبات السعال في عددها وحدتها، حيث تبدأ النوبة بحركة شهيق تشنجية تعقبها سلسلة طويلة من السعال، وتنتهي هذه النوبة ـ فجأة ـ بتلك الشهقة المميزة للمرض، وقد يصل عدد النوبات إلى نحو ٤٠ مرة في اليوم، وتستمر النوبة بين دقيقتين إلى ثلاث دقائق.

٣ ـ دور النقاهة: وفيه تقل حدة نوبات السعال، ويقل عددها تدريجياً حتى تختفي في نحو ٤ أسابيع.

المضاعفات :

بالإضافة إلى هذه الأعراض القاسية ومدة المرض الطويلة، هناك مضاعفات كثيرة وخطيرة منها: الالتهاب الرئوي الشُعَبي، التهاب الأذن الوسطى، تنشيط بؤرة الدرن الملتئمة، الجفاف نتيجة تكرار القيء... وغيرها.

الوقاية والعلاج :

ويجب على كل أم أن تطعّم طفلها بالطعم الثلاثي الواقي من السعال الديكي والدفتيريا والتيتانوس. وعند ظهور أعراض المرض على الطفل يجب أن يُعزل عن إخوته ويُمنع من الذهاب إلى المدرسة، حيث ترتفع درجة العدوى بهذا المرض منذ بدايته وحتى ظهور الشهقة المميزة له.

العلاج :

فيقوم الطبيب بوصف بعض الأدوية التي تعمل على إقلال عدد النوبات ومنع حدوث المضاعفات، ويجب على الأم الاهتمام بتغذية طفلها بمقادير صغيرة من الطعام وعلى فترات متقاربة (٦-٨ وجبات يومياً). وفي حال حدوث القيء في أثناء الأكل يُعطى الطفل وجبة أخرى. ■

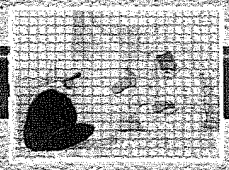

بقلم: عادة عدلي الشافعي

قضم الأظافر وثلاثية «العصبية ـ القلق ـ التوتر»

يؤدي القلق والتوتر النفسي للطفل إلى عادات وأنماط سلوكية قد تختلف وتتنوع من طفل إلى آخر. فالرعاية الصارمة، أو الخوف الناجم عن النزاع العائلي، أو جهل الأبوين بطريق الرعاية السليمة قد يعمل على تعزيز السلوك غير المرغوب فيه، وكبت السلوك الذي يساعد على سرعة وسلامة عمليات التنمية النفسية والعضوية للطفل... من هذه السلوكيات غير المرغوب فيها ظاهرة قضم الأظفار.

الأسباب:

لا نعرف السبب الذي هو وراء قضم بعض أطفالنا لأظفارهم وما تحمله هذه الظاهرة من مظهر غير لائق، وقد تاهت منا الوسيلة في كيفية البقاء على تلك العادة التي تسبب تشوهات بالأظفار والأصابع... فلا ضرب يجدي، ولا توجيه يُسمع في مثل هذه الحال، وقد تستمر هذه الحال السيئة حتى الكبر.

التشخيص والعلاج:

يقول د.فاروق لطيف ـ أستاذ الطب النفسي في كلية طب عين شمس ـ إن مشكلة قضم الأظافر منتشرة وتظهر مع الشعور بالقلق وعدم الأمان ومثلها شد شعر الرأس وتحدث في الفترات التي تحدث بها تغيرات في مرحلة النمو أو عند دخول الطفل المدرسة أو الانتقال من مدرسة إلى أخرى، وهي قد تكون ناجمة عن تقليد الطفل لطفل آخر، أو كبديل للمقصر، أو بسبب الخجل أو في المواقف الصعبة».

على أن أغلب من يقضمون أظفارهم هم أطفال عصبيون... وهذا ما يؤكده الدكتور فاروق وصفي ـ أستاذ طب الأطفال في الأكاديمية الطبية ـ أن عادة قضم الأظفار من العادات السيئة اجتماعياً وصحياً وتعتبر ظاهرة للتفريغ عن التوتر العصبي والقلق، وهي منتشرة بين الأطفال الصغار وحتى الكبار الذين يعانون من التوتر العصبي فتظهر عند الصغير نتيجة لحرمانه من العطف والحنان والمداعبة من الكبار أو استخدام العنف معهم مثل الضرب أو التهديد أو السب.

وليست المشكلة في العادة السيئة وما تحمله من مظهر غير لائق فقط إنما كما تقول د.محاسن عبدالفتاح ـ أستاذة الصحة العامة والطب الوقائي في كلية طب القاهرة ـ هي فيما يوجد تحتها الأظافر من ميكروبات وديدان وطفيليات وبخاصة لدى الأطفال الذين تكون أظافرهم أكثر عرضة لتكون الأوساخ والقاذورات والتي تنقل إليهم عدوى كثير من الأمراض أشهرها الدودة الدبوسية التي تسبب حكة بالشرج، والإصابة بديدان الأسكاريس وأكياس الأميبا المختلطة بأتربة الشارع والنادي تحت أظافرهم.

وقاضموا الأظافر أكثر عرضة للإصابة بالتهابات وخرّاجات الأصابع نتيجة للعملية المتكررة لشد الجلد ولذلك فإن من اللازم لمعالجة عادة قضم الأظافر علاج السبب بمزيد من العطف والحنان والمداعبة للصغير وعدم تهديده أو ضربه أو سبه.

ومن ناحية أخرى يجب التظاهر لعدم الاهتمام بما يفعله الطفل سواء بالتوبيخ

عندما يقضم أظافره أو بالاستحسان عندما يتوقف عن ذلك، لأنه ففي كلا الحالين يشعر باهتمام الأهل بما يفعله وذلك يدفعه للمراوغة.

والطريقة الأخرى التي عادة ما يلجأ إليها الأهل ولايوافق عليها الأطباء النفسيون هي زيادة زجر الطفل ومنعه بالعنف من قضم أظافره أو بوضع مادة مرّة كالصبار عليها فهذا لا يحل المشكلة مادام التوتر والقلق موجودين... وإن توقف عن هذه العادة، فإنه سيتحول إلى أخرى للتنفيس والتي قد تكون أكثر ضرراً مثل التبول اللاإرادي، ولذلك لابد من علاج السبب الجذري وليس العادة فقط. لهذا كان من اللازم في مثل هذه الحالات أن نعمل أول ما نعمل على علاج الحالة العامة، فنعالج العلل البدنية، ونبحث عن مشكلات النوم والأكل.

وما يعين عوناً كبيراً على علاج هذه الحال أن نصرف الطفل إلى الرياضة خارج البيت في صحبة غيره من الأطفال وأن ندفع الآباء بالنظر إلى المشكلة كأنها في الطفل كله لا في أظافر يديه فقط.

ونذكر المثال التالي... طفلة تبلغ أربع سنوات من العمر، تدمن على قضم أظافرها، كانت تنام قليلاً وتتقلب في نومها كثيراً ويعلو صياحها، لا تستقر خلال النهار ويصعب عليها أن تركز انتباهها ولم تكن تسكن لحظة، تحطم اللعب وتمزق الكتب، وكانت تخجل كل الخجل من الأغراب، ولما ذهبت إلى روضة الأطفال لم تكن تشترك في اللعب مع غيرها. وقد دلّ الفحص الطبي على ضرورة إزالة اللوز والزوائد الأنفية... في الحال وعقب العملية ظهر على الطفلة تحسّن سريع، فتقدمت صحتها، وبدت عليها العافية وتحسّن سلوكها وصارت تستغرق في نومها وبدأت تزيد لعبها مع أصدقائها، وقلّ خجلها وقد أفلح العلاج سريعاً.

كما يمكن الحصول على خير النتائج إذا لجأنا إلى احترام الطفل وتقليم أظافره تقليماً حسناً، وعلى إبقائها نظيفة بيضاء حسنة الشكل، فإن هذا يبعث الاهتمام في نفس الطفل، ويدفعه إلى بلوغ المستوى الذي يرسم له.

أما تكرار نهر الطفل لعادات معينة، فإنه يؤدي إلى تقويتها، وهذا أقرب طريق لدفعه إلى الضار والمقاومة.

وما يستلزم كثيراً من المهارات واللياقة وقدراً من حسن الفهم والتصرف أن نلتمس الطرق والوسائل للقضاء على هذه المشكلات بطريق غير مباشر، أي بتحويل نشاط الطفل إلى سبيل أخرى دون إدراك منه لذلك.

فإذا أحسنا اختيار تلك السبل فسرعان ما تحل الميول الجديدة محل القديمة، وسرعان ما تختفي العادة الممقوتة وتنقضي. ■

قصة

بقلم: عبدالستار خليف

نداء الأمومة !!

في صباح أحد أيام الجُمع، من الأيام الخوالي الطيبة... كان الصغير يلهو في دروب الوادي المتشعبة، مع أحد الرفاق ممن هو في مثل عمره، وعندما افترقا، وسار عائداً إلى بيته. في الطريق عثر على ماعز رضيع، لا تستطيع السير إلا بصعوبة بالغة، حمله بين ذراعيه وهو في غاية السعادة والسرور وما أن دخل فناء البيت.

حتى سألته الأم: من أين أتيت به؟ أجاب الصغير ببراءة: عثرت عليه في الطريق. قالت الأم معترضة: هذا ليس مالك!!. عقب الصغير خوفاً من فقدان الماعز: لقد وجدته وحيداً، بلا راع، فحملته وعدت!!

حاولت الأم أن تقنعه بأن هذا الماعز الرضيع له أم ستبحث عنه، لكنه عقّب بكل سهولة: لقد ماتت، وتركته. قالت للصغير: له أصحاب سيسألون عنه، وليس لك الحق أن تأخذ مال غيرك، عقّب ضاحكاً: كان يقف وحيداً بلا أصحاب، ولو كان له أصحاب ما ترك في الخلاء. قالت الأم بحنان: هل تقبل أن يأخذك أحد مني؟ ردّ قائلاً: ولكنه حيوان ليس له أحد، وأنا أخذته حتى يأكل ويشرب عندي.

احتارت الأم وقالت آمرة: عليك بإعادته إلى الخلاء الذي كان فيه. قال في حزن: سيموت من الجوع إذاتركته بالطريق، أما أنا فسأقدم له اللبن ليشرب يكبر ويكبر.

حاولت الأم انتزاع الماعز الرضيع من بين يدي طفلها، إلا أنه تشبث به بقوة فقالت بهدوء وحيلة: غداً سنذهب إلى سوق الأغنام، وسأشتري لك ماعزاً جميلاً... قال الصغير في لؤم: أنا أحب هذا الماعز الصغير. ولم يفلح الحوار أو النقاش والحيلة، ويبدو أن الجدل طال بين الأم وصغيرها حول الحقوق والواجبات... وفجأة!! من خارج الفناء، علا صوت الأم الثانية «الماعز»، التي فقدت رضيعها، وارتفع ثغاء الماعز الصغير متجاوباً مع نداء الأم الحيرى الباحثة عن وحيدها. ودفعت باب الفناء وأطلت برأسها، تبحث عن مصدر الثغاء.

عندما شاهدت صغيرها، اندفعت في جنون إليه وهي متحفزة للانقضاض والنطاح للدفاع عن وحيدها... فألقى الصغير بالماعز على الأرض، وفر هرباً، محتمياً بأمه التي قالت: ها قد جاءت من هي أقوى منّي لتسترد صغيرها. وخرجت الأم الثانية «الماعز»، وخرج خلفها رضيعها، يقفز قفزات رشيقة وسريعة. والأم في غاية السرور وهي تنظر إلى الصغير الذي وضع خده على راحة يده في حزن وأسى، ما أعظم حنان الأم. وما أجمل العبرة من هذا الدرس العظيم. ■

بقلم: عمر الرماش بن إدريس

ظاهرة التسول:

الأسباب - النتائج - العلاج

تنتشر بالمجتمعات العربية والإسلامية ظواهر سلبية خطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع والوطن والأمة، مما يهددها بعدم الاستقرار والفوضى والتسيب... ومن أهم هذه الظواهر غير العادية ظاهرة التسول بالأماكن العمومية كالشوارع والأزقة وقارعات الطرق ومحطات المسافرين والأسواق وأبواب المساجد والبنوك ومكاتب البريد والاتصال... ويتعاطى التسول أغلب أفراد وفئات المجتمع ومن كل الأجيال والأعمار فمنهم الأطفال والشباب والنساء والشيوخ هؤلاء يتسكعون ويتشردون في كل مكان في ظروف مأساوية من أجل الحصول على المال وضمان لقمة العيش واستمرار الحياة. وهكذا نراهم في كل لحظة وحين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء. ويجوبون الشوارع ويقتحمون المقاهي والإدارات العمومية وعلامات الحزن والبؤس والحرمان والسخط تميز سمات ووجوههم وحركاتهم وسكناتهم ويشكون وضعهم المادي والمعنوي المزري، وقساوة الحياة والعيش. هذا بالإضافة إلى معاناتهم المتكررة التي تتمثل في قساوة المناخ كالمطر والبرد والحرارة والرياح، أضف إلى ذلك الجوع والمرض والبؤس وما يزيد الطين بلة هو لا مبالاة الناس وأغلب شرائح المجتمع بمعاناتهم ومطالبهم.

أسباب انتشار ظاهرة التسول:

إن أسباب استفحال ظاهرة التسول والتسكع والتشرد بالمجتمعات العربية والإسلامية كثيرة ومتعددة ومتداخلة فيما بينها، ويمكن أن نحدد أهمها في النقط التالية:

- انتشار المشكلات الاقتصادية والاجتماعية كالفقر والبطالة والبؤس والحرمان.
ثم شيوع الظلم والعدوان وغياب العدالة الاجتماعية والتضامن والتكافل الاجتماعي.
- تفكك الأسر والعائلات بفعل المشكلات العامة المختلفة.
- تفشي ظاهرة الطلاق بشكل كبير ومخيف.
- الهجرة القروية الجماعية نحو المدن من البوادي والأرياف وما يترتب عنها من سلبيات.
- العزوف المبكر للأطفال والشباب عن متابعة

الدراسة والتعلم.

- غياب البدائل الحقيقية التي بإمكانها احتضان المتسولين والمشردين مثل الملاجيء الخيرية ودور الأطفال والعجزة من النساء والشيوخ.

الانعكاسات السلبية الخطيرة:

إن ظاهرة التسول والتشرد تترتب عليها انعكاسات سلبية خطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة. ونذكر من أهمها ما يلي:

- الانحراف الأخلاقي والسلوكي المتمثل في تعاطي الفساد والمخدرات والخمور والقمار والإجرام والعدوان كالسرقة والنصب والاحتيال.
- غياب الأمن والاستقرار وشيوع الفوضى والاضطراب والتسيب.
- تشويه سمعة المجتمعات والمدن والسكان.
- تفشي الجهل والأمية والخرافة والشعوذة.

سبل الوقاية والعلاج:

إن استفحال ظاهرة التسول والتشرد وما يترتب عليها من عواقب وخيمة يتحمل مسؤوليتها كل أفراد وفئات المجتمع المدني كالأسرة والمجتمع والدولة ومؤسساتها العمومية المختلفة والجمعيات الحقوقية والثقافية وكذلك وسائل الإعلام المتعددة، وذلك انطلاقاً من حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته» رواه مسلم.

وتتمثل مسؤولية الدول في محاربة كل الأسباب التي تؤدي إلى انتشار ظاهرة التسول والتشرد والتسكع في الأماكن العمومية ثم إنشاء الملاجيء الخيرية لإيواء المتسولين والاهتمام والرعاية بهم صحياً وغذائياً ومعنوياً والعمل على تربيتهم وتعليمهم وتأهيلهم مهنياً... وتضطلع المساجد ودور القرآن والكتاتيب القرآنية بواجب التوعية الدينية ونشر العلوم الشرعية المفيدة وتحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وذلك من أجل تقوية الوازع الديني والإيماني والتحصين من الوقوع في براثين الانحراف والانحلال الأخلاقيين. كما تتحمل وسائل الإعلام العربية والإسلامية وخصوصاً المرئية منها مسؤولية نشر الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة ومواجهة الغزو الإعلامي الغربي الخطير الذي يعمل على تفكيك الأسر والعائلات، وتغريب المجتمعات وتدميرها عن طريق البرامج والأفلام والمسلسلات التي تعالج قضايا وموضوعات تتعارض مع خصوصياتنا الحضارية كالعنف والجنس والتدخين والمخدرات والخمور والقمار والميسر والفساد بكل أنواعه. ■

طب وعلوم

بقلم : د. عبدالرزاق السباعي

مريض الداء «السكري» والصيام

فرض الله صيام شهر رمضان على عباده، لكنه أعفى المرضى من مشقة الصيام فقال جل وعلا: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» لكن ليس كل مرضى الداء «السكري» ممنوعين من الصيام، إنما يمكن تقسيمهم إلى المجموعات التالية:

أ - المجموعة الأولى: المرضى الذين يسيطرون على الداء «السكري» عن طريق تنظيم وجباتهم الغذائية «أي يعتمدون على الحمية فقط»: وهؤلاء مرضى مصابون بالسمنة غالباً، لذلك فالصيام مفيد لهم ولا يؤثر على صحتهم، ولا يشكل خطراً على حياتهم، حيث سيفقدون كيلو غرامات عدة من وزنهم الزائد، ويتخلصون من مخزون الشحم المتراكم في جسدهم.

ب - المجموعة الثانية: المرضى الذين يسيطرون على الداء «السكري» عن طريق تنظيم الوجبات الغذائية مع تناول الأقراص الخافضة للسكر عن طريق الفم (أي الداء «السكري» غير المعتمد على الأنسولين) حيث يكون السكر مضبوطاً عادة، وهؤلاء يمكن أن يصوموا أيضاً من مراعاة ما يلي:

١ - المرضى الذين يتناولون قرصاً واحداً في اليوم «صباحاً»: يمكن أن يتناولوا القرص «الجرعة نفسها» مع وجبة الإفطار وقت المغرب «بدل الفطور الصباحي».

٢ - المرضى الذين يتناولون قرصين في اليوم «صباحاً ومساء»: تؤخذ الجرعة الأولى مع وجبة الإفطار عند المغرب وتكون مساوية للجرعة التي تؤخذ في الصباح، وتؤخذ الجرعة الثانية مع وجبة السحور وتكون مساوية لنصف الجرعة التي تؤخذ في المساء، وذلك لقلة الحاجة لجرعة كاملة نظراً لانخفاض مستوى سكر الدم خلال ساعات النهار نتيجة الصيام.

أما المرضى اللذين يتناولون الأقراص حيث السكري عندهم غير مضبوط أو لديهم مضاعفات «مشكلات» مثل إصابة العين أو الكلية أو وجود حال عامة غير جيدة فيرخّص لهم بعدم الصوم.

ج - المجموعة الثالثة: المرضى الذين يسيطرون على الداء «السكري» عن طريق تنظيم الوجبات الغذائية مع تناول الأنسولين، هؤلاء يمنعون من الصيام لأنه خطر عليهم ولديهم رخصة شرعية من الله عز وجل، وتشمل هذه المجموعة:

١ - المرضى الذين يعالجون بالأنسولين مرتين يومياً: لأن الصيام يعني بقاءهم فترة طويلة دون طعام، ما يتعارض مع مبدأ توزيع الطعام الضروري عندهم وقد يحدث لديهم نقص في سكر الدم في نهاية فترة الصيام، أو ارتفاع في سكر الدم بعد وجبة الإفطار.

٢ - المرضى الذين يعالجون بالأنسولين مرة واحدة يومياً وبجرعة أكثر من ٤٠ وحدة أنسولين.

أما المرضى الذين يعالجون بالأنسولين مرة واحدة يومياً وبجرعة أقل من ٤٠ وحدة أنسولين فيمكن لهم أن يصوموا بعد مناقشة ذلك مع الطبيب المعالج.

من المهم التأكيد أن كل مريض يمثّل كياناً

مستقلاً قائماً بذاته، وله وضعه الخاص ولا يمكن التعميم، فلكل مريض ظروفه ووضعه، وعلى كل مريض أن يستشير طبيبه ويناقش حاله الصحية معه، ومن ثم يقرر الطبيب إمكانية الصيام من عدمه. وعلى المريض أن يلتزم بنصيحة الطبيب الذي يجب أن يكون طبيباً صالحاً تقياً يخاف ربه.

نصائح لمريض السكري في أثناء الصيام:

١ ـ راجع طبيبك قبل بداية شهر الصوم ليحدد إلى أي مجموعة تنتمي حالتك، فالتعاون مطلوب بل واجب بين المريض والطبيب.

٢ ـ حافظ على كمية ونوعية الغذاء نفسه «السعرات الحرارية» الذي وضعه لك الطبيب، ولا تنس نفسك مع أطباق رمضان التقليدية «وبخاصة أطباق الحلويات».

٣ ـ تناول الأقراص الخافضة للسكر عن طريق الفم مع مشروب دافئ قليل الحلاوة أو بضع حبات من التمر ثم قم وصَلّ المغرب، وبعدها تناول الإفطار خلال أقل من ١٥ دقيقة، حيث يكون القرص قد امتُصّ من الجهاز الهضمي.

٤ ـ أخّر سحورك قدر الإمكان، فذلك يقلل من احتمال تعرضك لنقص سكر الدم في أثناء ساعات الصيام، ويفضل أن يشتمل السحور على بضع حبات من التمر أو التين الجاف لمن هم عرضة لهبوط السكر في الدم لأن التمر يبقى فترة طويلة في المعدة وبذلك يشكل غذاء احتياطياً للمريض خلال فترة النهار.

٥ ـ لاتكثر من الأطعمة بين الإفطار والسحور، بل يجب الاكتفاء بوجبة واحدة يحددها الطبيب ـ وهي مهمة جداً فلا تحاول إلغاءها.

٦ ـ مارس نشاطك اليومي بشكل عادي وامنح نفسك شيئاً من الراحة بعد الظهر لأنه مع اقتراب نهاية يوم الصوم يكون مستوى السكر في الدم في أدنى مستوياته، ويجب تجنب الرياضة أو بذل مجهود بدني في أثناء الصيام.

٧ ـ عليك زيادة عدد مرات فحص سكر الدم الذاتي «في المنزل» عن طريق فحص البول أو الدم خلال فترات الليل والنهار. ويفضل أن تسأل طبيبك عن درجة اللون المسموح به في البول أو نسبة السكر المسموح بها في الدم. ومن الأفضل الإبقاء على نسبة ضئيلة من السكر في البول لتجنب آثار نقص السكر في الدم وهو الاحتمال الأكثر حدوثاً في أثناء الصيام، علماً أن فحص الدم لا يفسد الصوم.

٨ ـ عليك أن تفطر فوراً وتنهي صومك وتتناول كمية من السكر «حسب ما هو معروف».

ـ إذا شعرت بأعراض نقص السكر في الدم فعليك ملاحظة ما يلي:

ـ إذا شعرت بتعرق غزير.

ـ رجفة في اليدين والساقين والجسم.

ـ إذا انتابك فتور عام مع ضعف شديد.

ـ إذا شعرت بزيادة عدد دقات القلب.

ـ إذا شعرت بدوار أو صداع.

ـ إذا شعرت بتنميل في الشفتين واللسان.

ـ إذا شعرت بالجوع الشديد.

ـ إذا شعرت باضطراب في الرؤية.

ـ إذا أحسست باضطراب بالتفكير وتداخل بالكلمات في أثناء الحديث.

ـ التشنجات.

٩ ـ عليك أن تفطر وتنهي صومك وتراجع طبيبك فوراً إذا شعرت بأعراض ارتفاع سكر الدم وهي:

ـ صعوبة في التنفس.

ـ العطش الشديد.

ـ الغثيان أو الرغبة بالتقيؤ.

ـ زيادة عدد مرات التبول.

فكل ذلك قد تكون أعراضاً لارتفاع سكر الدم نتيجة تناول كمية زائدة من الطعام في فترة وجيزة أو قم بفحص سكر الدم الذاتي إذا كان لديك جهاز للفحص الشخصي.

١٠ ـ أخبر طبيبك عن أي دواء آخر تتناوله لمعالجة مرض آخر، فقد يعدل من النظام الغذائي أو من جرعة الدواء المحددة لك في أثناء الصيام.

١١ ـ بعد انتهاء الصيام، عليك بالاستمرار بالتزام التوازن في الغذاء مع التحول التدريجي والعودة للنظام الأساسي قبل الصيام. ■

إعداد : عبدالقاسم أحمد

عقدة المجتمع الإسرائيلي كما يراها الصهاينة !

نشرت الفايننشال تايمز مقالاً . للكاتب الإسرائيلي «إتان فلنر» المدير التنفيذي لمركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة «بيتساليم» رئيس فرع إسرائيل لمنظمة العفو الدولية . تناول فيه طبيعة المجتمع الإسرائيلي المعاصر القائم على القمع وفقدان الإحساس بمشاعر الآخرين يقول المقال:

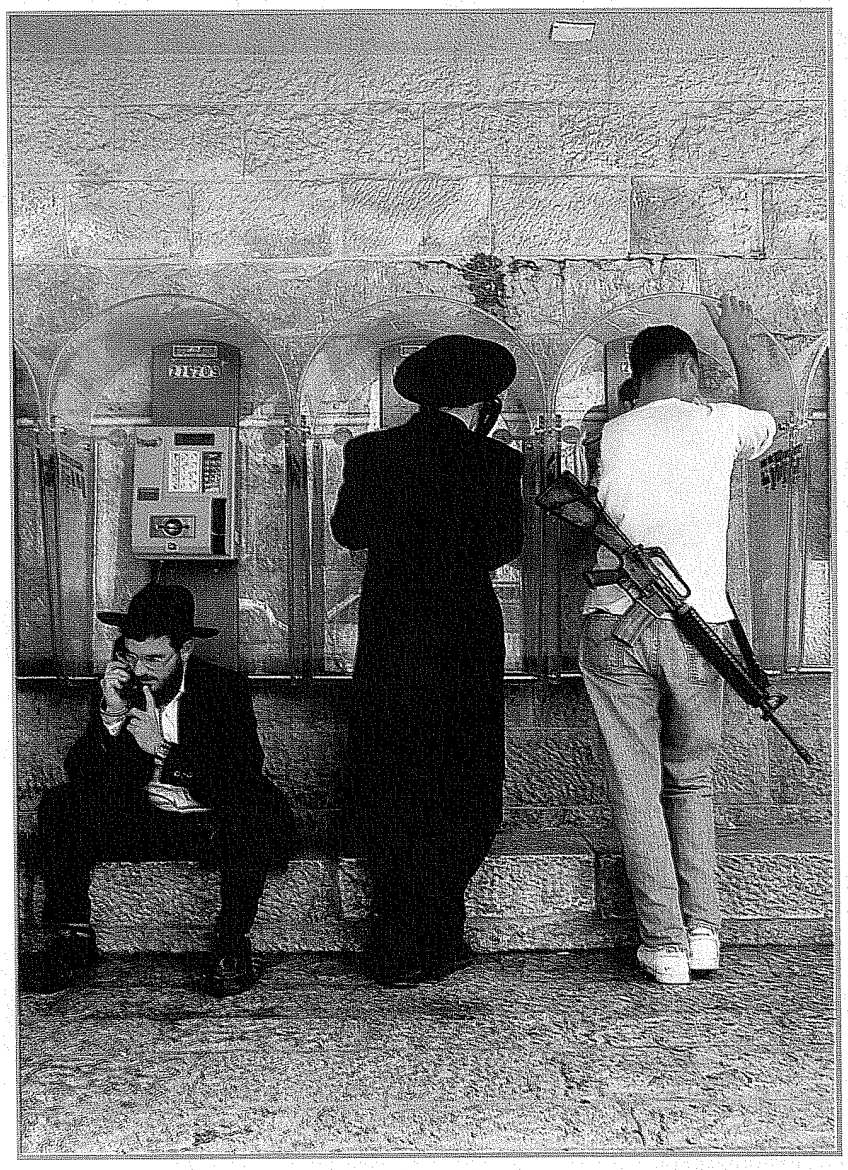

● الصهاينة قتلة أينما وجدوا

المجتمع الإسرائيلي يعاني من عقدة الطفل الذي تعرض للاعتداء عليه ربما كان ذلك هو الجواب المنطقي الوحيد على السؤال الذي يتكرر طرحه كثيراً وهو: كيف يمكن لشعب عانى ردحاً طويلاً من الزمان، وظل ضحية لأكثر من ثلاثة آلاف عام، أن يتخذ موقفاً لا مبالياً إزاء ما يلحقه من معاناة بشعب آخر؟

لقد أقيمت دولة إسرائيل على خلفية أبشع حرب إبادة وقعت في القرن العشرين. ولا يمكن لإسرائيل أن تهرب من ماض يبعث على الصدمة. فكما في حال رجل نجا من طفولة تعرض فيها للاعتداءات، فإن الشعور بعدم الأمان الذي يسكننا ينبئ عن تصورنا للحقيقة.

الذاكرة الجماعية:

ففي كل مرة نتعرض فيها للخطر - سواء كان هذا الخطر حقيقيا أو تخيلياً كبيراً أو صغيراً - فإننا نتعامل معه من منظور تاريخ طويل من الاضطهاد.

وليس من الصعب علينا - نحن الذين نعيش في إسرائيل - تبرير إدراكنا الذاتي بأننا ضحايا. فالعمليات الانتحابية في المدن الإسرائيلية أدت إلى مقتل وجرح العشرات من المدنيين خلال السنوات الأخيرة. وإسرائيل لا تزال تعيش حالة حرب مع نصف جيرانها.

ومن السهل قراءة هذه الحقيقة في سياق ذاكرتنا الجماعية كضحايا.

ومع ذلك، فإن هويتنا كضحايا أبديين، تمنعنا من إدراك أننا اليوم، لم نعد ضحايا فقط، وتماماً كما يتحول الكبار الذين تعرضوا للاعتداء في أثناء طفولتهم، إلى جناة لضحايا آخرين، تحولنا - نحن الإسرائيليين - بعد أن امتلكنا القوة على الآخرين، إلى جناة.

إنها عقدة الطفل الذي تعرض إلى الاعتداء التي تصوغ موقف الرأي العام الإسرائيلي من انتهاكات حقوق الإنسان التي تقترفها أجهزتنا الأمنية في الأراضي المحتلة فخذوا - على سبيل المثال - مسألة الجدل العام حول التعذيب في إسرائيل:

لا مبالاة:

استخدام التعذيب من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، أصبح أمراً روتينياً، فالآلاف من المعتقلين الفلسطينيين يتعرضون للهز العنيف والخوف لأيام عدة، حيث يحرمون من النوم لفترات طويلة أو يتعرضون لضجيج شديد أو يرش عليهم الماء

● يتناقشون في أوهام زائفة

البارد أو القاذورات ويعترف المسؤولون الإسرائيليون علانية بوقوع هذه الممارسات.

فالوصمة التي يلحقها التعذيب بفاعله، تدفع معظم الدول لنفي استخدام القوة في أثناء التحقيق، لكن الرأي العام الإسرائيلي - في معظمه - يؤيد استخدام التعذيب كوسيلة مشروعة للدفاع عن الأمن. ولجوء إسرائيل إلى أساليب العقاب الجماعي من شأنه أن يثير ردود فعل مشابهة. فعلى مدى السنوات العشر الماضية، أقدمت إسرائيل على هدم أكثر من أربعمئة منزل لفلسطينيين مشتبه في قيامهم بأعمال عنف ضد إسرائيل. ولم تصدر احتجاجات إسرائيلية عامة على هذه السياسة، التي تركت المئات من الفلسطينيين الأبرياء. ومنهم الأطفال والمسنون، دون مأوى.

وكذلك، ظل الرأي العام الإسرائيلي يتخذ موقفاً لا مبالياً، إزاء التمييز الفاضح في تطبيق هذه السياسة، فالفلسطينيون وحدهم، هم الذين يتعرضون للعقاب الجماعي.

فقبل أربع سنوات، حين قُتل تسعة وعشرون فلسطينياً على يد مستوطن يهودي، في الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، طبقت إسرائيل القاعدة القانونية الأساسية التي تذهب إلى أن كل شخص مسؤول لوحده، عن أي عمل يقوم به، فلم تعاقب الأبرياء مثل عائلة أو جيران مرتكب المجزرة.

الهولوكوست والفلسطينيون:

ولا يمكن مقارنة سياسات إسرائيل العقابية بأهوال الهولوكوست، ومع ذلك لا يمكن استخدام معاناتنا في الماضي - مهما بلغت شدتها - ذريعة لما نرتكبه من أخطاء بحق الفلسطينيين اليوم.

فعقدة الطفل الذي تعرض للاعتداء لا تؤدي إلا إلى تصعيد دورة العنف في الشرق الأوسط. فتجربة الاحتلال والاقتلاع حولت الفلسطينيين إلى جيل جديد من «الأطفال المعتدى عليهم»، وهكذا... يبرر الفلسطينيون عادة، المآسي التي تسببها العمليات الانتحارية في تل أبيب أو القدس بالمعاناة التي ألحقناها بهم.

وهذا بدوره يعزز شعور الإسرائيليين بأنهم ضحايا أبديون.

فهذه الدورة من «الضحية وضحية الضحية» لها آثار عميقة على آفاق التوصل إلى تسوية سلمية للصراع. لقد بدأت عملية السلام، ولكن أي سلام يقوم على انتهاكات حقوق الإنسان سيكون هشاً، فالعقاب الجماعي والوحشية والإهانات التي لا داعي لها، تضعف الرغبة بالمصالحة والسلام.

فاللحظات المفصلية في تاريخ الشعوب تعتبر مناسبة لمراجعة الأفكار والمواقف، ففي هذا العام احتفلت إسرائيل بالذكرى الخمسين لتأسيسها، واحتفل العالم بالذكرى الخمسين لصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إنها لحظة مناسبة للاعتراف بالعقدة التي نعاني منها والبدء بمعالجتها.

ويجب علينا ألا ننسى ماضينا، ولكن علينا ألا نسمح لتاريخنا الحافل بالآلام أن يشعرنا بالرضا تجاه المعاناة التي نسببها للآخرين. ■

تأليف : د. زين العابدين متولي

عرض وتقديم : محمد علي وهبة

نحو بيئة أفضل

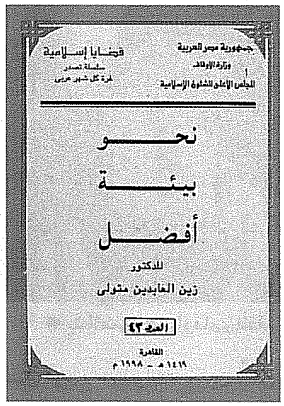

يكشف هذا الكتاب القيّم عن الدور المتعاظم للإسلام وتوجيهاته المتسامية نحو إيجاد بيئة نظيفة من جميع أنواع التلوث الهوائي والمائي والضوضائي، وغيره من أنواع التلوث، التي لم تظهر في عالمنا المعاصر، لتنشر الفساد والدمار، والأمراض الساحقة، وجميع أنواع البلاءات المقيتة، إلا بسبب غياب المنهاج الإلهي المعصوم، الذي أودعه الله تعالى في كتابه العظيم، لحفظ أسباب الحياة على الأرض.

إنها عظمة الإسلام:

وفي مقدمة الكتاب، التي كتبها الأستاذ الدكتور عبدالصبور مرزوق، نائب رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، يستعرض فضيلته العلاج القرآني لمظاهر الفساد البيئي الشامل الذي أصاب كوكب الأرض، بما كسبت أيدي هؤلاء الذين تسببوا في هذا الفساد، مستعرضاً قول الله تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم:٤١. فقد استخدم جل شأنه صيغة الماضي، في قوله تعالى: (ظهر) في الحديث عن الفساد، وكذلك في تحميل الإنسان مسؤولية هذا الفساد في قوله تعالى: (بما كسبت). وفي هذا الاستخدام بهذه الصيغة تقرير لحقيقتين:

الأولى: ظهور الفساد في الأرض، بما يخرجها عن الصورة، التي خلقها الله تعالى عليها، لتكون للإنسان (مهاداً)، و(معاشاً) يجد فيها أمنه وسعادته، ويمارس من خلال (إعمارها) عبادة من سخرها له سبحانه، ولتحقيق الهدف الأسمى من الخلق، كما اقتضت حكمة الخالق سبحانه. كما في قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات:٥٦.

والثانية: كما يقول فضيلته، هي تقرير بعض طبيعة الإنسان، وبعض ما قام وما سيقوم به من إفساد، من خلال مخالفة سنن الله وقوانينه في خلقه.

وفي قوله تعالى في سورة الروم:٤١: (ليذيقهم بعض الذي عملوا) كما جاء في تفسير ابن كثير، أي يبتليهم بنقص من الأموال والأنفس والثمرات، اختباراً منه جل شأنه، ومجازاة لهم على سوء وفساد صنيعهم. (لعلهم)، أي يعودون إلى تقوى الله تعالى فيما خلق لهم من مظاهر أصيلة جليلة للحياة، فيكفون عن إفسادها، ويرجعون عن ارتكاب المعاصي والمفاسد في حقها، لتعود إلى سابق عهدها كما خلقها الله سبحانه على أجمل وأكمل صورة من النقاء والصفاء.

ويقول فضيلته في موضع آخر من المقدمة: من هنا يكون المجد للإسلام، فذلك الدين العظيم، الذي حذر الإنسان - منذ خمسة عشر قرناً - من الإفساد في الأرض، وانطلقت آيات القرآن المباركة، تنهى صراحة عن الإفساد في الأرض. بل تحذر صراحة من خطر السعي وراء الرفاهية والترف، وأثرهما على إفساد الحياة وإهلاك الأمم، كما في قوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً). الإسراء:١٦، ويقول جل شأن كذلك: (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الأعراف:٥٦.

بل يتوعد جل شأنه المفسدين في الأرض بالهلاك، كما في قوله سبحانه: (الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد) الفجر:١١-١٤. وفي قوله تعالى: (إن ربك لبالمرصاد)، أي إنه جل شأنه يهلك المفسدين في الأرض أولاً بأول، حتى لا يبقى في أرض الله إلا الصالحون من عباده. كما تعهد جل شأنه بذلك في قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء:١٠٥. وفي ذلك ترهيب للمفسدين في الأرض، ليكفوا عن التمادي في إفسادهم، وترغيب لهم - في الوقت عينه - للرجوع إلى طريق الله، والسير على سنن الله في حفظ أسباب الحياة، وإبقائها على نقائها وبهائها بالحالة الأصلية البهيجة التي خلقها الله تعالى عليها.

والكتاب من إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة، ضمن سلسلة قضايا إسلامية، العدد (٤٣)، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. وقد بسطه المؤلف في ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط.

تلوث الهواء:

ويشير الباحث تحت هذا العنوان إلى أن هناك مصدرين لتلوث الهواء:

المصدر الطبيعي: ويتمثل في الشوائب الغازية مثل ثاني أكسيد الكبريت وكلوريد الهيدروجين والفلوريد والكبريتيت، ذات الأصل البركاني، وهي في أحوالها العادية تكون طفيفة، ولا تؤثر كثيراً في تلوث الهواء. وكذلك غاز ثاني أكسيد النيتروجين الناتج من التفريغ الكهربائي في عمليات البرق والرعد، وكذلك غاز الأوزون، كما توجد في الجو أيضاً مواد دقيقة من الضباب والأتربة السطحية والغبار والرماد الناتج من الحرائق الطبيعية للغابات، والغبار الكوني، المتساقط من الفضاء الخارجي، وحبيبات اللقاح، والرماد الدقيق المتخلف عن ثورات البراكين.

المصدر الصناعي: ويشمل المواد الناتجة من النشاطات الصناعية المتزايدة الضارة للإنسان. والمتكونة من أدخنة وسائل النقل المختلفة

وأدخنة المصانع، والمواد الكيمياوية السامة الناتجة من رش المبيدات الحشرية، والغازات الضارة الناتجة من إحراق النباتات الضارة، أو إحراق القمامة والمخلفات، والملوثات الإشعاعية الناتجة من المواد النووية. وكذلك الغازات الضارة الناتجة من استخدام الطاقة الأحفورية، وبالأخص الفحم، الذي تستخدمه بكثرة دول الشمال، وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية، وبلدان أوروبا الغربية.

التلوث وتغير المناخ:

ويوضح الباحث أن زيادة تركيز الملوثات الغازية في الهواء الجوي تؤدي إلى الكثير من التغيرات المناخية الخطيرة، التي تتمثل بصفة خاصة في ظاهرتين على جانب كبير من الخطورة:

الأولى هي ظاهرة هطول الأمطار الحمضية، التي تنتج من تفاعل أكسيد النيتروجين وأكسيد الكبريت مع بخار الماء الموجود في الهواء، ويتكون من ذلك حمض النيتريك والكبريتك، وتسقط الأمطار الحمضية على الأنهار والبحار والبحيرات ومصادر المياه المختلفة على شكل سائل يشبه إلى حد كبير ماء النار، فتزيد من حموضة المياه، وتهلك كل ما بها من أسماك وكائنات حية.

والثانية، هي ظاهرة الاحتباس الحراري، التي تنتج من زيادة نسبة تركيز الغازات الضارة بالجو، وبالأخص غاز ثاني أكسيد الكربون، الذي يحذر العلماء من أنه إذا زادت معدلات نسبة تركيزة في الجو عن معدلها الطبيعي، فسيؤدي ذلك إلى ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض بمعدل درجة مئوية كل ٢٥ عاماً. وسيؤدي هذا الارتفاع البسيط إلى كوارث رهيبة، منها زيادة أمراض النباتات، وتغير طبيعة الحياة البرية، وظهور أوبئة جديدة من الحشرات والطفيليات والميكروبات. والكارثة الكبرى تتمثل في انصهار جانب من جليد القطبين، وارتفاع منسوب سطح مياه البحار والمحيطات بنحو ٢٠ سنتيمتراً. وهذا الارتفاع يهدد باختفاء الكثير من الجزر، وإغراق بعض الوديان والسهول، والمدن والموانئ المطلة على سواحل البحار، وغرق مبانيها وسكانها وسائر ما بها من أحياء! وتأتي هذه المشكلة على رأس اهتمامات العلماء في سائر بلدان العالم، لمحاولة إيجاد الحلول العلمية المناسبة لها.

البيئة وقضاياها:

وتحت هذا العنوان، يوجه الباحث إصبع الاتهام بشدة للعالم الغربي بصفة خاصة، «الذي يسمي نفسه بالمتحضر والمتقدم»، وهو بسلوكه المدمّر للبيئة يعتبر أبعد ما يكون عن معنى التحضر والتقدم، بل إن هذا العالم الذي يسمي نفسه بالمتقدم، وبارتكابه للكثير من الآثام في حق البيئة، مما يهدد بتحولها عن طبيعتها الجليلة الجميلة التي خلقها الله تعالى عليها، إلى طبيعة أخرى أكثر بؤساً وأكثر توحشاً، ما قد ينتهي إلى رجوع هذا العالم في غياهب التخلف والرجوع للوراء لملايين السنين!!.

ويستشهد ببعض الدراسات العلمية المؤيدة لهذا الاتهام، والمدعمة بأرقام إحصاء دقيقة، لإثبات ما يرتكبه العالم المتحضر من جرائم في حق البيئة، وفي حق الشعوب والبلدان الأخرى، التي يتشكل كياناتها الحية أكثر من نصف حجم البيئة العالمية، فيقول:

«يسرق العالم المتحضر الموارد الطبيعية، التي منحها المولى عز وجل للدول النامية. وقيمة هذه السرقة تقدر بما يزيد عن ٦٠ مليار دولار سنوياً. وهذا المبلغ يكفي لمعيشة سكان الدول النامية عيشة أفضل بكثير مما هي عليه إذاً».

كما أثبتت الدراسات أن الغابات الاستوائية يتم تدمير ٧٠ مليون فدان منها سنوياً، وهذه المساحة تعادل ٧٠٪ من مساحة إجمالي الغابات التي تدمر سنوياً في العالم كله. مع العلم بأن الغابات، هي أفضل آلية إلهية، خلقها الله تعالى، لتحافظ على التوازن البيئي على الأرض، فهي تمتص الكميات الزائدة من ثاني أكسيد الكربون في الجو، فتمنع تسمم الهواء، وفي الوقت ذاته، تمنح كميات كافية من غاز الأوكسجين اللازم لاستمرار حياة كل الكائنات على الأرض.

وفي موضع آخر يوضح التفاوت في مستويات الاستهلاك بين الشمال والجنوب، فيشير إلى أن أهل الشمال الأغنياء، الأكثر تقدماً، والذين يبلغ عددهم ربع سكان العالم، يستهلكون ٧٠٪ من الطاقة العالمية، و٧٥٪ من المعادن، و٨٥٪ من الأخشاب، و٦٠٪ من الغذاء في العالم، بينما يحظى الجنوب الفقير بالفتات. وهكذا نرى أن الشمال هو المسؤول الأول عن تلوث البيئة، وعن ارتفاع درجة حرارة الجو، وعن إحداث الخلل يوسع الثقب في الأوزون. فهل هذا يرضي الله سبحانه وتعالى؟!

تلوث المياه:

وتحت هذا العنوان، يشير الباحث إلى أن أكثر من ١٠٪ من أنهار العام اليوم ملوثة بسبب تحويل مياه المجاري إليها، كما تقف الصناعة والزراعة في قفص الاتهام على ذمة التحقيق في قضية تلوث مياه الأنهار في الدول المتقدمة، ومعظم ملوثات الأنهار مصدرها الصرف الصحي، وكذلك الصرف الزراعي.

والأكثر من ذلك - كما يشير الباحث - أن مياه البحار قد تأثرت خصوصاً عند مصبات الأنهار فيها، علاوة على انسكاب البترول فيها، ما يؤثر على الثروة السمكية، التي تمثل ٣٠٪ من الغذاء البروتيني للإنسان في العالم.

وتنقسم ملوثات مياه الشرب إلى نوعين: كيماوية، كالمبيدات الحشرية والمركبات الأخرى السائلة أو الصلبة الناتجة من مخلفات الصناعة بصفة خاصة، كالزرنيخ، والكاديوم، والرصاص والزئبق والزيوت والشحوم وغيرها كثير.

أما الملوثات البيولوجية، فتتمثل في الكائنات البكتيرية، والفيروسات والديدان والطالحب، وتنتقل كلها من الماء إلى الثروة السمكية، وكذلك للخضراوات والفواكه والحيوانات، وكل الكائنات التي ترتوي بهذه المياه الملوثة، فتصيبها بالكثير من الأمراض الفتاكة.

وتتضافر جهود العلماء في كل بلدان العالم اليوم، لمواجهة أخطار الملوثات البيئية التي تتفاقم مشكلاتها يوماً بعد يوم، وذلك لمحاولة إيجاد العلاجات الشافية لها، وإعادة التوازن الطبيعي لها الذي خلقها الله تعالى عليها.

ويوصي الباحث بضرورة أن نأخذ حذرنا. وألا نتمادى في السير باتجاه ارتكاب المزيد من الآثام في حق البيئة التي فيها معاشنا واستمرار حياتنا كما أرادها الله تعالى لنا. وألا ننسى أن الله تعالى قد خلق كل شيء بقدر معلوم ودقة متناهية، وحكمة سابقة، كما في قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر. وما أمْرُنا إلا واحدة كلمح البصر) القمر:٤٩-٥٠.

وكما في قوله سبحانه كذلك: (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خَلْق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) الملك:٣.

كما قال تعالى فيما يجب على الإنسان نحو حفظ الماء، الذي جعل منه سبحانه كل شيء حي: (أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المُنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون) الواقعة:٦٨-٧٠.

وليس المقصود بالشكر هنا مجرد التلفظ به باللسان، وإنما يقصد بالشكر إلى جانب ذلك العمل الفعل والسلوك الإنساني القويم، المهتدي بهدى الله تعالى. ويقصد به أيضاً التعبير السلوكي للإنسان بالخشية من الله سبحانه في تعامله مع كل مظاهر وأسباب الحياة، بمحافظته عليها، لتبقى على حالها من الجمال والكمال، كما خلقها الله جل شأنه دون زيادة أو نقصان أو مسخ أو تشويه. وبعد، فالكتاب يعتبر إضافة مهمة للمكتبة الإسلامية. وهو جدير بالقراءة والاقتناء. ■

إعداد: محمد هادي

من كلمات المسلمات الجديدات

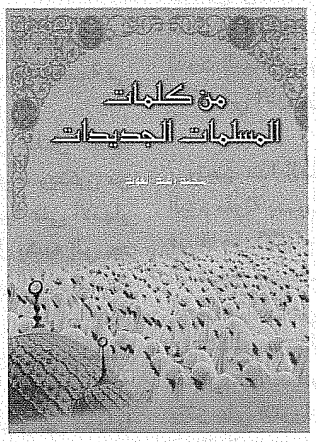

في أحاديث اللواتي هداهن الله تعالى إلى الإسلام كلمات لها دلالات مهمة، ومعان عميقة، تشير إلى ما يحمله هذا الدين للبشرية من حلول لمشكلاتها وإرواء لفطر أبنائها. محمد رشيد العويد قرأ طويلاً في هذه الأحاديث، واختار منها هذه الكلمات الغنيات بالمعاني والدلالات، وضمها في كتاب صدر عن مكتبة المنار في الكويت بعنوان «من كلمات المسلمات الجديدات».

يقول العويد في مقدم كتابه: كنت أتمنى، وأنا أقرأ كلام من أسلم من النساء، أن تطلع عليه بنات ولدن مسلمات، وتعلّمن العربية، فلم يكن هناك أي حاجز أو عائق بينهن وبين إسلامهن الذي زهدن فيه، وابتعدن عنه، فلم يلتزمن به التزام المحب كما التزمت به هؤلاء اللواتي ولدن بعيدات عنه، جاهلات اللغة التي نزل بها كتابه الحكيم، ومع هذا اهتدين إليه، أو هداهن الله تعالى إليه، فوجدن فيه سعادتهن وراحتهن ورضاهن. من كلمات المسلمات الجديدات عن الحجاب مثلاً: زادني الحجاب جمالاً - الحجاب إعلان عام بالالتزام - الحجاب شعار تحرر - الحجاب يوفر لي مزيداً من الحماية - عندما أسلمت أصررت على ارتداء حجابي بالكامل من الرأس إلى القدم - الحجاب جزء مني، من كياني فقد ارتديت الحجاب قبيل إسلامي لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه.

وهذه كلمات أخرى تعني كل منها الكثير: اكتسبت من الإسلام القوة لمواجهة الناس - أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي - وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي - قبل إسلامي كنت لا شيء - الجمعيات النسائية بدأت تدرك خطأها - أصبح هدفي الأسمى الدفاع عن هذا الدين - صارت الصلاة ملاذي والسجود راحتي وسكينتي - فرحتي لا توصف - شدتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه - المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد - تعرفت إلى وحدانية الله فبكيت - استيقظت من الحلم منشرحة الصدر - المرأة الغربية ليست متحررة كما قد تتوهم المسلمة - نطقت بالشهادتين فسرت في عروقي قوة خارقة - الإسلام هو الذي أعطاني الأمان - اكتشفت كنوزاً كنت أجهلها.

ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر، الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله، كلمة اليونانية «تيريز»: «لاأريد أن أتحدث، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبداً، ولو كتبتم كتباً ومجلات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي. أنا مسلمة، مسلمة، مسلمة. قولي «تخاطب المحررة»: لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي. قولي لهم عبر وسائل الإعلام كلها: تيريز اليونانية أصبحت خديجة: بدينها، بلباسها، بأعمالها، بأفكارها.

جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال البحوث التربوية

أعلن مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية عن جائزة المكتب للإنتاج العلمي في مجال البحوث التربوية للعام ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ / ١٩٩٩م - ٢٠٠٠م وفق الشروط التالية:

١ - أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء بالمكتب.

٢ - ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية «ماجستير/ دكتوراة».

٣ - يمكن قبول العمل المشترك من قبل المؤلفين أنفسهم إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء.

٤ - يقبل تقديم البحث للمكتب مباشرة من قبل المؤلف نفسه، أو بترشيح من إحدى المؤسسات العلمية.

٥ - أن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو مساهمة مبتكرة في مجال البحث التربوي، أو يكون تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.

٦ - في حال تقديم بحث منشور بلغة أجنبية يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.

٧ - أن يكون العمل المقدم ملتزماً بالمنهج العلمي.

٨ - أن يكون البحث المقدم منشوراً وفق قواعد النشر العلمي وأصوله أو مقبولاً للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم.

٩ - أن يكون العمل المقدم غير ممول من مؤسسات أو هيئات.

١٠ - يمكن قبول الأعمال المترجمة المتميزة التي تخدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربية، مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته الأولى في لغته الأصلية خمس سنوات من تاريخ نشر الإعلان.

ثانياً: إجراءات التقديم:

أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يلي:

١ - عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، ولا يعاد الإنتاج سواء فاز المرشح أو لم يفز، وبالنسبة للإنتاج المترجم، يرفق نسخة من الأصل المترجم عنه.

٢ - بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.

٣ - ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.

٤ - العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه.

٥ - توجه طلبات الترشيح إلى: المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج - ص.ب (٩٤٦٩٣) - الرياض (١١٦١٤) - المملكة العربية السعودية.

على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز يوم الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٠/٤/٥م.

وقد أسند المكتب مسؤولية اختيار الفائزين إلى لجنة من علماء ومفكري المنطقة، حيث تقوم بدراسة الأعمال المقدمة، ودراسة آراء المختصين في موضوعاتها، وتمنح جائزة المكتب وقدرها مئة ألف ريال سعودي، وشهادة منح الجائزة للعمل الفائز، ويمكن منح الجائزة مناصفة لعملين.

تكوين المملكة الفقهية

في سلسلة ا لكتب التي يصدرها مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة الثاني والسبعون تحت عنوان: تكوين الملكة الفقهية للأستاذ الدكتور محمد عثمان شبير. هذا الكتاب الذي يقع في نحو ١٨٠ صفحة من القطع الصغير ويتناول موضوعاً معيناً أو يطرح قضية غاية في الأهمية، يفتح ملفها ويستدعيها للبحث. والمناقشة والدرس. بعد أن كادت تغيب عن الذهنية الإسلامية المعاصرة بشكل عام، ومعاهد التعليم الشرعي ـ محاضنها الطبيعية ـ بشكل خاص، في هذه الحقبة الثقافية التي بدأ يكثر فيها المتحمسون، ويقل فيها الفقهاء والخبراء المتخصصون.

والكتاب محاولة استعرض فيها الكاتب وجهات النظر المتعددة منهجاً ومذهباً ولغة واصطلاحاً في تعريف الملكة الفقهية وكيفية تنميتها ورعايتها وإعادة بنائها.

إن هذه القضية التي أعاد الباحث «مؤلف الكتاب» فتح ملفها لا تزال تستدعي مزيداً من التوسع والنقد والتقويم وإعادة النظر في شروط الاجتهاد وأدواته بعد هذا التطور العظيم في تصنيف العلوم وترتيبهابحسب موضوعاتها، وتقدم وسائل الحفظ والاسترجاع.

● غلاف الكتاب

براءة الصحابة من النفاق

عن مكتبة العبيكان في الرياض صدر كتاب جديد يدافع عن براءة الصحابة من النفاق للكاتب الإسلامي منذر الأسعد، يقع الكتاب في نحو ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط، يقول المؤلف في بداية كتابه: إن العداء للصحابة والسنة الشريفة قديم وتلك المقولات مشهورة منذ قرون وهذه هي المقولات تبناها غلاة المستشرقين الحاقدين أمثال «الأب لامانس» و«جولدزيهر» فغرَّبوا بها وشرّقوا في إطار غاياتهم المريضة وأهمها العمل على تشويه رسالة الإسلام، وفي عصرنا الحديث أنعشها المتطرفون في عداوتهم للإسلام.

والكتاب يرد على هذه الفرية من خلال خمسة فصول تناول المؤلف في الفصل الأول موضوع: الصحابة بين الغلو والافتراء، وفي الفصل الثاني تطرق إلى: افتضاح المنافقين والتمايز بين الصحابة والمنافقين وشهادات حذيفة بن اليمان. وفي الفصل الثالث تناول الكاتب تحت عنوان «مع آل البيت» الحق مع علي وموقف الإمام أحمد بن حنبل، وموقف ابن تيمية وموقف ابن كثير، ونتيجة إنكار السنة، بينما تطرق في الفصل الرابع إلى «معاوية في الميزان» وفي الفصل الخامس والأخير تحدث عن ابن عمر والزهري المفترى عليهما وختم المؤلف فصوله قائلاً:

لقد اتضح من كل ما سلف بيانه من أدلة عقلية ونقلية أن أهل السنة لا يبالغون في تقدير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالصحابي عندهم بشر يخطئ ويصيب وليس معصوماً من المعصية غير أن الصحابة لا يكذبون في تبليغ نصوص الكتاب والسنة وتلك خلاصة تزكياتهم الرفيعة الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

متغيرات الأمن القومي في القرن المقبل

صدر في عمان عاصمة الأردن عن مؤسسة عبدالحميد شومان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت كتاب «القدس والحال الفلسطيني وقراءات في الأمن القومي العربي»، وهو مجموعة من المحاضرات ألّفها نخبة من الباحثين والمفكرين العرب خلال العام ١٩٩٧م ـ ١٩٩٨م في منتدى عبدالحميد شومان في العاصمة الأردنية، وتناول مواضيع ذات صلة بأبرز التحديات الاستراتيجية التي تواجه الأمة العربية في العقود المقبلة.

يتألف الكتاب ـ الذي يقع في نحو ١٦٤ صفحة من القطع الكبير ـ من قسمين تضمن القسم الأول عدداً من الدراسات المتميزة حول قضايا وهموم الأمن القومي والعربي، وما يتصل به ويتفرع عنه في حين يتحدث القسم الثاني عن تحديات هذا الأمن في مناطق محددة تتمثل فيها عناصره بكل أبعادها المباشرة، والكتاب بقسميه يتضمن معلومات موثّقة وبالغة العمق يحتاجها الناس لإشاعة أكبر قدر ممكن من التنوير بحقائق الأمس واليوم في سبيل استشراق المستقبل ومواجهة التحديات أياً كان مصدرها.

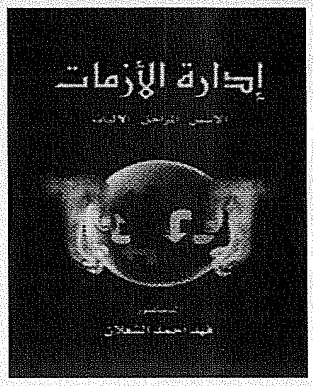

إدارة الأزمات

صدر أخيراً كتاب «إدارة الأزمات: الأسس، المداخل، الآليات» للدكتور فهد أحمد الشعلان ويتناول الكتاب عبر تسعة فصول مفهوم الأزمة وإدارة الأزمات وأنواع الأزمات، والكوارث مع تحديد أنواعها وسماتها المشتركة وآثارها كما يبحث في المنظور الإداري للأزمات متناولاً أولاً: التخطيط ومبادئه وأنواعه وعناصر خطط الطوارئ، ثم التنظيم ومبادئه وكيفية إدارة الأزمات والكوارث، ويغطي الكتاب الجوانب الإدارية المختلفة للتعامل مع الأزمة بعد تشخيصها وتحديد نوعها وصولاً إلى اتخاذ القرار السليم لمعالجتها وتخطيها.

ويخصص المؤلّف فصلاً لدور المعلومات والاتصالات في أثناء الأزمات، كما يلقي الضوء على الجوانب النفسية والاجتماعية ودور الإعلام في مراحل الأزمة المختلفة من خلال الإرشاد والتوعية ودعم الخطة الإعلامية الصائبة، وتحديد نوعية الخطاب الإعلامي، وأخيراً كيفية التعامل مع الحملات المعادية والإشاعات، وهذا الميدان كما يقول المؤلّف، ميداناً جديداً لم ينل حظه من الاهتمام الأكاديمي إلا في أوائل التسعينات وبالتحديد إثر أزمة الصواريخ الكوبية في أكتوبر ١٩٦٢م، وعلم إدارة الأزمات علم مختلف في أساليبه وتطبيقاته عن العلوم الإدارية الأخرى، إذ إنه يهدف إلى التحكم في أحداث مفاجئة ومتفاقمة والتعامل معها ومواجهة آثارها المختلفة ونتائجها.

نظرية الانعدام في الإجراءات الجزائية

صدر عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كتاب جديد من تأليف د.غنام محمد غنام بعنوان: «نظرية الانعدام في الإجراءات الجزائية».

ويتناول في أبوابه الثلاثة: مفهوم الانعدام وحالات الانعدام وتقرير الانعدام، وذلك من خلال خطة تقوم على تحديد مفهوم الانعدام والتمييز بينه وبين غيره من الجزاءات الإجرائية ثم تتبع المؤلف نصوص القانون الكويتي في ظل قانون ـ الإجراءات والمرافقات ـ وقلّب في أحكام القضاء المصري والكويتي لاقتفاء أي أثر للانعدام في أحكام المحاكم، ومن ثم تعيين الآثار التي تترتب على الانعدام وأخيراً تحديد الوسائل القانونية التي تصل إلى تقرير حالة الانعدام.

ترجمة إنكليزية لكتاب الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل

صدرت ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» الترجمة الإنكليزية لكتاب «الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل» لمؤلفه الدكتور محيي الدين عبدالحليم رئيس قسم الصحافة في جامعة الأزهر والمستشار الإعلامي لوزير الأوقاف في مصر.

ويعالج الكتاب الذي يقع في أربعة فصول ـ في ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط ـ الأسس الفلسفية والعلمية للإعلام الموجه إلى الأطفال، ويبسط المنهج الإسلامي المميز لإعلام الطفل، ويدرس وسائل إعلام الطفل، ويبحث بعمق واستفاضة التحديات التي تواجه إعلام الطفل، ويناقش المشكلات التي يعاني منها الطفل ويقدم حلولاً علمية لها من واقع التجربة والخبرة والدراسة الميدانية.

ويعرض المؤلف الذي يعد من الأكاديميين المتخصصين في الإعلام العربي الإسلامي، في خاتمة الكتاب، للأصول والقواعد التي تحكم الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل، ثم يلخّص النتائج ويقدم مجموعة من التوصيات والمقترحات للنهوض بهذا القطاع الإعلامي وللرفع من مستواه المهني والتعليمي والتوجيهي لتعميق تأثيره في المجتمع.

قدَّم للكتاب الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وعيسى خليفة السويدي الأمين العام لهيئة أبو ظبي الخيرية. صدر الكتاب في الرباط بالتعاون بين المنظمة والهيئة.

أخبار ثقافية

- من المتوقع أن يصدر عن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان الأردن العام ٢٠٠٠م المجلد الأول من مشروع كتاب حول القدس منذ أقدم العصور حتى الآن «القدس ٢٠٠٠م».
- أعلن اتحاد جامعات العالم الإسلامي عن تقديمه عدداً من المنح الدراسية للعام الدراسي ١٩٩٩م ـ ٢٠٠٠م المقدمة من الجامعات الأعضاء في الاتحاد.
- أعلنت الكويت في ١٩٩٩/١١/١م عن أسماء العلماء والباحثين العرب الفائزين بجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي للعام الماضي وقد كُرّم الفائزون يوم ١١/٢٩ في حفل كبير أقيم تحت رعاية أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح.
- مُنحت جائزة سلطان بن العويس الثقافية يوم ١٩٩٩/١١/٣م للشيخ يوسف القرضاوي وتعتبر الجائزة من الجوائز المهمة في العالم العربي وتبلغ قيمتها الإجمالية نصف مليون دولار توزع على خمسة من المبدعين.
- يعقد في مدينة «كيب تاون» في جنوب أفريقيا خلال الفترة من ١ ـ ٨ ديسمبر الجاري مؤتمر برلمان أديان العالم وهذا المؤتمر تشرف على تنظيمه هيئة المبادرة الدولية للأديان ومقرها مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأميركية.

٧ ملايين طفل عربي يهربون من المدارس ويعملون في المصانع والأعمال الخطرة

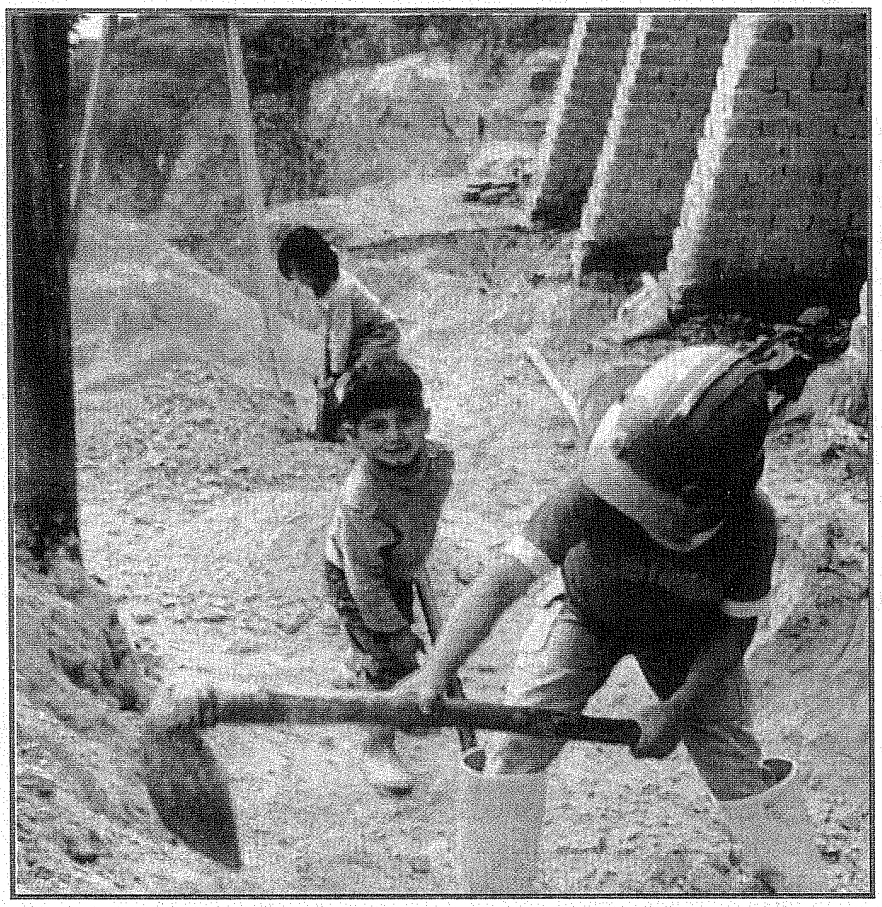

كشفت دراسة عربية حديثة عن وجود ٦,٧ مليون طفل من الدول العربية في سن التعليم غير مقيدين في المدارس منهم ٢,٤ مليون من الذكور و ٤,٣ مليون من الإناث يتوجه أغلبهم إلى سوق العمل في الورش والمصانع والأعمال الخطرة التي لا يلتزم أصحابها بالمعايير وقوانين العمل والتشريعات. وأكدت الدراسة التي أعدتها منظمة العمل العربية تحت عنوان: «عمل الأطفال في الوطن العربي» ان ظاهرة عمل الأطفال أصبحت من أكثر الظواهر والقضايا إثارة للقلق في كثير من دول العالم ومن بينها الدول العربية سواء من حيث ارتفاع نسبة الأطفال في سوق العمل أو من حيث الظروف أو الشروط القاسية التي يعمل فيها الصغار - ولا تتفق مع آدميتهم بل تشكل خطراً كبيراً على حياتهم وتعتبر انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان ومعايير العمل العربية والدولية.

وأشارت الدراسة إلى أن ما يزيد على ٢٥٠ مليون طفل تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات إلى ١٤ سنة يعملون في العالم منهم ٦١٪ في قارة آسيا و ٣٢٪ في أفريقيا و٧٪ في أميركا اللاتينية. موضحة أن هناك ثلاثة عوامل أساسية تدفع بهؤلاء الأطفال إلى العمل هي: العامل الأول الفقر الذي يدفعهم إلى اللجوء إلى أعمال محفوفة بالمخاطر.

العامل الثاني انخفاض الإنفاق على التعليم وعدم استيعاب كل الأطفال المؤهلين للالتحاق بالمدارس. العامل الثالث الضائقة الاقتصادية في كثير من الدول إضافة إلى التقاليد والأنماط الاجتماعية المتأصلة ودورها في توجه الأطفال للعمل، والعامل الثالث هو الأهم في تلك الأسباب. وركزت الدراسة على أن هناك أربعة أسباب رئيسة أسهمت في نشوء ظاهرة عمل الأطفال في الوطن العربي، أولها الزيادة الديمغرافية المرتفعة في العالم العربي، وعجز النظام التعليمي عن استيعاب الأطفال المؤهلين للالتحاق بالمدارس، والركود الاقتصادي بسبب الأزمات الاقتصادية وتراجع مستويات المعيشة، وارتفاع معدلات الفقر وتفشي البطالة وانتشار الأمية في الوطن العربي.

وأوضحت الدراسة أن هناك تزايداً في حالات الاستغلال الاقتصادي لعمل الأطفال وتشغيلهم في ظروف وشروط عمل غير لائقة تخضع لمعايير العمل وذلك نظير أجور متدنية، ومقابل مادي ضئيل ما يعرضهم لأخطار جسدية وفكرية وصحية وأخلاقية تحد من نموهم الطبيعي، وتشكل عقبة أمام تدريبهم وتعليمهم، وتقود هؤلاء الأطفال للانحراف وتصبح أماكن عملهم في بعض الحالات بؤراً للانحراف والجريمة، الأمر الذي يتطلب من الحكومات ومنظمات أصحاب الأعمال والعمال ومنظمات المجتمع المدني والقيام بعمل ضخم لحماية الأطفال.

كما طالبت الدراسة أطراف الإنتاج في العالم العربي «حكومات وأصحاب أعمال وعمالاً» الاهتمام والعناية بالصغار العاملين وتحسين ظروفهم والوصول إلى أفضل السبل لحمايتهم جسدياً وفكرياً «لكونهم مستقبل الأمة العربية ولاعتبارات عدة أخرى منها أنهم في طور النمو الجسماني والثقافي وهذا يجعلهم أقل قدرة على التحمل من كبار السن».

مسجد للمسلمين في غوتينبرغ بالسويد

حصل مسلمو مدينة غوتينبرغ السويدية أخيراً وبعد انتظار طويل زاد على عشر سنوات على موافقة البلدية لبناء مسجد يؤدون فيه شعائرهم الدينية، وجاءت الموافقة بعد جهد كبير قامت به الرابطة الإسلامية وبدعم عدد كبير من رجال الدين المسيحيين لإقناع سياسيي البلدية بضرورة بناء المسجد كمطلب ملح لأكثر من ٤٠ ألف مسلم يعيشون في ثاني أكبر مدن السويد. ونجحت هذه الجهود في إزالة مخاوف الناس أيضاً، ففكرة بناء مسجد في غوتينبرغ ليست جديدة، فقد بدأت في العام ١٩٨٠م ولكنها جوبهت باحتجاجات قوية من أهالي المنطقة التي كان يُفترض بناء المسجد فيها بحجة خوفهم من أن يتجه عدد كبير من المعادين للأجانب إلى المنطقة والقيام بأعمال عنف ضد المسلمين. وأكدت البلدية أن العمل بالمشروع سيبدأ في بداية العام المقبل في منطقة هينسينكن، حيث سيشيد هناك، وستزيد تكلفة المشروع على ٥٠ مليون كرونة «ما يعادل ٦ ملايين دولار» تكفلت رابطة العالم الإسلامي ومقرها جدة بتغطية ٧٥٪ منها، فيما ستسهم البلدية بقسم آخر من النفقات، تستكمل بالتبرعات التي ستجمعها الجمعيات والروابط الإسلامية في البلدية.

وأبدى يوسف شاهين رئيس الرابطة الإسلامية شعوره بالفرح الحذر، وقال: سأشعر بسعادة أكبر عندما أرى أول ضربة معول في تراب هذا الصرح، أما عن تخطيط الرابطة لعمل المسجد فقال: ستؤدى الصلوات في أوقاتها الخمسة وسنخصص جزءاً من مساحة المسجد التي تبلغ ٨٠٠ متر لمصلى النساء، أما الأذان فسيقتصر على عدد محدد من أيام السنة، كما سنحاول جعل المسجد درساً لتعليم الصغار والشباب ومركزاً إعلامياً لنشر تعاليم الإسلام.

مولود كل دقيقة في السعودية

تسجل المملكة العربية السعودية النسبة الأعلى في المواليد على مستوى العالم.

واعتبر آخر إحصاء سكاني صادر عن الأمم المتحدة أن نسبة زيادة المواليد في المملكة العربية السعودية وصلت إلى الحد الأعلى بين جميع دول العالم، ففي حين يولد طفل مصري كل خمس دقائق، وطفل صيني كل ثلاث دقائق، وطفل هندي كل دقيقتين ونصف الدقيقة، يولد طفل سعودي كل دقيقة.

وتوقعت هذه الإحصاءات أن يصل عدد السكان في مدينة جدة وحدها في نهاية العام ٢٠١٨م إلى سبعة ملايين نسمة أكثرهم من البنات، وكانت مصلحة الإحصاء العامة في المملكة العربية السعودية قد قدَّرت أن ٤٥٪ من سكان السعودية البالغ عددهم ١٢ مليون نسمة هم من الإناث.

القوقاز مركز لغسل الأموال في العالم

تتميز جمهوريات روسيا القوقازية بغناها بالموارد الطبيعية، وأيضاً بانهيار إنتاجها الصناعي، وبالعجز الهائل في ميزانياتها التجارية وفي ميزانيتها العامة وبتسجيلها لأكبر معدلات الجريمة. وعلى الرغم من ذلك، فإن خبراء النقد والمال، الذين يعتمدون في تحليلاتهم على معلومات سرية يتساءلون عن التناقض بين واقع هذه الجمهوريات الاقتصادية المتمثل بتراجع الإنتاج والعجز في الميزانية من جهة والسيولة النقدية الكبيرة من جهة أخرى. فمعدل دخل الفرد في هذه الجمهوريات أقل بكثير من معدل دخل الفرد في عموم روسيا وفي الوقت نفسه، فإن السيولة النقدية في هذه الجمهوريات هي الأكثر ارتفاعاً في جمهوريات روسيا الاتحادية.

وبعبارة أخرى، فإن الجمهوريات القوقازية الروسية تعتبر بمثابة النافذة الكبيرة التي تدخل منها الأموال والعملات الأجنبية إلى روسيا، ويتم ذلك من خلال حلقات أو مراحل عدة. الجزء الأكبر من هذه الأموال يستخدم في شراء البضائع من أسواق الجملة في المدن الروسية الكبيرة، ثم تباع هذه البضائع في المناطق التي تحتاجها، بل حتى التي تتعطش إليها. ويعتبر الخبراء أن القوقاز هي أكثر منطقة تتعامل بالدولار الأميركي في روسيا، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمنطقة تعاني من ضعف القطاع المصرفي، وبخاصة أن المنطقة تشهد تبادلات تجارية نشيطة مع أذربيجان وجورجيا وتركيا.

وتغذي هذه المبالغ الكبيرة سواء أكانت بالدولار أم بالروبل، اقتصاد الظل، فمنطقة القوقاز تمثل أكبر باب لتهريب الكحول إلى روسيا. ومن يتحدث عن تهريب الكحول بمقدوره أن يتخيل أن ذلك مرتبط بالجريمة، وهناك أيضاً تهريب «ثمار بحر قزوين» وبخاصة الكافيار.

وأخيراً يُقال إن منطقة التبادل الحر في جمهورية أنغوشيا هي التي تسهم في تبييض كل أموال السوق السوداء النفطية. وهكذا تحولت منطقة القوقاز بسبب إجراءات القمع الروسية إلى مركز لتبييض أموال الجريمة.

إن تطهير هذا النظام النقدي أو القضاء عليه أو جعله «حضرياً» يتطلب حلاً من نقطتين:

الأولى إيجاد نظام سياسي مستقر، والثانية تأمين النمو الاقتصادي.

وحتى الآن، لا يبدو أن السلطات المحلية أو السلطات الفدرالية الروسية، قادرة على تأمين الاستقرار السياسي كما أن النظام الاقتصادي الشرعي والنظامي غير قادر على تأمين النمو الاقتصادي للقوقاز.

ولم يعد ثمة خيار سوى انفصال النظام الاقتصادي القوقازي الجديد عن الاقتصاد العالمي أيضاً.

قرض كويتي لبنغلاديش قيمته ٥, ٥ ملايين دينار

أعلن الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية أنه وقع في العاصمة البنغلاديشية دكا يوم ١٩٩٩/١٠/٢٨م اتفاق قرض بقيمة خمسة ملايين ونصف المليون دينار كويتي للإسهام في تطوير مشروع شبكة نقل وتوزيع الكهرباء في مدينة راجشاهي الكبرى. ووقع الاتفاق عن الصندوق نائب المدير العام عبدالوهاب أحمد البدر فيما وقعه عن بنغلاديش وكيل وزارة المالية للشؤون الاقتصادية محمد سيف الدين وذلك بحضور سفير الكويت لدى بنغلاديش علي السماك.

وذكر الصندوق في بيان صحافي أن المشروع الذي أسهم في تمويله الصندوق الكويتي يهدف إلى الإسهام في تلبية الطلب على الطاقة الكهربائية في راجشاهي الكبرى والتي تشمل بلديات مدينة راجشاهي وناطور ونجوان وجاباي ونوابغانغ.

وأضاف البيان أن المشروع يشمل أعمال توريد وإنشاء محطة تحويل بسعة إجمالية تبلغ نحو ٥٠ ميغافولت أمبير فضلاً عن توريد وإنشاء ١١ محطة تحويل بسعة إجمالية نحو ٢٠٠ ميغافولت أمبير وإنشاء ٤٥ كيلو متراً من خطوط النقل و ٥٠٠ كيلو متر من خطوط التوزيع من المعدات والأجهزة المساندة، إضافة إلى الأعمال الكهربائية والميكانيكية والمدنية الكبرى.

وذكر بيان الصندوق أن المشروع الذي تقدر تكاليفه الإجمالية بنحو ١٧ مليون ونصف المليون دينار كويتي يتضمن أيضاً استملاك أراض لإنشاء محطات التحويل ومساكن للموظفين ومبان للإدارة، فضلاً عن الخدمات الاستشارية لإعداد التصاميم وتحليل العروض والإشراف على تنفيذه.

الجريمة تخيف الفرنسيين

أثبت تحقيق أجراه في فرنسا معهد الدراسات العليا للأمن الداخلي وجود فرق شاسع بين انحرافات الأشقياء التي يعانيها الناس والبيانات الصادرة عنها من الشرطة والدرك، وأظهر التحقيق أن البيانات الرسمية تغفل أربعة من كل خمسة حوادث. وتعترف الشرطة الفرنسية ضمناً أن إحصاءاتها لا تعكس حقيقة الجرائم والجنح وفي المقابل اكتشف التحقيق حقيقة مخيفة هي وقوع أكثر من ١٦ مليون حادث في أمكنة عامة في العامين ١٩٩٧م و ١٩٩٨م بما في ذلك ضربات وجروح أو تهديدات أو ابتزاز في حين كانت إحصاءات الشرطة أقل من ذلك بخمس مرات. لكن كان هناك تباين في طريقتي الإحصاء، فالتهديدات أو أعمال الابتزاز التي تمثل ربع الحالات ما كانت تحتل غير ١٦٪ من بيانات الشرطة، أما حوادث النزاعات كما في حوادث السيارات مثلاً فكانت لا تعلن كثيراً، إما لأن المتورطين فيها لا يبلغون الشرطة، أو لأن الشرطة تعتبرها بسيطة أو عابرة.

لكن التحقيق أثبت أنه هناك ١٠٪ من أصحاب السيارات الخاصة تعرضوا لاعتداءات أو محاولات سرقة أو نشل في هاتين السنتين.

وهذا أظهر أن أبناء الأحياء الشعبية هم الأكثر تعرضاً للاعتداءات. وفي ما يخص التهديدات والإهانات، تبين أن الموظفين الكبار أو المتوسطين أكثر تعرضاً لها من الموظفين العاديين، بل إن التحقيق أظهر خطورة التهديدات بالقتل إلى حد أنها أفقدت بعض الناس الإحساس بالأمن فصاروا يخشون من أن يسيروا منفردين ونسبة هؤلاء ١٠٪ ممن شملهم التحقيق.

الأزهر يوافق على ظهور شخصيات تمثل الصحابة في التلفاز

انقسم أعضاء مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر حول قضية جواز ظهور شخصيات تمثل الصحابة في الأعمال الفنية ما عدا كبار الصحابة والعشرة المبشرين بالجنة، وآل البيت النبوي، وذلك بعد أن تقدمت إحدى شركات الإنتاج الفني بشكوى إلى الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بعد رفض مجمع البحوث الإسلامية الموافقة على عرض المسلسل التلفازي «مشرق النور» بحجة ظهور بعض الصحابة في حلقات هذا المسلسل.

قال الدكتور عبدالمعطي بيومي عضو المجمع وعميد كلية أصول الدين لـ«الشرق الأوسط» :إنه بعد أن تساوت الأصوات رجَّح صوت شيخ الأزهر قرار إباحة تمثيل الصحابة ما عدا كبار الصحابة والعشرة المبشرين بالجنة، وآل بيت النبوة مع ضوابط غاية في التشدد، مثل أن يعرض السيناريو على المجمع قبل الإذن بالتصوير، وأن تعرض كل حلقة يظهر فيها صحابي على المجمع قبل الإذن بعرضها، وألا يعرض صحابي في مشهد غير مرض وألا يظهر الممثل الذي يمثل دور الصحابي في موقف يتناقض مع الصورة التي مثلها. وأضاف الدكتور بيومي إنه استقر رأي علماء المجمع على أن فن التمثيل له من التأثير في الرأي العام وخلق الأفكار والقيم ما جعله يشكل خطورة في زرع المفاهيم الحسنة أو الضارة، وبالتالي رأى علماء المجمع أنه لا يمكن تجاهل استخدام هذا الفن في إبراز ما كان عليه الصحابة من قيم فاضلة.

من هدي كتاب الله

من هدي كتاب الله

«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أُخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون»

البقرة:١٨٥.

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لاترد دعوتهم الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم»

رواه الترمذي.

عن عامر بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ قال:

«رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصي يتسوّك وهو صائم»

رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

الإنسان

الإنسان واحد الناس وجمعة ناس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي، وقال الإمام الفيروزأبادي: «هو اسم على وزن فعلان وجمعه من حيث اللفظ أناسين، كسرحان وسراحين وجمعه المعروف ناس وأناس وأنس وآنس، وسمي به لأنه يأنس ويُؤنس به، وقيل للإنسان أُنسان: أُنس بالحق وأُنس بالخلق، فروحه تأنس بالحق وجسمه يأنس بالخلق وقيل: لأنه له أُنساً بالعقبي، وأُنساً بالدينار!» إلى هذا المعنى أشار القائل:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي

وأبحت مني ظاهري لجليسي

فالجسم مني للجليس مؤانسي

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ويُقال: إنَّ اشتقاق الإنسان من الإيناس وهو الإبصار والعلم والإحساس لوقوفه على الأشياء بطريق العلم ووصوله إليها بطريق الرويّة وإدراكه له بوسيلة الحواس.

فعيل وأفعل

قيل للإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وهو في مجلس من مجالسه يداعب أصحابه: يا أمير المؤمنين: ما واجب وأوجب، وصعب وأصعب، وغريب وأغرب، وقريب وأقرب.

فقال رحمه الله:

واجب على الناس أن يتوبوا لكن ترك الذنوب أوجب، والصبر في النائبات صعب لكن فوت الثواب أصعب، والدهر في صرفه غريب وغفلة الناس عنه أغرب، وكل ما يرتجى قريب والموت من كل ذلك أقرب.

مكارم الأخلاق

يقول أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه:

إنَّ المكارمَ أخلاقٌ مطهَّرةٌ
فالعقلُ أولها والدينُ ثانيها
والعلمُ ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعرف من عيني محدثها
إن كان من صحبها أو من أعاديها
والنفس تعلم أني لم أصدقها
ولست أرشد الا حين أعصيها

أمـات

يُقال: أم القرى للنار، وأم النجوم للمجرة، وأم خنور للدنيا وهي من كنى الضبع، وأم الطعام للحنطة، وأم عامر للضبع، وأم عوف للجرادة، وأم طلحة للقملة، وأم ملدم للحمى، مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر، وأم الخل للخمر، وأم عبيد للمغارة، وأم شملة للشمس لأنها تشمل الخلق بطلوعها، وأم جابر للسنبلة، وأم الندامة للعجلة، وأم الفضائل للعلم، وأم الرذائل للجهل.

إبدأ بنفسك

قال علي كرم الله وجهه: من نصّب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه.

يأيها الرجل المعلّم غيره ... فابدأ بنفسك فانهها عن غيها
هلاّ لنفسك كان ذا التعليم ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... فهناك يُقبل ما تقول ويهتدى
كيما يصحّ به وأنت سقيمُ ... بالقول منك وينفع التعليمُ
وتراك تصلح بالرشاد عقولنا ... لا تنه عن خلق وتأتي مثله
أبداً وأنت من الرشادِ عديمُ ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

دواء لكل داء

وقف أعرابي أمام طبيب فقال له: أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله.

فأطرق الطبيب برأسه إلى الأرض ثم قال: خذ دواء....، وإن عملت به كان الشفاء من الله، خذ عروق الفقر وروح الصبر وامزجهما برقائق الفكر واجعل معهما قدراً مساوياً من التواضع والخشوع، ثم دقّ المخلوط في مهراس التوبة والخضوع، وبلله بماء الدموع، وضعه في وعاء التذلل إلى الله جل وعلا، وأوقد تحته نار التوكل على الله، وحركه بمعلقة الاستغفار حتى يظهر عليه زبد التوفيق والوقار، وانقله إلى آنية المحبة، وبرّده بهواء المودة، وصفّه بمصفى الأحزان، واجعل معه حقيقة الإيمان، وامزجه بخوف الرحمن، ودُمْ على هذا ما عشت من الأيام، وإياك أن تقرب في أيام دوائك شيئاً من الآثام، وتجنب الرياء والبس لبس الحياء، واشدد على قلبك بالصدق والوفاء، وإياك أن يدخل بيتك إلا من باب التوبة والصفاء، فإذا داومت على هذا الدواء صفا قلبك من الذنوب وزالت أوجاع ألم الذنوب.

كيف تكون ملكاً ؟

قال محمد بن واسع لتلميذه. كن ملكاً في الدينا والآخرة فسأله: كيف ذلك؟ قال: ازهد في الدنيا تكن ملكاً في الدنيا والآخرة.

كارثة اجتماعية

خمسة يعتبر موتهم كارثة اجتماعية:

- الحاكم الصالح في قوم فاسدين، والعالم الناصح في قوم جاهلين، والمصلح المخلّص في قوم غافلين، والقائد الشجاع في قوم متخاذلين، والحكيم الشيخ في أحداث طائشين.

لا علم لي

سُئل الشعبي عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فقيل له: ألا تستحي؟ فقال: ولِمَ أستحي مما لم تستح الملائكة منه حين قالت: لا علم لنا.

دواء القلب

قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبّر وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

نيل العلم

يقول الإمام الشافعي:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرصٌ واجتهاد ولغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

ما يبطل الصوم وما لا يبطله

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

هل يبطل الصيام ما يلي؟:

١ - إعطاء المريض حقنة دوائية تحت الجلد أو في العضل.

٢ - إعطاء المريض حقنة من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل.

٣ - إعطاء حقنة دوائية في الوريد.

٤ - إعطاء محلول الغلوكوز «نوع من السكر» في الوريد كعلاج أو كمحلول لإذابة الأدوية وكذا محلول الملح «السالاين» كمحلول لإذابة الأدوية التي تعطى في الوريد.

٥ - استخدام التحاميل الدوائية وإدخالها في فتحة الشرج بين أذان الفجر وأذان المغرب.

٦ - سحب دم من مريض كعلاج أو لغرض إجراء التحاليل الطبية عليه.

أ - أجابت اللجنة عن السؤالين الأول والثاني بما يلي:

لايبطل الصوم إعطاء المريض حقنة دوائية من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل، وكذلك أي دواء يعطى بهذه الكيفية. والله أعلم

ب - قررت اللجنة بالنسبة للسؤالين الثالث والرابع الإجابة بما يلي:

إن إعطاء الحقنة الدوائية أو الغذائية من الغلوكوز أو محلول الملح في الوريد لا يفطّر، ولكن يحسن ألا يتخذ ذلك حيلة لدفع الجوع، وذلك لأن المفطّر هو ما وصل إلى الجوف أو الدماغ عن طريق فتحة طبيعية أو مباشرة. والله أعلم.

ج - وبالنسبة للسؤال الخامس أجابت اللجنة:

إن استخدام التحاميل الدوائية وما في معناها من الحقن الشرجية المائعة أو التي تتحلل يفطر بها الصائم وعليه القضاء دون الكفارة. والله أعلم.

د - وبالنسبة للسؤال السادس أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان يترتب على سحب الدم الضعف أو الهزال يكره للصائم ذلك ولا يفطر به بحال. والله أعلم.

إفطار المسافر في الطائرة

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

كنا على سفر بالطائرة من جدة إلى الكويت وبعد إقلاع الطائرة بعشر دقائق حان موعد أذان المغرب والذي كان نحو الساعة السابعة إلا عشر دقائق، وكنا نرى الشمس وحان موعد أذان المغرب الساعة السابعة وخمس دقائق في الكويت، وغابت الشمس الساعة السابعة واثنين وعشرين دقيقة، وكنا على ارتفاع ٢٧ ألف قدم فما حكم موعد الإفطار؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن المسافر لا يراعي في موعد فطره توقيت بلده الأصلي الذي غادره، ولا توقيت البلد الذي يقصده، وإنما يراعي مشاهدته غروب الشمس عنه، سواء كان على الأرض أو على جبل أو مرتفعاً في الهواء، ولكن إذا ترتب على توجه طائرة نحو الغرب تأخر الغروب وطال الزمن بحيث يجهده البقاء صائماً فإنه يفطر للمشقة وعليه الإعادة. والله أعلم.

هل للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر ؟

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

نشرت إحدى الجرائد اليومية فتيا بجواز الأكل والشرب بعد أن يؤذن لصلاة الفجر استناداً إلى حديث رواه أحمد والطبري وصححه الألباني «إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا ينزله حتى يقضي حاجته». **فما مدى صحة هذه الفتيا وهل هي موافقة لمذاهب الأئمة الأربعة؟ ومتى تنتهي هذه الحاجة، هل لها وقت محدد أم هي مطلقة؟ وهل يجوز للإنسان إذا سمع الأذان أن يقضي حاجته من الجماع؟**

- أجابت اللجنة:

لم يأخذ أحد من العلماء بظاهر هذا الحديث فيما نعلم، وهو محمول عند الجمهور على أن المراد بالأذان في هذا الحديث إن صح هو الأذان الأول، أو يحمل على حالة من لم يتأكد من طلوع الفجر، أما إذا تأكد من طلوع الفجر فليس له أن يأكل أو يشرب لقوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل) والله سبحانه وتعالى أعلم.

قطع الصوم المتتابع خطأ

يقول السائل: **إنه صدم شخصاً بالسيارة وتوفي المصاب إثر الحادث، وإن شركة التأمين تكفلت بدفع الدية لأهل المتوفى إلا أنه لا يطمئن المتسبب - كما يقول - للمبلغ المدفوع من قِبَل شركة التأمين، لذا قرر أن يصوم شهرين متتابعين كفارة عن قتله بالخطأ. وفعلاً بدأ بالصوم وفي اليوم الرابع والثلاثين من صيامه استيقظ من نومه في الساعة السادسة إلا ربعاً وهو يظن أن الساعة الخامسة إلا ربعاً فأكل وشرب وجلس ينتظر أذان الفجر، ولما طال به الانتظار نظر إلى ساعته مرة أخرى فتبين أنه أخطأ في التوقيت إلا أنه أمسك عن الطعام في ذلك اليوم واستمر صائماً حتى المساء.**

وهو يطلب من لجنة الفتوى أن تمنحه الجواب بشأن ما وقع فيه من خطأ.

أجابت اللجنة:

بالأخذ بما خرَّجه ابن قدامة في المغني وصححه من جاء بعده من فقهاء الحنابلة، من أن الخطأ لا يقطع التتابع، بل صرَّحوا بأن من أكل ظاناً أن الفجر لم يطلع ولكنه قد طلع فإن هذا عذر لا يقطع التتابع. والأخذ بهذا فيه تيسير على المستفتي.

كما أفهمته اللجنة أنه لا علاقة بين وجوب الكفارة والدية، لأن الدية حق لأهل المتوفى والكفارة حق لله عز وجل، ولا يحسب له ذلك اليوم الذي أفطر فيه وعليه أن يقضيه متتابعاً. والله أعلم

تتابع صوم كفارة القتل

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

شخص عليه صيام ستين يوماً كفارة نتيجة لقتل خطأ حصل في حادث سيارة، وخلال صيامه لهذه الأيام أصابه «أيام الكفارة» مرض في الكلى، وأمره الطبيب بأن يفطر مدة معينة ثم يكمل الصيام، بعد الشفاء، إلا أنه في أحد الأيام قد أفطر ناسياً وأكل حتى شبع وكانت الساعة ١١ ظهراً، ثم تذكر أنه يجب أن يكون صائماً، إلا أنه استحق إكمال صيام هذا اليوم لشبعه الكثير ولتناوله الطعام في ساعة متأخرة من ذلك اليوم، حيث لم يبق من اليوم المذكور إلا الوقت القليل لذلك أمضى باقي اليوم مفطراً.

السؤال: هل يعد هذا الفطر للمرض قاطعاً للتتابع؟ وهل يعد إفطاره ناسياً قاطعاً للتتابع علماً بأنه كان في البر ولم يكن معه من يسأله، وعلى هذا أتم يومه مفطراً.

وهل يجوز إخراج فدية مثلاً لذلك اليوم الذي نسي فيه، وهل هناك عمل آخر غير الصيام يسقط هذه الكفارة؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن الإفطار لمرض لا يقطع التتابع، وكذلك أكله ناسياً لا يفطر به فلا يقطع التتابع، أما ما وقع منه من الأكل عامداً بعد أكله ناسياً، فإنه يفطر به ويقطع التتابع، وكونه أكل جاهلاً بالحكم الشرعي ليس عذراً، ولا يجزئ إخراج الطعام فدية عن اليوم الذي نسيه، وعليه أن يصوم شهرين متتابعين، وليس هناك عمل آخر يمكن أن يسقط هذه الكفارة. والله أعلم.

الاستقراض من أموال الزكاة للمشاريع الإسلامية

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

جمعية إسلامية فيها صندوق للزكاة والخيرات ينفق منه على المحتاجين من العوائل والأفراد، ويدفع لبعضهم مرتبات شهرية، واحتاجت الجمعية إلى سلفة لبعض مشروعاتها الخيرية «دفعة لمقاول مبنى لها أنجز وليس لديها حالياً مبلغ من المال، وإنما ستحصل على مبالغ في فترة مقبلة» فهل يجوز لها الاقتراض من صندوق الزكاة ثم تسدد ذلك فيما بعد؟ علماً بأن لديها فتوى سابقة بجواز الصرف عليها من أموال الزكاة، وأن في الصندوق المذكور وفراً من المال يزيد عن مصروفاته الشهرية.

- بعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي: يجوز للجمعية المذكورة الاقتراض من صندوق الزكاة لإنشاء هذا المشروع وغيره من المشاريع التي يُقصد منها نشر الدعوة الإسلامية والله أعلم.

إفطار الحامل

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

ذكر رجل أن زوجته قد تعرَّضت لأمراض عدة وبسبب أحد هذه الأمراض أجريت لها عملية جراحية، وأفاد الأطباء بوجود ضعف عام في جسدها. **فهل يجوز له أن يسمح لها بالإفطار - في شهر رمضان علماً أنه مضى على حملها ستة أشهر - حفاظاً على سلامتها وسلامة الجنين؟**

- أجابت اللجنة:

أنه إذا غلب على ظنها إما بتجربة أو بإخبار من تثق به من الأطباء المسلمين الموثوق بدينهم، بأن صيامها يعرّضها أو يعرّض جنينها للضرر أبيح لها أن تفطر وتقضي إذا استطاعت ذلك، أو تفدي إذا تحقق عدم قدرتها على القضاء، بأن تعطي لفقير ما مقدار ما يكفيه غداء وعشاء، أو فطور وسحور في رمضان من أوسط طعامها وطعام أهلها وذلك عن كل يوم تفطره من أيام رمضان. والله أعلم.

الرقابة بين القانون والضمير

بقلم: شعبان محمود شعبان

هل يستطيع الإنسان أن يكون رقيباً على نفسه أميناً على حدود الله محافظاً على حقوق المجتمع... دون أن يخضع في ذلك لسطوة القانون وعينه الساهرة؟

إن تجربة «الصوم» في شهر رمضان تعطي الإجابة عن هذا السؤال الذي يبدو للوهلة الأولى وكأنه سرحة من سرحات الخيال.

إن الصائم قد يشتد به الجوع أو الظمأ وهو وحيد داخل غرفة مغلقة لا يراه فيها أحد، ولديه ما يشاء من الطعام والشراب الذي يسد به جوعه ويطفئ ظمأه فلا تمتد يده إلى شيء من ذلك لا خوفاً أو حياء من رقيب ولكن خضوعاً لرقابة ضميره عن إرادة حرة واقتناع أكيد.

ولابد لكل مجتمع من قانون ينظّم العلاقة بين أفراده وينظّم العلاقة بين الدولة والمجتمع، ويضع حدوداً تحقق الأمن والعدل وتحول دون العدوان والظلم والانحراف.

على أن القانون بنصوصه وحدها مهما تكن سلامة هذه النصوص وسمو مبادئها لا يكفل تحقيق هذه الأهداف ما لم يصحب ذلك سلامة التطبيق من جانب القائمين على تنفيذه، والشعور بحرمة القانون من جانب أفراد الشعب.

فكيف إذاً تنشأ رقابة الضمير؟

كيف يتخذ الإنسان من ضميره رقيباً وحسيباً على تصرفاته؟، سواء أحضر القانون أم غاب، أم كان في خفية عن الناس وأجهزة الرقابة أم كان تحت أعين الشهداء؟

لنعد إلى تجربة الصوم نجد عندها الجواب.

إن الصائم يؤمن بأنه يخضع لرقابة عليا لا تخفى عليها خافية، وهو يستشعر هذه الرقابة في ضميره، ويقيم من ضميره رقيباً على نفسه، ممتنعاً عن أمور هي قوام حياته متخذاً من ذلك عبادة يتقرب بها إلى الله.

هذه الرقابة الإلهية العليا هي مفتاح الموقف كله.

والشعور بالرقابة الإلهية وتمثلها في ضمير الإنسان يتصل بالإيمان الفطري بالثواب والعقاب، بالحوافز على أداء الخير، بالزواجر عن فعل الشر بالعدالة الإلهية المطلقة في الميزان. ■

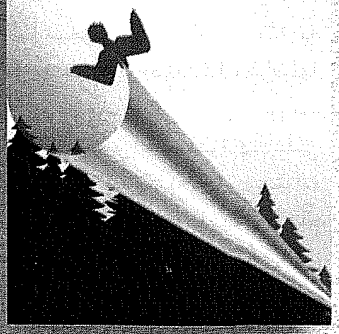

بسم الله الرحمن الرحيم

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

صدق الله العظيم

شارك معنا من خلال اقتنائك

السهم الوقفي

بقيمة

١٠

د.ك

ومضاعفاته

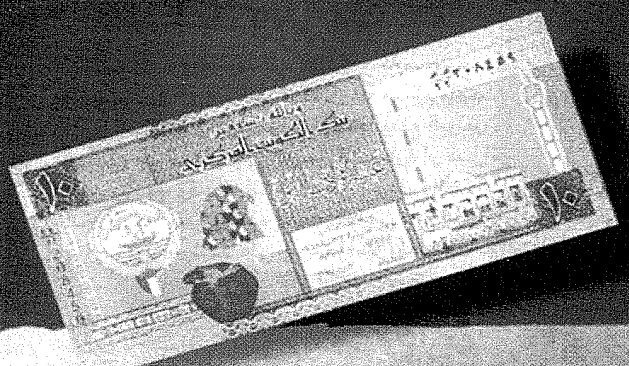

للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧

التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥٠ ٩٢٥

فاكس: ٢٦٦٠ ٢٥٣

السهم الوقفي

عرد قة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

VISA

MasterCard

قنوات التحصيل

6 طرق سهلة لدفع زكاة أموالك

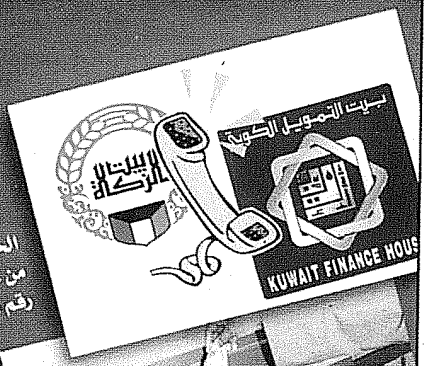

الخدمة الهاتفية لدفع الزكاة:
من خلال بيت التمويل الكويتي رقم ٨٠٣٣٣٣ واضغط الرقم (١).

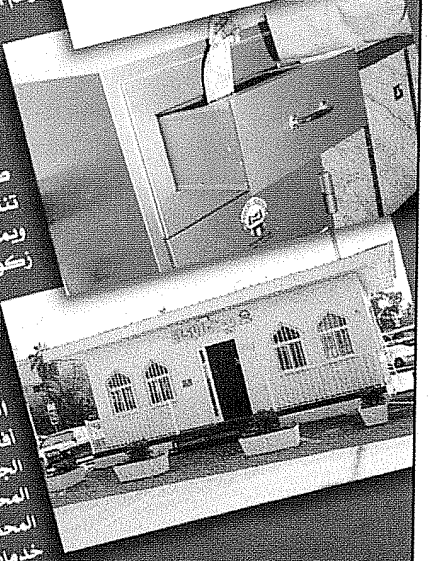

صالة المتبرعين:
تستقبل المحسنين الكرام في مقر البيت الرئيسي، حيث يقوم موظفون مختصون بتقديم الخدمات اللازمة لهم، ويجيبون على تساؤلاتهم. وللإتصال هاتف: ٥٧٤٥٠٠٠

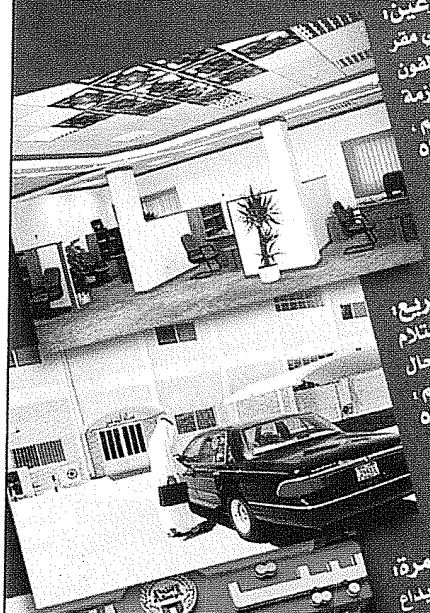

التحصيل السريع:
يصلكم مندوب البيت لإستلام زكواتكم وصدقاتكم في حال الإتصال على هاتف رقم: ٥٧٥٢٥٧٧

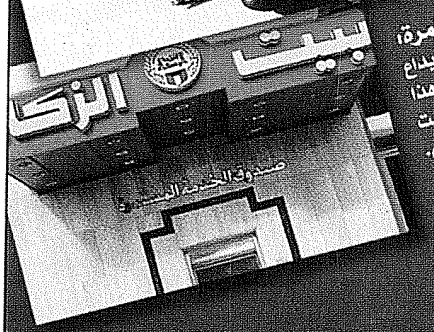

صناديق الخير:
تنتشر في جميع مساجد الكويت، ويمكن للمحسن الكريم إيداع زكواته وصدقاته من خلالها.

صندوق الخدمة المستمرة:
يستطيع المحسن الكريم إيداع زكواته وصدقاته من خلال هذا الصندوق طوال اليوم، في مقر البيت الرئيسي.

الفروع الإيرادية:
أفتتح البيت (٢٧) فرعا قرب الجمعيات التعاونية في المناطق المختلفة، وتستقبل هذه الفروع المحسنين الكرام وتقدم لهم خدمات البيت المتنوعة.

توصيل الزكاة لمستحقيها أمانة فدعنا نحملها عنك

574 5000

السالمية - شارع قطر
ص.ب (23865) الصفاة (13099) الكويت
عنوان الصفحات الإعلامية على الإنترنت
http://www.zakathouse.org.kw
عنوان التراسل الإلكتروني العام
zakat@zakathouse.org.kw

بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت

2.5 %
زكاة أموالكم